يوحنا الدمشقي

٣٥-١٣٢هـ / ٦٥٥-٧٥٠م

رائد العدوان الفكري على الإسلام

الكتاب الأول

تأليف

أ.د/ علي بن محمد عودة الغامدي

أستاذ التاريخ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آلــه وصـــحبه أجمعين . وبعد :

عندما بدأت، قبل نحو ربع قرن من الزمان ، التفكير في كتابة بحث عن حركة التنصير الغربية الموجهة للمسلمين ، والتي ظهرت بداياتها الأولى في عصر الحروب الصـــليبية . لم أكـــن أتخيـــل – حينذاك– أن البحث في هذا الموضوع سيقودني إلى موضوع أوسع وأشمل، وهو العدوان الفكـــري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام . والذي كان تنصـــير المســـلمين أحـــد أبوابه. وقد اتضحت لي أبعاد هذا الموضوع ، بعد جمع وترجمة قدر كبير من المادة العلميـــة المتعلقـــة بحركة التنصير في عصر الحروب الصليبية .

ومرد هذا العدوان الفكري ، أن رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت النصارى، أُصيبوا بـــالفزع والذهول من السرعة الإعجازية للفتوحات الإسلامية ، التي امتدت شرقاً وغرباً ، حيـــث فقـــدت دولة الروم (الدولة البيزنطية) بلاد الشام ومصر التي هي – في نظرهم – مهد المسيحية الأولى. وفي خلال أقل من قرن من الزمان وصلت الفتوحات الإسلامية ، إلى المحـــيط الأطلســـي وإلى غـــرب أوروبا بفتح الأندلس . ودخل الكثير من سكان البلاد المفتوحة في الإسلام عن اقتناع كامل، وإرادة حرة . فلم يجد رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت من وسيلة لصد المد الإســـلامي الجـــارف ســـوى السلاح الفكري بتشويه صورة الإسلام وصورة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام . هذا إضافة إلى أن أولئك الكُتَّاب نظروا للإسلام من خلال المنظور النصراني الرهباني ومن خلال منظـــور مصـــالحهم الكهنوتية التي اكتسبوها لأنفسهم عبر العصور. والهدف الرئيس من كل ذلك التشويه والتلفيق هو تحصين أتباعهم النصارى من التأثر بالإسلام ليحولوا بينهم وبين اعتناقه سيما في البلاد التي لم تخضع للمسلمين .

وقد تصور الرهبان المنصرون – فيما بعد – أن تنصير المسلمين يبدأ بمهاجمة دينهم ونبيهم محمد ﷺ ، محاولين بذلك إقناع المسلمين بأن دينهم غير صحيح وأن نبيهم نبي كاذب – وحاشاه أن يكون كذلك . ومن ثمة إقناعهم بالدخول في النصرانية .

وقد مكثتُ سنين طويلة أبحث عن المصادر والمراجع وأُترجم وأجمع المادة العلمية من سائر المصادر والمراجع الغربية . وبذلت في سبيل ذلك جهوداً مضنية . ثم شرعت في الكتابة وكنت أكتب حيناً ، وأتوقف أحياناً لوجود ، فجوات غامضة لم تكتمل ، ثم أبحث عن مصادر جديدة لتغطية تلك الفجوات . بل وكنت أحياناً أطرح ما كتبته حول نقاط عديدة جانباً ، وأُعيد كتابتها من جديد ، بعد الحصول على مصادر ومراجع تلقي أضواء ساطعة على تلك النقاط .

ويجب لفت الانتباه هنا إلى أن جميع تلك المصادر والمراجع كانت تعرض مادتها العلمية من وجهة النظر النصرانية الغربية. فهي تقوم بدور كبير في العدوان الفكري، وما تقوم به من تشويه متعمد لصورة الإسلام وصورة نبيه ﷺ، تعتبره حقائق صحيحة عن الإسلام. وهنا أصبح لزاماً عليَّ أن أعرض تلك المادة وأنقدها من وجهة النظر الإسلامية الموضوعية.

وبعد الانتهاء من كتابة المسودة الأولى. أصبحت ضخمة إلى حد كبير، بحيث يصعب طبعها في كتاب واحد. لذلك قررت أن أطبعها في كتب متتالية، تصدر تباعاً إن شاء الله تعالى، وهي:

(١) الكتاب الأول : وهو هذا الذي بين أيديكم – ذلك أن يوحنا الدمشقي هو الرائد الأول لهذا العدوان الفكري الذي بدأ في القرن الأول الهجري واستمر إلى اليوم . فما نسمعه ونراه اليوم من استهزاء وسخرية في الغرب بالإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ إنما هو تقليد غربي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ ، بدأه يوحنا الدمشقي وسار على خطاه كُتاب الروم والغرب بعده إلى اليوم . ويوحنا الدمشقي أول من زعم أن الإسلام هرطقة من الهرطقات التي انشقت عن النصرانية ، وأول من زعم أن النبي ﷺ تعرّف على الكتاب المقدس عند أهل الكتاب وأخذ منه . كما أنه أول من قال أن النبي ﷺ تعلَّم من راهب أريوسي. كما أن يوحنا

الدمشقي أول من أنكر أن الأنبياء السابقين بشروا ببعثة محمد ﷺ . وأول من أنكر أن الكتب السابقة بشَّرت بمبعثه . وقد تلقف كُتَّاب الروم والغرب هذه الأكاذيب وآمنوا بها كعقائد ثابتة عن الإسلام ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

ويعد يوحنا الدمشقي أول من أثار قضية المرأة وتعدد الزوجات في التاريخ ضد الإسلام . والتي أصبحت الموضوع المفضل لدى الكثير من كتاب الغرب ومريديهم في بلاد المسلمين إلى اليوم. كما أن مفتريات يوحنا الدمشقي الباطلة حول قصة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها ، كان لها صداها العميق على كُتَّاب الغرب عبر العصور . كما كان لها أثر واضح عند بعض الرواة المغفلين والمنافقين بين المسلمين فأشاعوها بعد التحوير والتبديل حتى تُقبل من بعض المسلمين . وتسربت منهم إلى بعض كتب التفاسير المبكرة . ثم استخدمها بعض المستشرقين في عدوانهم الفكري على النبي ﷺ .

(٢) الكتاب الثاني : وعنوانه : العدوان الفكري البيزنطي (الرومي) على الإسلام .

(٣) الكتاب الثالث : وعنوانه : العدوان الفكري الغربي المبكر على الإسلام .

(٤) الكتاب الرابع : وعنوانه : المشروع الكلوني ٥٣٧هـ/ ١١٤٣م. أساس حركة التنصير والاستشراق . وهذا الكتاب هو أكبر الكتب في هذه المجموعة .

(٥) الكتاب الخامس وعنوانه : حركة التنصير في عصر الحروب الصليبية .

ويتضح للقراء الكرام بعد طبع هذه المجموعة – إن شاء الله تعالى – أن المشروع الكلوني هو المنبع الرئيس الذي استقى منه معظم المستشرقين المغرضين مفترياتهم على الإسلام والقرآن وعلى النبي ﷺ . ليس هذا فحسب بل إن ما نسمع به ونشاهده اليوم من رسوم ساخرة تستهزئ بالنبي ﷺ ، تعود جذورها الأولى إلى هذا المشروع ، ففي داخل المخطوطة الأصلية لهذا المشروع ، والتي نسخت قبيل منتصف القرن السادس الهجري / قبيل منتصف القرن الثاني عشر الميلادي صورة برأس بشري وجسم سمكة ، زعم مصورها أنها للنبي ﷺ ، ويبدو أن مصمم هذه الصورة تصور أن

قيام بطرس الكلوني بمشروعه سوف يقضي وإلى الأبد على ما جاء به النبي محمد ﷺ . وأصبح هــذا تقليداً غربياً استخدموه بعد عدة عقود من الزمن عندما أنزل صلاح الدين الأيوبي الهزيمة بالصليبيين في حطين واسترد بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م . فأرسل حاكم صور الصــليبي أســقف صور الكاثوليكي إلى البابوية والغرب ليخبرهم بما حل بالصليبيين في بلاد الشام من هزائم ســاحقة، وأرسل معه لوحين رُسم على أحدهما رجل بلباس عربي يقبض بيده على حنجرة رجل آخر وفي يده الأخرى كرباج يضرب به ذلك الرجل والدماء تنــزف من ظهره ، وكتب تحتها هذا النبي العــربي محمد يضرب الرب يسوع المسيح ، ورسم على اللوح الآخر صورة فارس على فرســه والفــرس تتغوط على قبر ، وكتب تحت الصورة هذا صلاح الدين على فرسه تتغوط على قبر السيد المسيح . وكان أن طاف الرهبان بهذين اللوحين في سائر أرجاء أوروبا الأمر الذي حفز مئات الألــوف مــن الغربيين للاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة ضد المسلمين .

وقد ألحقتُ بهذا الكتاب خمسة ملاحق هي :

(١) الملحق الأول : بحث صغير كتبته عن تيودور أبي قرة تلميذ يوحنا الدمشــقي والمــروِّج لآراء ومفتريات أستاذه .

(٢) الملحق الثاني : لمحة عن رسالة النصراني الشرقي التي قام على أساسها المشروع الكلوني .

(٣) الملحق الثالث : الدفاع السوري : لمحة عن مقالة كتبت على الأرجــح في عصــر الحــروب الصليبية في بلاد الشام .

(٤) الملحق الرابع : مقالة بعنوان : " العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه عليه الصلاة والسلام . وكنتُ قد كتبتها في سنة ١٤٢٤هـــ ونُشرت على موقع الحملة العالمية لمقاومــة العدوان. وهذه المقالة تعطي لمحة مختصرة عن هذه الكتب التي سوف تصدر تباعاً – إن شــاء الله تعالى – بحيث تعطي للقارئ فكرة عن الكتب التالية لهذا الكتــاب لاســيما المشــروع الكلوني. ومن أسف أنني وجدت البعض من الكُتَّاب قد سرق هذه المقالة ونشــرها ضــمن

كتب أصدروها دون الإشارة إلى كاتبها . كما انتحلها بعض الصحفيين ونشروها في بعض المجلات والصحف العربية دون الإشارة أيضاً إلى كاتبها . ولذا أثرت أن أجعلها ملحقاً في هذا الكتاب .

(٥) أما الملحق الخامس . فهو فصل يوحنا الدمشقي الذي تناولته بالبحث في هذا الكتاب . وذلك بلغته الأصلية اليونانية ، مع ترجمة إنجليزية له ، وهي التي اعتمدتها في هذا الكتاب.

وفي الختام يجدر أن ألفت الانتباه هنا إلى أن العدوان العسكري الغربي ، المعروف بالحروب الصليبية الذي بدأ منذ ظهور الإسلام واستمر إلى اليوم ، قد دُرِس في كتب ورسائل وبحوث لا يمكن حصرها . أما جذور وأسس وقواعد العدوان الفكري الغربي على الإسلام ، فلا أخال أحداً قد تناوله من قبل بمثل هذا العمق والشمول والترابط الذي تناولته في هذا الكتاب ، والكتب التي تليه .

وأرجو أن أكون قد وفقت في هذا الموضوع والله من وراء القصد ،،،،

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ.د/ علي بن محمد عودة الغامدي

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى

مكة المكرمة

١٥ ربيع الثاني ١٤٣٦هـ



التمهيد

ثلاث حقائق :

لا شك أن الصور المشوهة، والتصورات الملفّقة ، والأفكار الخاطئة التي تتداولها وسائل الإعلام والأوساط الثقافية والدينية الغربية اليوم عن الإسلام والمسلمين ليست نتيجة لحوادث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م . بل إن تلك الأفكار والصور تمثل عقيدة غربية موروثة ذات جذور بعيدة وخلفية عميقة تضرب بأعماقها في تاريخ العلاقات بين العالم الإسلامي والعالم الغربي منذ ظهور الإسلام ونجاح حركة الفتوح الإسلامية . وهي التي رسمت ولا تزال ترسم الكثير من سياسات الغرب ومواقفه تجاه الإسلام والمسلمين .

وهنا يجب أن نشير إلى ثلاثة حقائق مهمة هي :

الحقيقة الأولى : وتتمثل في قول الله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[1]، ففي هذه الآية يخبر الله جل وعلا رسوله ﷺ وأمته المسلمة بأمر وقع وسيقع طوال حياة أمة الإسلام على هذه الأرض وهو أن اليهود والنصارى لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم ، وبالتالي فإن بقاء الإسلام في الأرض وبقاء المسلمين على دينهم لن يُقابل من جانب اليهود والنصارى إلا بكل ما يناقض الرضا والقبول ، من رفض وسخط ومقت وبغض وضغينة ، وتشويه وهو ما سيبدو لنا جلياً في هذا البحث .

الحقيقة الثانية : إن في تلك الصور المشوهة والأفكار الملفقة المعجونة بالشتائم والبذاءات والافتراءات التي قام بها الكتّاب ورجال الدين النصارى ، دليل ساطع على صدق القرآن وصدق نبوة محمد ﷺ . ذلك أن القرآن الكريم أخبر بذلك الأذى الذي سوف يسمعه المسلمون من أهل

---

(١) سورة البقرة : ١٢٠ .

الكتاب قبل وقوعه، قال تعالى : ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٢). فهذه الآية تحوي إعجازاً تاريخياً فريداً أخبرت بحوادث ووقائع تاريخية لم تكن قد حدثت عند نزولها على النبي ﷺ . وما سيرد في صفحات هذا الكتاب والكتب التي سوف تليه –إن شاء الله – يكشف جزاءً مما أخبرت به الآية ، حيث سندرك ونرى قسماً مهماً من ذلك الأذى الكثير الذي أخبر الله سبحانه وتعالى المسلمين أنهم سوف يسمعونه من أهل الكتاب. وهذا أمر واحد من أمور كثيرة أخبر القرآن الكريم بأنها ستقع ووقعت فعلاً، وأخبر النبي ﷺ بحوادث ستقع ووقعت فعلاً مثلما أخبر .

الحقيقة الثالثة : إن البعض من تلك الصور المشوهة والتهم والافتراءات الباطلة التي رددَّها النصارى عبر العصور ، تـُهَمْ قديمة مستهلكة قال بها المشركون من كفار قريش منذ بعثة النبي ﷺ ، فعلى سبيل المثال ، نجد شيطنة الإسلام ، والتهمة الغربية الباطلة بأن القرآن إنما هو من الشياطين ، تهمة قديمة قال بها المشركون ، فردّ الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ (٣) ، ثم أخبر الله جل وعلا على من تنزّل الشياطين فقال: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ (٥) وتهمة أن محمد ﷺ كان رسولاً كاذباً ، وأنه كان ساحراً وأنه الذي اختلق وافترى القرآن من عنده ، تهم قديمة مستهلكة قال بها كفّار

(٢) آل عمران : ١٨٦ .

(٣) الشعراء : ٢١٠-٢١٢ .

(٤) الشعراء : ٢٢١-٢٢٣ = أيضاً عندما اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فجاءت إليه امرأة من المشركين فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ انظر: تفسير ابن كثير ، تفسير سورة الضحى . وسنرى أن هذه التهمة الزائفة ظلت تستهوي الكثير من رجال الدين في بيزنطة و الغرب .

(٥) التكوير : ٢٥ .

قريش أيضاً ، وسجّل القرآن هذه التهم الباطلة فقال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [6] ، كما ردّ الله تعالى على فرية اختلاق القرآن فقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [7] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [8]. وتهمة أن النبي ﷺ تعلّم من اليهود والنصارى تهمة قديمة مستهلكة قال بها المشركون حين زعموا أن النبي ﷺ كان يتعلّم من غلامين نصرانيين لا يحسنان العربية كانا يعملان في مكة بصقل السيوف [9]. فسجّل القرآن هذه التهمة وفنّدها ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [10]، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [11]. كما أن تهمة أن القرآن أساطير الأولين وخرافاتهم وأنها أمليت عليه تهمة قال بها كفّار قريش . قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [12]، وكذلك تهمة أن النبي ﷺ أضل أتباعه ، تهمة أيضاً قال بها المشركون فسجلها القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ [13]، وتهمة أن النبي ﷺ كان مجنوناً أو مصاباً بمرض عصبي تهمة قال بها

---

(٦) ص : ٤-٧ .

(٧) يونس : ٣٧-٣٨ .

(٨) النحل : ١٠٥ .

(٩) انظر: أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ج١/ ص١٦٥ .

(١٠) النحل : ١٠٣ .

(١١) الفرقان : ٤ .

(١٢) الفرقان : ٥ .

(١٣) المطففين : ٢٩-٣٢ .

كفّار قريش وسجلها القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ (١٤)، وقال سبحانه : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (١٥). والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم ، ولإثبات تهافت تلك التهم تحدّى الله سبحانه وتعالى المشركين أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله . وثبت عجزهم ، بل العجز قائم على كل البشر إلى الأبد ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١٦).

دوافع العدوان والتشويه والتلفيق

من الحقائق المسلَّم بها أن نجاح حركة الفتوح الإسلامية ، لاسيما في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقية والأندلس ، ودخول كثير من عامة النصارى في الإسلام ، وعقيدة التوحيد الخالص لله تعالى وحده، التي جاء بها الإسلام ، ونظرته للمسيح عليه السلام بوصفه عبد الله ورسوله ، التي تناقض معظم العقائد النصرانية السائدة في سائر العالم النصراني التي تقول بألوهية المسيح عليه السلام وإنكار القرآن لدعوى صلبة وقتله ، وشعور الكثير من رجال الدين النصارى بأن الإسلام يهدد مصالحهم وامتيازاتهم التي حازوها عبر القرون ، وخوفهم الشديد من دخول أعداد كبيرة من رعاياهم النصارى في الإسلام ، تُعتبر من الأسباب الرئيسة التي جعلتهم ينظرون للإسلام نظرة عدائية غير موضوعية، فعمدوا إلى تشويه صورته وتلفيق التهم والافتراءات عن الإسلام ونبيه محمد ﷺ ، ويعلق الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور على هذه المفتريات قائلاً : " ولا شك أن الافتراء على الإسلام وتراثه وحضارته ، يشكل اتجاهاً كنسياً قديماً يرجع إلى القرن السابع للميلاد ، عندما نجحت حركة الفتوح الإسلامية .. في انتزاع أقطار وبلاد عديدة من العالم المسيحي ، الأمر الذي أعقبه انتشار الإسلام بطريقة تدريجية هادئة بين أهالي تلك الأقطار والبلاد . وبعض هذه الأقطار –

---

(١٤) القلم : ٥١ .

(١٥) الحجر: ٦ .

(١٦) الإسراء : ٨٨ .

مثل الشام ومصر – ارتبطت بأصول المسيحية الأولى ، وكانت المسرح الأول لتحركـات المسـيح عيسى بن مريم عليه السلام ونشاطه ، كما أن أهالي تلك البلاد كان لهـم دور بـارز في الـدفاع عـن المسيحية، والصمود ضد ما نزل بهم من اضطهاد على أيدي حكومة الرومان الوثنية ، فضـلاً عـن جهودهم في تطوير الفكر المسيحي ، وإقامة بناء الكنيسة وابتكار الرهبانية والديرية.

ويبدو أن خروج تلك البلاد والشعوب من حظيرة المسيحية ، أفزع الكنيسة وآلمهـا. ولمـا كانت أحوال العالم المسيحي في الشرق والغرب جميعاً لا تساعد عندئـذ علـى مواجهـة التوسـع الإسلامي بالقوة ، فإنه لم يعد في وسع الكنيسة ورجالها سوى الافتراء على الإسلام وأهله، وتشـويه صورته بأخبار مختلقة ، ورسم صورة كاذبة بعيدة عن الواقع له ، لتشفى صدرها من ناحية ، وتحتفظ لنفسها في نظر رعاياها بصورة أقل اهتزازاً من ناحية أخرى " (١٧).

ولعل من أوائل أساقفة النصارى الشرقيين الذين تحدّثوا عن الإسلام المؤرخ الأرمني سـيبيوس الذي عاش في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي وكتب تاريخياً عن عصر الإمبراطور البيزنطي هرقل. وكانت كتابته تتصف بالموضوعية حيث لم يتعمد التشويه الذي انتهجه الكتـاب النصـارى الذين كتبوا بعده حيث قال عن النبي محمد ﷺ ودعوته : " في ذلك الوقت ظهر رجـل مـن ولـد إسماعيل اسمه محمد كان تاجراً وقال للناس إن الله أرسله بدعوة الحق ، ولما كانت الـدعوة مـن الله اجتمع الناس بأمره ودانوا لشريعته ، وهجروا عبادة الأوثان الباطلة وأنابوا إلى الله الحي القيوم الذي ظهر لأبيهم إبراهيم وقد أمرهم محمد ألا يأكلوا الموقوذة ، ولا يشـربوا الخمـر ولا يكـذبوا ولا يزنوا"(١٨). ومن عجب أننا لا نجد أحداً من الكتّاب النصارى الذين جاؤوا بعده ، نقلوا عبارته هذه مثلما فعلوا مع كتابات الكتّاب النصارى المتعصبين الذين عمدوا إلى التشويه والتلفيق . ولا يوجـد

---

(١٧) مراجعات لكتابات بعض المستشرقين المحدثين عن الإسلام وحضارته ، منشور في كتـاب بحـوث في تـاريخ الإسلام وحضارته ، ط. القاهرة، ١٩٨٧م ، ص ١٣-١٤ .

(١٨) بتلر: فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد بـك ، القـاهرة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ص١٨٨ ، حاشية رقم (١) .

تفسير لإغفال الكتّاب لهذه العبارة إلا القول، إنه منذ وقت مبكر وقع الكتّـــاب النصـــارى تحـــت هاجس رفض الإسلام مطلقاً ، فلم يحاول أحد منهم فهمه على حقيقته ، بل اتجهوا إلى البحـــث في كل ما يمكن أن يشوه صورته ، واعتبروه تجسيداً للشر الذي أخذ يهـــدد النصـــرانية وانتشـــارها ووجودها ، ولذلك قاموا برفضه بالكلية .

يوحنا النقيوسي

أما أول رجل دين نصراني شرقي هاجم الإسلام فهو القبطي يوحنا النقيوسي الـــذي عاصـــر الفتح الإسلامي لمصر وأرّخ لحوادث ذلك الفتح ، وكان أسقفاً لمدينة نقيوس (أبشادي بمركز تـــلا منوفية) خلال الفترة ٤١-٤٧هـ/ ٦٦١-٦٦٧م [١٩]. لكنه اتصف بالتعصب ضـــد المســـلمين ، فوصف المسلمين بالوثنيين[٢٠]وبذلك يكون ثاني كاتب نصراني يُلصق تهمة الوثنية بالمســـلمين بعـــد أسقف بيت المقدس البيزنطي صفرونيوس . ويعلق على اعتناق بعض النصارى في مصـــر للإســـلام بقوله: " قوم ارتدوا عن دينهم المسيحي ودخلوا في دين البهائم "[٢١] .

وقد ظلت هذه التهمة الباطلة – تهمة الوثنية – تتردد دائماً على مر العصور علـــى ألســـنة الأساقفة ورجال الدين والمؤرخين الغربيين . حتى أصبحت جماهير غفيرة من سكان الغرب تعتقد بأن دين الإسلام – وهو دين التوحيد الخالص – هو دين وثني حيث غدت هذه التهمة عقيـــدة ضـــمن المعتقدات السائدة في الغرب عن الإسلام .

نبوءة ميثوديوس :

ومن الكتابات النصرانية الشرقية في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي نجد نصاً مكتوباً يصوّر المسلمين في صورة مرعبة مخيفة وهو عبارة عن نبوءة زائفة تسمى نبـــوءة ميثوديـــوس The

---

(١٩) ليلى عبد الجواد إسماعيل : الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين ، القـــاهرة، ١٩٨٥م ص٢٥ حاشية رقم (٣) .

(20) Kedar. Z . Benjamin : Crusade and Mission Eurpean Approaches Toward the Muslims Princeton university press , 1988. P.21 note, 41

(٢١) بتلر: المرجع السابق ، ص٣٠٥ ، وسيأتي الحديث عن موقف صفرونيوس في الكتاب الثاني إن شاء الله.

وهي مقالة صيغت على شكل نبوءة تتحدث عن المستقبل بحيث تبدو Prophecy of Methodius ، **وكأنها ظهرت قبل ظهور الإسلام ، بينما هي في الحقيقة قد كُتبت بعد نجاح حركة الفتوح الإسلامية. وهي أيضاً مقالة تبريرية، تُبرّر الهزائم التي حلّت بالنصارى أمام المسلمين بوصفها قدراً محتوماً ، وتشير في ألم وتوجع إلى اعتناق الكثير من النصارى للإسلام ، وتعطي الأمل بانتصار النصرانية في نهاية المطاف .**

وقد كُتبت هذه المقالة باللغة السريانية في شمال بلاد النهرين وترجمت فوراً إلى اللغة اليونانية، وفي أواخر القرن الأول الهجري / أوائل القرن الثامن الميلادي ترجمها إلى اللاتينية راهب فرنجي يُدعى بطرس كان يعيش داخل مملكة الفرنجة[٢٢] . وتزعم هذه النبوءة " بأنه بسبب آثام المسيحيين، فإن الإسماعيليين – أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام – سوف يثورون من صحراء إيثريبوم Ethribum **– يثرب أو المدينة – كالبركان ، ويغادرون الصحراء في أعداد هائلة وقوة ، ويفتحون سائر بلدان الشرق ويهاجمون صقلية [٢٣]، وأولئك الذين يعيشون سوف يقتربون إلى روما ، وفي الشرق سوف يتطلع الفاتحون إلى كل الموارد الممكنة ليحكموا العالم وفتوحاتهم الساحقة لن تنقطع بسبب اليتامى والأرامل والفقراء ، والمساكين ، وجميع أشجار الغابات سوف تُقطع ، وشكل الجبال سوف يخرّب، والبلدان سوف تتصحر ، والأمصار سوف تغدو بلا طرق ، والبشر ينقصون ... والإسماعليون سوف يهزؤون ويسخرون من جميع الرجال العقلاء ، ومعارفهم سوف تتقدم بحرية، ولا أحد سوف يكون قادراً أن يغيِّر ويناقش كلامهم هم سوف يكونون التمرد ، الذي طبقاً للرسالة الإنجيلية الثانية إلى أهل تسالونيكي يجب أن يسبق من حيث الترتيب مجيء المسيح**

(22) Alexander , p.J : Byzantiun and the Migration of Literary Motifs: The Lengend of Last Roman Emperor , Medievalia at Hamanistica Ns 2(1971), P.57; Kedar: op.cit, p.29

(٢٣) هذا يشير إلى أن هذه النبوءة كُتبت بعد أن غزا معاوية بن حديج الكندي في عصر معاوية بن أبي سفيان صقلية، بدليل أنها لم تتنبأ بأن المسلمين سوف يفتحون صقلية وهو الأمر الذي حدث في عصر الأغالبة في القرن الثالث الهجري / السابع الميلادي . وهذا القرينة التاريخية تفند رأي القائل بأن كاتب هذه النبوءة كان معاصراً للبطريرك صفرونيوس بطريرك بيت المقدس وسيبيوس الأرمني اللذان عاصرا الفتح الإسلامي لبلاد الشام .

الدجال[٢٤]. وذلك التمرد سوف يأخذ ضريبته من السكان النصارى الخاضعين ، فالكثيرون منـــهم سوف يتبرؤون من الإيمان الصادق ، ويرفضون صليب المسيح المانح للحياة ، وينكـــرون الأســـرار المقدسة ، في الواقع هم سيفعلون ذلك بدون إكراه ، ولا تعذيب ، ولا أسواط هم سوف يتنكـــرون للمسيح ويتبعون الآثمين ... ولكن في النهاية يظهر إمبراطور روماني وسوف يدِّمر إيثربيوم (يثـــرب) ويهزم الإسماعيلين ويخضعهم) [٢٥] .

وقد استهوت الترجمة اللاتينية لهذه النبوءة الكثير من القراء في أوروبا الكاثوليكيـــة طـــوال العصور الوسطى ، حيث بقيت أربع مخطوطات من هذه النبوءة مؤرخة في القرن الثامن المـــيلادي/ الثاني الهجري ، ونسخ أخرى كثيرة جداً نسخت في القرون التالية [٢٦]. بما يفسر الأثر الكبير الذي أحدثته في تشويه الرؤية الغربية تجاه الإسلام والمسلمين .

يوحنا الدمشقي (الرائد المؤسس للعدوان الفكري على الإسلام)

لاشك أن اهتداء الكثير من النصارى في بلاد الشام ومصر إلى الإسلام ، كما اعترفـــت بـــه النبوءة السابقة ، قد أثار حفيظة بعض رجال الدين المتعصبين الذين خشوا انقراض النصرانية وزوالها لحساب الإسلام ، فعمدوا إلى اختراع الوسائل لتثبيت النصارى على دينهم ومنع من يوشك منـــهم أن يعتنق الإسلام عن طريق اتهام الإسلام بالهرطقة والوثنية ، وتشويه سيرة النبي ﷺ ورسم صورة له

---

(٢٤) يشير هنا إلى رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي في الإصحاح الثاني حيث جاء قـــول بـــولس ١-٤ (ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه، أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهـــنكم ولا ترتاعوا بروح ولا كلمة ولا برسالة كأنها جنّا أي أن يوم المسيح قد حضر . لا يخدعنكم أحد على طريقة مـــا ؛ لأنه لن يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً ويستعلن إنسان الخطيئة ابن الهلاك) ونرى هنا صاحب هذه النبوءة يطبـــق الارتداد على المسلمين . وهو الارتداد الذي يسبق الدجال !!! وسنرى صدى هذا المفهوم الباغي عند كـــثيرين من الكتّاب الغربيين في الكتب التالية لهذا البحث .

(25) Methodius, Pseudo . Methodii Patarennsis EP . et Mort Revelations .In Magna Biblitheca Veterum Patrum. Cologne , 1618 . III. P36FF; Alexander , P.J: The Diffusion of Byzantine Apocalypses in the Medieval West and the Beginnings of Joochimism. " Un prophecy and Millenarianism: Essys in Honour of Marhorie Reevs, edited by Ann Williams . pp.53-106. London, 1980 pp.65-67.

(26) Kedar, op . cit . p. 30 .

ملفقة بحيث تكون صورة كريهة في نظر النصارى لكيلا يقبلوا على اعتناق دينه . ويأتي علـــى رأس هؤلاء جميعاً يوحنا الدمشقي .

سيرة يوحنا الدمشقي :

ينحدر يوحنا الدمشقي من أسرة دمشقية نصرانية ثرية . واسمه منصور بـــن ســـرجون بـــن منصور[٢٧]. وكان جده منصور بن سرجون يتولى وظيفة مالية مرموقة في دمشق قبيل فتح المسلمين ، وعندما حاصر المسلمون دمشق يبدو أن منصور بن سرجون قام مع أسقف المدينة بدور مهـــم في مفاوضة خالد بن الوليد وتسليم دمشق إليه سنة ١٤هـ / ٦٣٥م[٢٨] . ويرى بعض البـــاحثين أن أسرة يوحنا الدمشقي ترجع إلى أصل يوناني [٢٩]. ويعتقد البعض الآخر أنها من أصل عربي ، ربما من قبيلتي كلب أو تغلب ، ويستدل هذا الفريق الأخير على رأيه بأن اسم منصور اسم غريب إزاء علم تسمية الأعلام في اللغة اليونانية ، إضافة إلى أن يوحنا الدمشقي كان يُصوَّر في الأيقونات (الصـــور) البيزنطية برأسه المغطى بعمامة [٣٠].

وعندما انفرد معاوية بن أبي سفيان بالخلافة سنة ٤٠هـ/ ٦٦١م أســـند إلى منصـــور بـــن سرجون – جد يوحنا الدمشقي – منصباً رفيعاً في الإدارة الحكومية ، يبدو أن ذلك المنصب ارتبط على وجه التخصيص بالمسائل المالية ، وقد نجح منصور في القيام بمهام وظيفته بدليل أن كلاً من ابنه سرجون وحفيده يوحنا الدمشقي شغلا هذه الوظيفة التي انتقلت مـــن جيـــل إلى جيـــل في هـــذه العائلة[٣١].

---

(27) Moshe Gil : Ahistory of Palestine 634-1099 A.D Translated From Hebrew by Ethel Broido. Cambridge, 1997. P. 443.

(28) Daniel J . Sahas : John of Damascus on Islam The " Heresy of the Ishmaelites" Leiden, 1972. Pp. 17-22 .

(٢٩) حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص١١٣؛ الســيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، بيروت ١٩٨٢م ، ص٢٠٥ .

(30) Joseph, Nasrallah: Saint Jean de Damas .Sonepoque, Don Epoqe, Sa Vie, Son Oeuvre Paris : Office des Editions Universitaires , 1950 . p. 16 ; Sahas : op. cit. p.7.

(31) Sahas : op. cit . p.26 ; Nasrallah : op . cit . p.9 .

وُلد يوحنا الدمشقي على أرجح الأقوال بين سنتي ٣٥-٤٠هـ/ ٦٥٥-٦٦٠م[٣٢] ونشأ في كنف والده ، سرجون بن منصور ، الموظف الكبير في الإدارة الأموية . ويبدو أن يوحنا "منصور" تلقى في باكورة حياته تعليماً عادياً على غرار التعليم الذي يتلقاه أبناء الموظفين الكبار في البلاط الأموي . وفي سنة ٤٤هـ / ٦٦٤م يسجل المؤرخ البيزنطي ثيوفانس المعترف خبر حملة إسلامية غزت جزيرة صقلية[٣٣]. وعادت الحملة بأسرى كثيرين حُملوا إلى دمشق[٣٤] . وكان ضمن الأسرى راهب صقلّي أصله من جزيرة كريت وينتمي إلى أسرة يونانية شهيرة ، عُرفت بتدينها ، وصدقاتها. وكان متضلعاً في علوم كثيرة ، وأسمه قزما Cosmas ، وكان سرجون بن منصور يتطلع إلى معلم من طراز قزما لتعليم ابنه منصور ، وابنه المتبنّ الذي كان يتيماً واسمه أيضاً قزما، والذي كان قد أخذه من القدس ، وتبناه وجعله أخاً لابنه منصور، ولما قابل سرجون الراهب قزما وعرف قصته التمس من الخليفة أن يعتقه فأعتقه له واتخذه معلماً لابنه منصور وابنه المتبنَّى قزما ، وعندما ذهب به إلى بيته وتحادث معه في حضور ابنه منصور ، أفصح الراهب عن أمنية كانت تساوره وهي أنه كان يتمنى أن يكون له ولد مشابهاً ومساوياً له حتى ينقل إليه علومه ومعرفته الواسعة وأنه يرجو أن يحقق أمنيته في منصور بن سرجون . وهكذا تعلّم منصور " يوحنا" من أستاذه قزما علم البيان باللغة اليونانية ، والطبيعيات وعلم الحساب ، وعلم الهندسة ، والموسيقى ،

أشارت بعض المصادر الإسلامية إلى وظيفة سرجون بن منصور والد يوحنا عند حديثها عن معاوية بن أبي سفيان فقال خليفة بن خياط في تاريخه " وعلى الديوان وأمره كله سرجون بن منصور الرومي " ص٢٢٨ ؛ وقال آخرون عن معاوية "وكان كاتبه وصاحب سره سرجون بن منصور الرومي " الطبري ، ج٥/ص٣٣٠ ؛ ابن الأثير ، ج٤/ ص١١ ؛ ابن كثير ، ج٨/ص١٤٦.

(32) Nasrallah, Op. cit , p. 58 ; Sahas , op.cit , pp. 38-39.

(٣٣) يبدو أن تلك الحملة هي الحملة الأولى التي وجهها المسلون إلى جزيرة صقلية زمن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ، والتي أشار إليها البلاذري في فتوح البلدان إلا أنه لم يحدد السنة التي حدثت فيها ، إذ يقول : (غزا معاوية بن حديج الكندي أيام معاوية صقلية، وكان أول من غزاها) البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطبّاع وعمر أنيس الطبّاع ، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٣٢٩ .

(34) Theophanes the Confessor : Chronogrophia, EX Recensione Ioannis Classeni, Vol. XXXIX, Corpus Scriptoprum Historiae Byzantinae. Bonnae : Ed . Weber 1839. P. 532 .

والتنجيم ، وعلم اللاهوت ، والفلسفة. وأظهر قدرة وبراعة في تحصيل وإتقان تلـك العلـوم(٣٥) . وكان يؤلف باليونانية ، وتكلم في حياته اللغة الأرامية ، كما كان يُحسن العربية (٣٦).

وبعد وفاة سرجون بن منصور، الذي ظل يلي منصبه الإداري طوال عهد الخليفة عبد الملـك بن مروان (٦٤-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م) ، خلفه ابنه منصور (يوحنا) في منصـبه ، وترقـى في منصبه إلى مكانة رفيعة ، وظل يتولى منصبه حتى أوائل عهد الخليفة هشام بن عبـد الملـك حيـث اعتزل حوالي سنة (١٠٦هـ/ ٧٢٧م) بعد حقبة طويلة قضاها في الإدارة الأموية . والتحق بـدير سابا في فلسطين وقضى بقية حياته في ذلك الدير منكباً على تأليف كتبه ورسائله الكـثيرة ، حـتى توفي قرابة (سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م) (٣٧).

مؤلفات يوحنا الدمشقي

وقد صنّف يوحنا الدمشقي باللغة اليونانية مؤلفات كثيرة، أكبرها حجماً وأكثرهـا شـهرة كتابه المعروف باسم " ينبوع المعرفة " ، الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام كبيرة، القسـم الأول أفـرده للمنطق والفلسفة ، ولخّص فيه آراء علماء الكنيسة، والقسم الثاني جعله عـن الهرطقـات الـتي انشـقت عن النصرانية وعددها (١٠١) مئة وواحد هرطقة . واعتبر هذين القسـمين ممهـدين للقسم الثالث الذي أفرده لشرح العقيدة الأرثوذكسية التي ينبغي على النصارى – حسب رأيـه – أن يلتزموا بها(٣٨).

وما يهم هنا هو القسم الثاني من كتابه الذي تناول فيه ما اعتبره الهرطقات التي انشقت عـن المسيحية ، حيث أفرد لكل هرطقة فصلاً خاصاً ، على أن حديثه عن كل هرطقة كـان في معظـم

---

(35) Sahas : op. cit . pp.39-41 ; Nasrallah : op . cit . pp.61-62 .

(٣٦) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج٢ ترجمة كمال اليازجي ، بيروت ، ١٩٥٩م ص١١٦.

(37) Sahas : op. cit . pp.41-48.

فيليب حتي: تاريخ سورية ، ج٢/ص١١٦ .

(38) Sahas: op.cit. pp. 51-58 .

يقول فيليب حتّى عن يوحنا الدمشقي وكتابه " ينبوع المعرفة " (وكان هذا الكتاب أول " خلاصة لاهوتية" وصلت إلينا . وقد اعتمده بطرس اللومباردي وتوما الأكويني ، وغدا المرجع المعتمد لمشاهير علماء الدين ممن جاء بعدهما . وقد نُقل الكثير من مؤلفات يوحنـا إلى اللسان اللاتيني . واتفقت الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية على اعتباره قديساً) فيليب حتّ : تاريخ سورية ، ج٢/ص١١٦ .

الأحيان لا يتعدى أسطر قليلة . لكن الفصل رقم مائة ومائة وواحد في هذا القسم أفرده للحـــديث عن الإسلام وجعله بعنوان " هرطقة الإسماعيليين " ، ويقصد بالإسماعيليين ، العرب المسلمين، أبنـــاء إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام . ويقع هذا الفصل في زهاء تسعة أعمدة ، مكونة من مئة واثنين وستين سطراً باللغة اليونانية ، كما هو في طبعة مين Mugne[٣٩].

رائد حوار أم رائد عدوان

ويجدر بنا هنا – قبل أن نستعرض فصل يوحنا الدمشقي عن الإسلام – أن نشير إلى أن بعض الباحثين الغربيين اعتبروا يوحنا الدمشقي المؤســس الجــدي والرائــد الأول للحــوار المســيحي الإسلامي[٤٠]. وفي هذا القول – في الواقع – تجنٍ واضح على الحقيقة التاريخية . فلم يحدثنا التاريخ ولم نسمع أن يوحنا الدمشقي – وهو أشهر علماء : الكنيسة في عصره – قد دخــل في حــوار أو جدل مباشر مع علماء الإسلام المعاصرين له بغية الوصول إلى الحــق مثــل الحســن البصــري ، والأوزاعي ، ومالك بن أنس ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومكحول الشامي وغيرهم . والحــق أن يوحنا الدمشقي ليس الرائد الأول للحوار المسيحي الإسلامي . بل هو الرائد الأول والمؤسس لكــل الصور المشوهة والملفقة عن الإسلام ، وواضع المنهج الأساسي للعدوان الفكري الغــربي النصــراني على الإسلام ونبيه محمد ﷺ كما سنرى بعد قليل ، ذلك أنه لم يكن يهدف إلى تأسيس حوار نصراني إسلامي بغية الوصول إلى الحق ، وإنما كان يهدف إلى بناء موقف نصراني شديد العداء للإسلام عــن طريق تشويه صورة الإسلام وصورة نبيه محمد ﷺ وتلفيق صور خيالية جامحة لا أساس لها من الواقع التاريخي بهدف منع النصارى من التأثر بالإسلام وتحصينهم بتلك الصور المشــوهة والملفقــة عنــه للحيلولة بينهم وبين اعتناقه . ولو أن يوحنا الدمشقي كان منصفاً لما عمد إلى التشويه والتلفيــق – وهو يكتب لجمهور يتحدث باليونانية – وإنما كان عليه عرْض حقائق الإسلام ومبادئه كاملة مجردة

(39) Migne : Patrologiae Cursus Completus . Series Graeca Prior, Edition. By Jacques Paul Migne , 1857-1866, Volume , 94, Columns, 764-773.

(40) Sahas , op.cit. pp. XI-XIII, P.129 ; Daniel , Norman: Islam and the West . the making of an Image. Oxford, 2000, pp.13-14.

كما هي وترْك قومه النصارى ينظرون فيها فإما أن يقبلوها أو يرفضوها. وهذا المنهج الذي سار عليه يوحنا الدمشقي من التشويه والتلفيق ، هو الذي سار على غراره معظم من جاء بعده من كتّاب بيزنطة والغرب .

هرطقة الإسماعيليين

يبدأ يوحنا الدمشقي فصله بعنوان : " هرطقة الإسماعيليين" (٤١) وهو بذلك يوطِّد لموقف مسبق سلفاً لكل نصراني يقرأ فصله . وقد نجح في هدفه هذا إلى حد عجيب ، فأصبح أكثر رجال الدين النصارى في بيزنطة والغرب المتعاملين مع الإسلام والمجادلين ضده ينطلقون من اعتبار الإسلام هرطقة أي ما قرّره يوحنا الدمشقي ، وعلى هذا الأساس يحددون الهدف ، وهو وجوب تفنيد ودحض تلك الهرطقة المزعومة ، ومن ثمة يبدأون في جميع موادهم المغرضة لتحقيق ذلك الهدف . ولذلك من الطبيعي أن تأتي كتاباتهم منحرفة أشد الانحراف ومفتقرة تماماً لكل مصداقية . لأن المنطلق الصحيح لدراسة أي شيء دراسة علمية صحيحة يبدأ باعتبار ذلك الشيء ظاهرة مجهولة للباحث . ثم يبدأ بجمع أكبر قدر ممكن من الحقائق عنها مع طرح الأوهام والآراء المغرضة، والتصورات المسبقة سلفاً . فهذا المنهج سوف يؤدي به إلى الحكم الصحيح على تلك الظاهرة. والحق أن هذا المنهج لم يسلكه إلاّ القليل النادر من الباحثين النصارى وهم الذين هداهم بحثهم المجرد إلى الاقتناع بالإسلام واعتناقه .

اعتباره عقيدة الإسلام خرافة مضللة

وبعد العنوان يبدأ يوحنا الدمشقي حديثه الظالم عن الإسلام فيقول : (يوجد هناك ذلك المعتقد الخرافي المضلِّل للإسماعيليين ، الذي لا يزال منتشراً وهو السابق للمسيح الدجال) (٤٢) ، فيوحنا الدمشقي يصف الإسلام بأن المعتقد الخرافي المضلِّل، وكأنه بذلك يستعيد تهمة المشركين القديمة : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٤٣)، ووصفهم

(41) Migne: op.cit . Vol , 94, col , 764 ; Sahas : op . cit . p. 133 ; Kedar: op. cit, p.18.
(42) Migne : op.cit, Vol , 94, Col 764 ; Sahas , op.cit, p. 134

(٤٣) الفرقان : ٥ .

للمسلمين بالضالين : ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ (٤٤). ويمكن أن نستشف من وصف يوحنا للإسلام بالمضِّلل ، امتعاضه وحقده من دخول كثير من النصارى في الإسلام في عصره . أما وصفه للإسلام بأنه النذير بالمسيح الدجال أو السابق له ، فكأنه يقتبس نبوءة ميثوديوس الآنفة الذكر التي وصفت الإسلام بالتمرد الذي يسبق المسيح الدجال(٤٥) . غير أنه أصبح لهذه الرؤية الباغية صداها في كتابات الكثير من الغربيين عبر العصور ، كما سنرى .

وصفه المسلمين بأنهم عبيد سارة

وبعد وصف يوحنا الدمشقي للإسلام بأنه : " المعتقد المضِّلل للإسماعيليين" يعلِّل هذه التسمية فيقول : (هو يأخذ أصله من إسماعيل الذي وُلد لإبراهيم من هاجر. وذلك هو السبب أنهم يُدعون هاجريين وإسماعيليين ، هم أيضاً يعتبرونهم ساراقينوس ، بالإدعاء نظراً لإنها طُردت من جانب العقيمة سارة، لأجل أن هاجر قالت للملاك سارة طردتني بعيداً جائعة)(٤٦). وعندما يقول يوحنا، هم أيضاً يعتبرونهم سارا قينوس ، فيبدو أنه يشير إلى الروم (البيزنطيين) . والواضح أن يوحنا الدمشقي استخدم كلمة ساراقينوس (Sarras Xenous) في وصف العرب أبناء إسماعيل وهذه الكلمة استخدمها البيزنطيون منذ وقت مبكر كما سنرى للإشارة إلى العرب من بني إسماعيل . وتسللت الكلمة بعد التحوير والتعديل إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية الحديثة، وقد أثارت الكلمة حيرة الباحثين الغربيين قديماً وحديثاً . وحاولوا تفسيرها ، فلم يستطع أحد منهم الوصول إلى التفسير الصحيح(٤٧). ودخلوا في نقاشات عقيمة لا جدوى منها. ولكني وجدت التفسير السليم لهذه

---

(٤٤) المطففين : ٣٢ .

(٤٥) انظر قبل .

(46) Migne : op . cit, Vol, 94, Col, 764 ; Sahas , op.cit, p.134

ويبدو أن يوحنا الدمشقي يعتمد هنا على سفر التكوين ، ٢١ : ٩-١٤ .

انظر على سبيل المثال :

(47) Southern , R.W: Westrn Views of Islam in the Middle Ages / London, 1978. P.17 and ,note, 11 ; Connel , Charles William: Westen Views of the Tratars, 1240-1340. Unpublished ph . D. Rutgers State Unviersity, 1964. Xeroxed by University Micro Films International Ann Arbor,Michigan, U.S.A . PP.28-29, Daniel , Norman: the Arabs and Mediaeval Europe . London, 1975. P. 53 ;

الكلمة بعد العثور على نص عند المؤرخ المسلم المسعودي فكان هو مفتاح الحل فأقول : لم تقتصر الرؤية البيزنطية المغرضة – المؤسسة على آراء يوحنا الدمشقي – تجاه العرب المسلمين على الهجوم الحاقد على دينهم ونبيهم محمد ﷺ ، بل إن الاسم الذي أطلقوه على العرب المسلمين – سيما بعد انتصارات المسلمين عليهم في الشام ومصر وغيرها – يتضمن التحقير والإهانة ، يقول المسعودي عن الإمبراطور البيزنطي نقفور الأول (٨٠٢–٨١١هـ/ ١٨٦–١٩٥هـ) (وأنكر على الروم تسميتهم العرب، ساراقينوس ، تفسير ذلك عبيد سارة طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل وأنها كانت أمة لسارة ، وقال تسميتهم عبيد سارة كذب ، والروم إلى هذا الوقت – أي زمن المسعودي– تسمى العرب ساراقينوس) [٤٨].

وهذه الكلمة تنطق باللغة اليونانية المتأخرة – في العصر البيزنطي – Sarakenos تماماً مثلما أوردها المسعودي ، وقد انتقلت إلى اللغة اللاتينية المتأخرة – في العصور الوسطى – بلفظ السرازانيين – Saracenus – وهذه الكلمة هي الشائعة – كما هو معروف للمؤرخين – في سائر المصادر اليونانية واللاتينية التي تتحدث عن العلاقات مع العرب والمسلمين . وتشير قواميس اللغات الأوروبية إلى أن كلمة سرازاني Saracen التي تعني عربي ، أو مسلم ، مأخوذة من سارة زوجة إبراهيم المذكورة في الكتاب المقدس ، وكلمة Sarasm تأتي بمعنى سخرية وتهكم . وهي تعني في القاموس كلمة جارحة ساخرة تهدف إلى الانتقاص من الشيء الذي تطلق عليه أو الغمز فيه والفعل الأغريقي الأصلي للكلمة هو Sarkazein ومعناه يعض شفتيه من الغيظ [٤٩] .

الأمير شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا ؛ وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، بيروت ١٩٨٣م ، ص٣٠ حاشية رقم ٢ ، ص٢٦١–٢٦٢ .

(٤٨) المسعودي : التنبيه والإشراف ، تصحيح عبد الله الصاوي ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م ، ص١٤٣.

(٤٩) علي محمد عودة : الرؤية الأوروبية للعرب والإسلام خلال العصور الوسطى ، في كتاب : العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ ، حصاد (٧) ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب بمقره في القاهرة ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ص٦٤ . ومن عجب أن هذه الكلمة لم تطلق أبداً على أي عربي نصراني ، مما يوضح أن الهدف من الكلمة تحقير المسلمين فقط .

تعريفه بعقائد العرب في الجاهلية

ويتحدث يوحنا الدمشقي عن العرب (أبناء إسماعيل) في الجاهلية فيقول : (هؤلاء – بعد ذلك – كانوا وثنيين ، وهم بجَّلوا نجمة الصباح ، وأفروديت Aphrodite ، التي هـم على نحو بارز دعوها هابار Habar في لغتهم الخاصة ، التي تعني "عظيم " لذلك حتى أوقات هرقل هـم كانوا بدون شك وثنيين)[٥٠] . وهنا نلاحظ أن يوحنا الدمشقي لم يكتف بالإشارة إلى حقيقـة أن العـرب (أبنـاء إسماعيل) كانوا وثنيين في الجاهلية – وهي الوثنية التي حاربها القرآن الكريم ، وقضى عليهـا الـنبي محمد ﷺ – بل عمد إلى التلفيق والاختراع فزعم أن العرب بجَّلوا نجمة الصباح ، أي الزهرة، وهـي التي سماها الرومان فينوس Venus وعبدوها، واعتبروها إلاهة الحب والعشق والجمال، كما زعم أن العرب عبدوا أفروديت Aphrodite ، وهي التي عبدها الأغريق (اليونان) واعتبروها إلاهة الشـهوة والحب والجمال. وسنرى أنه كان لهذه الفرية أثر بعيد على كتّاب الغرب الذين بنوا عليها خيالات جامحة وتصورات عجيبة ، حيث فسَّروا بعض شعائر الإسلام من منظور جنسي شهواني[٥١] .

اتهامه النبي ﷺ بالكذب والتعلم من راهب أريوسي

ثم ينتقل يوحنا الدمشقي إلى النبي ﷺ فيقول : (منذ ذلك الوقت بعد ما ظهر بينهم رسـول كاذب – وحاشاه أن يكون كذلك – يلقَّب معميث Mameth الذي كان بالمصادفة قد تعرّض للعهد القديم والعهد الجديد ، وعلى نحو معتقد قابل راهباً أريوسياً ، الذي صاغ له هرطقته الخاصـة)[٥٢] ، وهنا نلاحظ أن يوحنا الدمشقي يصف الرسول ﷺ بالكاذب مثلما قال كفار قريش: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾[٥٣] . ونجد يوحنا الدمشقي يخطئ في لفظ وكتابة اسم النبي محمداً ﷺ فيقول معميث Mameth . وجدير أن نشير هنا إلى أن جميع الكتّاب الغربيين الذين كتبـوا عن محمد ﷺ بصورة حقودة شديدة الطعن تتسم بالهذر والإسفاف والعبـارات النابيـة والألفـاظ

---

(50) Migne: op. cit , Vol . 94 , Col 764 ; Sahas , op . cit , p. 134 .

(٥١) ستأتي أمثلة في الكتب التالية لهذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(52) Migne: op. cit , Vol , 94 , Col , 764-765 ; Sahas , op.cit, p.134 .

(٥٣) ص : ٤ .

البذيئة ، وقعوا فيما وقع فيه يوحنا الدمشقي ، فلم يستطيعوا أن يلفظوا أو يكتبوا اسمه بشكل صحيح فلا نجد في اسمه – في أغلب الأحيان – حرف الدال D الذي يُعد ركناً أساسياً في اسمه . والحرف موجود في اللغة اليونانية ، واللاتينية وسائر اللغات التي تفرعت منها أما حرف الحاء فلا يوجد عندهم مطلقاً ، فهم يشتمون ميوميث Muameth وموعمت Moamet وماهمت Mahmeth ، وماهوميث Mahometh وماكوميتوس Macometus ونحو ذلك . وهذا يذكرنا بنزول سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ حين جاءت أم جميل بنت حرب ، إمرأة أبي لهب ، وهي تنشد : مُذَمَّمٌ أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا. ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر ﷺ ، فسألت أبابكر إن كان النبيﷺ قد هجاها، فنفي ذلك. وكان الكفار من قريش من شدة كراهيتهم للنبي ﷺ لا يسمّونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون مذمم، وإذا ذكروه بسوء قالوا فعل الله بمذمم ، ومذمم ليس هو اسمه ولا يُعرف به فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره . وكان النبي ﷺ يفرح لأن المشركين يسبون مذمماً فيقول : ((ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ؟ يشتمون مذمماً ، ويلعنون مذمماً ، وأنا محمد)) [٥٤] . وهكذا سار يوحنا الدمشقي وأولئك الكتاب البيزنطيون والغربيون من بعدهم على خطى كفار قريش ، فهم يشتمون معميث وموعميث، وماهمث ، وما هوميث ، وماكميتوس ، وماهوم ، ونحو ذلك ، حيث صُرفوا عن اسمه الحقيقي الدال عليه وهو محمد ﷺ . وهذا إعجاز في حد ذاته ودليل من دلائل نبوته ﷺ .

ثم يزعم يوحنا الدمشقي أن رسول الله ﷺ تعرض ، أو تعرّف ، على العهد القديم والعهد الجديد [الكتاب المقدس عند أهل الكتاب] . وهذه فرية يشهد الواقع التاريخي بكذبها حيث كان النبي ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا

(٥٤) صحيح البخاري (فتح الباري) ط القاهرة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، حديث رقم (٣٥٣٣) ج٦/ص٦٤١، ٦٤٥؛ وانظر أيضاً : أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ط١ المدينة المنورة ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ج١/ص ١٤٧-١٤٨ .

لَٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [(٥٥)] ، بل وحتى على فرض أن رسول الله ﷺ كان قارئاً أو كاتباً ، ما جاز لأحد أن يرتاب ، فهذا القرآن يشهد بذاته على أنه ليس من صنع البشر . فهو أكبر جداً من طاقة البشر، ومعرفة البشر، وآفاق البشر . والحق الذي فيه ذو طبيعة مطلقة كالحق الذي في هذا الكون . وكل وقفة أمام نصوصه توحي للقلب بأن وراءه قوة ، وبأن في عباراته سلطاناً لا يصدران عن بشر[(٥٦)] . غير أن هذا الزعم الباطل الذي اخترعه يوحنا الدمشقي ، انتشر عند كُتَّاب الغرب طوال العصور الوسطى وتلقفه عنهم معظم المستشرقين في العصور الحديثة.

ثم يزعم يوحنا الدمشقي أن محمداً ﷺ قابل راهباً أريوسياً [(٥٧)] وأنه هو الذي شكَّل له هرطقته هرطقته الخاصّة. ويبدو أن يوحنا الدمشقي يشير هنا إلى قصة الراهب بحيرا ، دون أن يصرِّح باسم ذلك الراهب . وهذه القصة وردت في بعض كتب الحديث والسيّر بأسانيد مرسلة وضعيفة وملخصها أن أبا طالب اصطحب معه في إحدى رحلاته التجارية إلى الشام محمداً ﷺ وهو لا يزال في سن مبكرة، في التاسعة أو العاشرة، أو الثانية عشرة من عمره، على اختلاف الروايات . وأن راهباً نصرانياً يدعى بحيرا دعا أبا طالب وأصحابه إلى طعام في صومعته بمدينة بصرى بالشام ، وأنه تعرّف على محمد ﷺ ، وعرفه بخاتم النبوة بين كتفيه وأعلن أنه هو النبي المنتظر ، وأنه حذّر عمه أبا طالب من أن يراه اليهود أو الروم فإنهم سيقتلونه فأعاده أبو طالب إلى مكة [(٥٨)] . وقد فنّد الحافظ

---

(٥٥) العنكبوت : ٤٨ .

(٥٦) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٥ / ص٢٧٤٦ .

(٥٧) نسبة إلى أحد رهبان الإسكندرية ويدعى أريوس السكندري (حوالي ٢٥٠ – ٣٣٦م) الذي كان يقول بأن المسيح مخلوق بشر ، وأنه أقل من الله في الجوهر ، وبالتالي فإنه أقل منه مرتبة ، وأضاف بأنه لابد أن يكون هناك وقت لم يكن فيه المسيح مخلوقاً، وكان فيه الله الخالق وحده . فأنكر أريوس ألوهية المسيح ، وأنكر صفة الشبه بين الله والمسيح . انظر حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص٢٨-٢٩ .

(٥٨) سنن الترمذي ج٥/ص٥٩٠-٥٩١، حديث رقم (٣٦٩٩) ؛ الحاكم : المستدرك ج٢/ص٦١٥-٦١٦؛ ابن أبي شيبة : المصنف ، تحقيق مختار الندوي ، بومباي الهند ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ج٢/ ص٢٨٦-٢٨٩؛ البيهقي : دلائل النبوة ج٢/ ص٢٤-٢٥؛ أبو نعيم : دلائل النبوة ج١ / ص٢١٧-٢١٨ ؛ ابن سعد الطبقات الكبرى ج١/ ص١٢٠، ١٥٣ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأخيه، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج١/ص٧٦-٧٧؛ السيوطي : الخصائص الكبرى ج١/ص٢٠٨-٢٠٩ ؛ الخطيب البغدادي :

الذهبي هذه القصة سنداً ومتناً[٥٩] .

وحتى لو افترضنا جدلاً صحة الرواية ولقاء النبي ﷺ في صغره بالراهب بحيرا فهو لقاء لم يتجاوز ساعة طعام سأل فيها الراهب بحيرا عن الصغير محمد وأحواله، ولم يتحدث معه في شيء من أمور الدين وكان غالب حديثه مع عمه ، هذا فضلاً عن حاجز اللغة بين الجانبين . وهكذا يزعم يوحنا الدمشقي أن بحيرا هو الذي صاغ للنبي ﷺ دين الإسلام الذي يسميه " هرطقته الخاصة" وهذا يكشف مدى الظلم والبغي الذي ذهب إليه يوحنا الدمشقي ، فهل بمقدور لقاء قصير – مشكوك في صحته – بين طفل صغير وراهب مغمور أن يكون أساساً لعقيدة كاملة شاملة وسلوك إنساني رفيع ومنهج حياة مفصّل غيّر مجرى التاريخ البشري بأكمله وقلبه رأساً على عقب ، وأخرج البشرية من الظلمات إلى النور [٦٠] ؟؟؟؟

وسنرى في صفحات الكتب التالية لهذا الكتاب كيف نقل الكتَّاب الغربيون في العصور الوسطى هذا الزعم عن يوحنا الدمشقي وبنوا عليه خيالات جامحة . كما نقل الفرية عنهم كثير من المستشرقين في العصور الحديثة الذين زعموا أن محمداً ﷺ تلقى علم التوراة من الراهب بحيرا [٦١] .

تشويه صورة النبي ﷺ قبل البعثة

وبعد هذه الفرية الداحضة يواصل يوحنا الدمشقي حديثه عن النبي ﷺ فيقول : (وفيما بعد ، عن طريق الإدعاء ، هو دبّر أن يجعل الناس يعتقدون فيه بوصفه مرافقاً لخشية الله، هو نشر إشاعات أن كتاباً مقدساً أُنزل إليه من السماء . وهكذا هو أعدَّ بعض الآراء في كتابه الجديرة فقط

تاريخ بغداد ج١٠/ ص٢٥٢ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج١/ ص٥١٩-٥٢٠ ؛ الحلبي : السيرة الحلبية ج١/ص١٤٠-١٤٣ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج١/ص٤٠ .

(٥٩) الذهبي : السيرة النبوية ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م ، ص٢٨ .

(٦٠) للمزيد من التفصيل ع قصة بحيرا . انظر: رسالة الماجستير للدكتور خميس صالح محمد الغامدي . بعنوان: العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول ﷺ وهي رسالة أنجزها تحت إشرافي بجامعة أم القرى ١٤١٤هـ/ ص٨٢-٩٠ .

(٦١) عن ترديد المستشرقين لهذا الزعم انظر: المرجع نفسه ، ص٨٩ حاشية رقم (٣) ؛ العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ج١/ ص١١٠ .

بالضحك، هو سلمه إليهم بالتسلسل الذي هم يمكن يستجيبون معه . هو يقول : إنه يوجد هنـــاك رب واحد خالق للكل ، الذي لم يلد ولم يولد)[٦٢].

ونلاحظ هنا في بداية هذه العبارة أن يوحنا الدمشقي يضع قاعدة جديدة في تشويه سيرة النبي ﷺ في عيون النصارى ، حيث يشير باقتضاب إلى سيرة النبي ﷺ قبل البعثة، فلقد أجمعـــت مصـــادر وكتب السيرة ، على أن الله تعالى حفظ رسوله وصانه قبل البعثة من الوقوع في أقذار الجاهلية ، فلم يسجد لصنم قط ، وكان يتجنب كل العادات والأفعال السيئة التي كان يغشاها أقرانه في الجاهلية . واشتهر بالأخلاق الحميدة حتى عرفه قومه بلقب الصادق الأمين[٦٣] . وهنا يصل البغي والعـــدوان بيوحنا الدمشقي حداً يجعله يعتبر كل هذا إدعاءً وتدبيراً منه ليجعل الناس يعتقدون أنه كان مرافقـــاً لخشية الله.

وصف يوحنا للقرآن وعقائده

ثم يصل الحسد والبغي والعدوان بيوحنا الدمشقي حد الهذر والسفه عندما يقول إن النبي ﷺ "نشر إشاعات أن كتاباً مقدساً أُنزل إليه من السماء ، وهكذا هو أعدّ بعض الآراء في كتابه الجديرة بالضحك . ويوحنا الدمشقي ، يعلم أنه يوجه خطابه هذا إلى نصارى لا يتحـــدثون إلا باليونانيـــة . ويريد أن يحصِّنهم ضد اعتناق الإسلام ، ولا يمكن أن يتحقق له هذا إلا بالكذب والتشويه ، فيزعم – زوراً وبهتانا – أن ما في القرآن مجرد أراء أعدّها محمدﷺ جديرة فقط بالضحك. ولو أن يوحنـــا الدمشقي كان منصفاً مع قرائه ، لقدّم لهم ترجمة أمينة لبعض آيات وسور القرآن الكـــريم، وتـــرك الحكم لهم ، دون أن يعطيهم حكماً مسبقاً ظالماً بأن القرآن مجرد إشاعات نشرها محمد وأن ما فيـــه جدير بالضحك . ويكتم عنهم عقائد القرآن وشرائعه التي تتفق في أصولها وأسسها مع ما جاء بـــه الأنبياء من لدن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام . إن يوحنا الدمشقي يعلم علم اليقين

(62) Migne: op. cit , Vol , 94 , Col , 765 ; Sahas , op.cit , p . 134 .

(٦٣) انظر: مثلاً : العمري : السيرة النبوية الصحيحة ج١/ ص١١٤-١١٧ ؛ مهدي رزق الله أحمد : السيرة النبويـــة في ضوء المصادر الأصلية ، الرياض ١٤١٢هـــ/ ١٩٩٢م ، ص١٢٥-١٤٠ .

أن ما في القرآن من توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، يفــوق في سمــوه ونصــاعته ووضوحه وكماله ما جاء في العهد القديم والجديد. فهل كان في مقدوره – مثلاً – أن يأتي بأية مــن العهد القديم أو العهد الجديد تعادل قوله تعالى في القرآن : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [٦٤]، ويعرض ذلك مع معنى هذه الآية الكريمة التي تشتمل على التوحيد الخالص لله تعالى وأنه لا معبود بحق إلا هو ، وأنه الحيّ ذو الحياة الكاملة المطلقة، القيّوم الذي قام بنفسه وقام بسائر خلقه. المالك لكل ماحوته السموات والأرض ، وهو الخالق الرازق المدبر، وما سواه مخلوق مرزوق لا يملك لنفسه ولا لغــيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. ولا يملك أحد من خلقه الشفاعة عنده إلا بأذنــه ، العلــيم بكل شيء ، والخلق ليس لهم من الأمر والعلم شيء إلا ما علمهم الله تعالى وهداهم لمعرفتــه . وأن كرسيه وسع السموات والأرض والكون كله . والكرسي ليس أعظم مخلوقاته . بل هو في العــرش أشبه بدرهم في فلاة . وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار فكيف بعظمة خالقهــا ومبدعها جلّ شأنه الذي لا يثقله ولا يعجزه حفظ السموات والأرض وما فيها ، وهو العلي فــوق عرشه القاهر لجميع مخلوقاته، العظيم الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة ، وتصغر في جانب جلاله له أنوف الملوك وسائر القوى القاهرة [٦٥].

من المحقق أن يوحنا الدمشقي ومن سار على نهجه ، لن يجدوا في العهد القديم ولا في العهــد الجديد آية تضاهي هذه الآية القرآنية العظيمة التي تضمنت توحيد الله سبحانه في ألوهيته وربوبيتــه وأسمائه وصفاته . بل ليس في وسعهم عرض معنى هذه الآية الكريمة أمام أتباعهم مع قانون عقيــدتهم النصرانية الذي يقول : (نؤمن بالله الواحد الأب ، مالك كل شيء صانع ما يرى ومــا لا يــرى ،

(٦٤) البقرة : ٢٥٥ .

(٦٥) للمزيد عن تفسير هذه الآية انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنــان ، تحقيق : عبد الرحمن اللّويحق ، بيروت ١٤٢٣هـــ / ٢٠٠٢م ، ص١١٠ .

ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، وُلد من أبيه قبل العوالم كلـها، لـيس بمصنوع إله حق من جوهر أبيه ، الذي بيده أُتقنت العوالم كلها، وهو خالق كـل شـيء ..) [٦٦] ، فهذا القانون ينقض بعضه بعضاً ، ففي أوله الشهادة لله بأنه واحد، ويليه الشهادة عليه تعالى بأن لـه ولداً وهو إله مثله ، وأنه من جوهره ، وهذا في غاية الكفر والشرك، وفي غاية الضـد والتنـاقض لوحدانية الله الواحد الأحد لا شريك له ولا شبيه تبارك الله وتقدس عن كفرهم ، وقد جـاء في أول هذا القانون : أن الله خالق كل شيء ثم فيما بعد ، ونؤمن بأن المسيح خالق الأشياء كلها الذي بيده أُتقنت ، فأثبت أن مع الله إلهاً خالقاً لكل شيء . وهذا من أفضح التناقض ، وكذلك قوله : إن الله تعالى صانع ما يُرى وما لا يُرى ، فدخل فيه المسيح لأنه بالضرورة مما يُرى . ثم أعقب ذلك بقوله : المسيح خالق كل شيء ، وأنه غير مصنوع ، وهذا تناقض ورعونة لو ميزتها البهائم لأنكرتها علـى النصارى . وقد قال : " وُلد من أبيه قبل العوالم ، وهو بكر الخلائق كلها" فمتى خلق كل شيء قبل ميلاده وهو عدم ؟ أو بعد ميلاده وهو صبي رضيع ؟!! ومن كان يدبر السـموات والأرض ومـن فيهما قبل ميلاده وإيجاده ؟ وكيف يكون بكر الخلائق وهو الخالق لجميعها بزعم هذا القانون ، لأن معنى قوله بكر الخلائق أي أول ما وُجد منها ، وعقيدة النصارى قائمة على هذا التناقض والمحـال؛ لأنهم مجمعون على أن المسيح أزلي وخالق وقديم ، وأنه مولود وُلد من بطن مريم بعد حملها به "[٦٧].

ولم يكن بمقدور يوحنا الدمشقي ، ولا كل رجال الكنائس إلى اليوم تقديم المعنى الدقيق لتلـك الآية القرآنية العظيمة (آية الكرسي) مع قانون الإيمان النصراني – المذكور آنفاً – لعامة النصـارى ليختاروا العقيدة التي تقبلها العقول الراجحة والفطر السليمة . ولذلك لم يعـد أمـامهم لتثبيـت النصارى على دينهم والحيلولة بينهم وبين اعتناق الإسلام سوى تشويه صورته في عيـونهم ورسـم صور كاذبة ملفقة له في أذهانهم .

---

(٦٦) انسلم تورميدا: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، تحقيق : محمود على حمايـة ، القـاهرة ، ١٩٨٤م ، ص٩٥ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ص٩٦-٩٧ .

ثم يقول يوحنا الدمشقي عن القرآن"هو سلّمة إليهم بالتسلسل الذي هم يمكن يستجيبون معه" وهو بذلك يشير إلى نزول القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث والوقائع. وكأن يوحنا الدمشقي يعترض على هذا التسلسل في نزول القرآن، ويكرِّر بذلك اعتراض المشركين على نزول القرآن منجماً واقتراحهم أن ينـزل جملة واحدة كما أُنزلت الكتب السابقة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾(٦٨).

وبعد ذلك يتحدث يوحنا الدمشقي عن عقيدة التوحيد التي دعا إليها القرآن بطريقة باهتة ومبتسرة وهزيلة لا تعبر عملياً عن حقيقة التوحيد كما جاءت في القرآن الكريم فيقول : "هو – محمد ﷺ – يقول إنه يوجد هناك رب واحد خالق للجميع ، الذي لم يلد ولم يولد، فيقدّم اسم الله الواحد الأحد بصيغة النكرة رب واحد ويقدّم أيضاً اسم الله الخالق بصيغة النكرة خالق . وهذا العرض يمكن أن يُقال لكل من دعا إلى عبادة معبود واحد مثل الفرعون المصري أخناتون الذي دعا إلى نبذ عبادة الآلهة المتعددة ودعا إلى عبادة إلاه واحد زعم أنه خالق لكل شيء ورمز له بقرص الشمس .

وينتقل يوحنا الدمشقي إلى عرض عقيدة القرآن في عيسى بن مريم عليه السلام حيث كتب في فصله : (هو – محمد ﷺ – يقول : إن المسيح كلمة الله وروحه ، مخلوق وخادم ، وأنه وُلِدَ بدون منيٍّ من مريم ، أخت موسى وهارون ؛ لأنه يقول كلمة الله وروحه دخلت إلى مريم ، وهي منحت الولادة ليسوع الذي كان رسولاً وخادماً لله ، وأن اليهود الذين انتهكوا بأنفسهم حرمة الشريعة ، أرادوا أن يصلبوه، وأنهم بعدما قبضوا عليه هم صلبوا شبيهه ، لكن المسيح نفسه – هم يقولون – لم يصلب ولم يمت ، نظراً لأن الله أخذه إلى فوق السماء ، لأنه يحبه . وهذا هو ما يقول ، إنه عندما ذهب المسيح فوق السموات ، الله سأله قائلاً يا عيسى ، أأنت قلت إنني ابن الله ، وأنا الله ؟" هم يقولون ، وعيسى أجاب : " كن رحيماً بي يا رب ، أنت تعلم أنني لم أقل ذلك ولا أرغب، أنا

---

(٦٨) الفرقان : ٣٢ .

افتخر بأني خادمك ، لكن الناس الذين انحرفوا عن الصراط المستقيم كتبوا أني فعلت هـذا . هـم يقولون: والرب أجابه : " أنا أعلم أنك لن تقول هذا الشيء ") [٦٩].

وإذا تأملنا هذا النص يمكن أن نخرج بعدد من الحقائق هي :

أولاً : استطاع يوحنا الدمشقي أن يحدد بشكل صحيح – رغم بعض الأخطـاء – رؤيـة القـرآن لعيسى بن مريم عليه السلام ، وهذا يكشف معرفة يوحنا الدمشقي الجيدة بالقرآن الكـريم ولكنـه اختار الضلال والإضلال .

ثانياً : العقيدة الإسلامية حول عيسى بن مريم واضحة وضوح الشمس مثلما جـاءت في القـرآن الكريم قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴾ [٧٠] . ومعنى كلمة الله ، أي : كلمة تكلم الله بها فكان بها عيسى، ولم يكن هو تلك الكلمة وإنما كان بها، وهذا من باب إضـافة التشريف والتكريم . وكذلك قوله : (وروح منه) أي من الأرواح الـتي خلقهـا وكمَّلـها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة. أرسل الله الروح القدس جبريل عليه السلام ، فنفخ في مريم فحملت بأمر الله بعيسى عليه السلام [٧١]. هذا إضافة إلى أن كلمة الله "كن" التي كـان بهـا المسيح ، ليست إلا كلمة واحدة من كلمات الله التي لا تنفد ولا تنتهي قال تعـالى : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ [٧٢] . وقال تعالى:

---

(69) Migne: op.cit, Vol, 94, col, 765-767 ; Sahas , op. cit. 133.

(٧٠) النساء : ١٧١-١٧٢ .

(٧١) انظر : تفسير ابن كثير ص٣٧٤-٣٧٥ ؛ عبد الرحمن السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنـان، ص٢١٦ .

(٧٢) الكهف : ١٠٩ .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٧٣].

ثالثاً : كان هدف يوحنا الدمشقي من ذلك العرض عن عقيدة الإسلام في المسيح عليه السلام إظهاره وكأنه يجمع بين النقيضين – طبقاً للمنظور النصراني الفاسد – فالنصارى يعتقدون أن المقصود بكلمة الله : هي كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء والتي تجسدت في أحشاء مريم لتكتسب الطبيعة البشرية من غير اختلاط أو تغير أو استحالة ، وأن المسيح بعد ولادته من مريم فعل المعجز بلاهوته وأظهر العجز بناسوته. وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية بطلان هذا القول وتناقضه وفنَّده من تسعة عشر وجهاً[٧٤] . فكان هدف يوحنا الدمشقي إظهار ، ما يعتقده تناقضاً في عقيدة المسلمين إزاء المسيح عليه السلام ، ففي البداية يقولون : إن المسيح كلمة الله، ثم يقولون بعد ذلك إنه مخلوق وأنه عبد الله ورسوله ، ليبدو ذلك في عيون النصارى بمقاييس عقائدهم الضالة تناقضاً يثير السخرية والضحك!!!. والحق أن هذا المنهج من المناهج التي وضعها يوحناً الدمشقي للكتاب النصارى الحاقدين من بعده في مواجهتهم الفكرية مع الإسلام ، وهو التعامل معه من خلال منظور عقائدهم الدينية ، وتفسيراتهم الخاطئة لكتبهم المقدسة.

رابعاً : كان هدف يوحنا الدمشقي من قوله إن المسلمين يقولون عن مريم أنها أخت موسى وهارون، إثارة الاستنكار والسخرية في نفوس النصارى من هذا القول ، حيث يعرفون مدى الفاصل الزمني الكبير بين عصر مريم وعصر موسى وأخيه هارون عليهما السلام . والملاحظ هنا أن يوحنا الدمشقي أضاف أن المسلمين يقولون أخت موسى ، وهذا لم يرد مطلقاً لا في القرآن ولا في السنة وإنما ورد لفظ " يا أخت هارون " وليس المقصود به هارون بن عمران النبي

---

(٧٣) لقمان : ٢٧ .

(٧٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، تحقيق علي بن حسن بن ناصر ، وعبد العزيز بن إبراهيم العسكر ، وحمدان بن محمد الحمدان، الرياض ١٤١٤هـ / ج٤ ص٥-٢٦ .

عليه السلام. وقد سبق نصارى نجران يوحنا الدمشقي في إثارة هذه الشبهة قبل قـدوم وفـدهم إلى النبي ﷺ ، حيث روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه خبر ذلك فقال: (بعثني رسول الله ﷺ إلى نجـران فقالوا لي : ألستم تقرأون : (يا أخت هارون) . وقد كان بين موسى وعيسى ما كان ؟ – من العصور – فلم أدْرِ ما أُجيبهم فرجعت إلى النبي ﷺ ، فأخبرته فقال: (ألا أخبرتهم أنهم كـانوا يُسمُّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم) (٧٥) . ويذكر ابن كثير أنه قيل لها : " يا أخت هـارون" ، أي أخي موسى، وكانت من نسله، كما يُقال للتميمي ، يا أخا تميم ، وللمضري : يـا أخـا مضر (٧٦).

إنكار يوحنا بشارات الكتب السابقة بمحمد ﷺ

ويواصل يوحنا الدمشقي حديثه المتهافت السفيه عن النبي ﷺ وعن القرآن الكـريم فيقـول: (ومع أنه يحشو في هذا الكتاب سخافات أكثر بكثير قيِّمة للضحك ، فإنه يلح بإصرار أن هذا أُنزل عليه من الله . ونحن نسأل : وما هو الشيء الذي يهب له الشهادة أن الله أعطى له الكتاب المقدس؟ ومن هم الأنبياء الذين تنبأوا أن هذا نبي سوف يظهر ؟ ولأنهم – يعني المسلمين– يصبحون مذهولين وفي خسران نحن نخبرهم أن موسى تسلّم الشريعة بجبل سيناء في مرأى من جميع الشعب عندما ظهر الرب في السحاب والنار والظلمة والعاصفة؛ وأن جميع الأنبياء ابتداءً من موسى وإلى الأمام تنبـأوا بمجيء المسيح ، وأن المسيح هو الله ، وأن ابن الله سوف يأتي لاتخاذ الطبيعة البشرية، وأنـه سـوف يُصلب وأنه سوف يموت، وأنه سوف يكون الحكم للأحياء والأموات على قدم المساواة) (٧٧).

وإذا تأملنا هذا النص نلاحظ أن يوحنا الدمشقي انحدر إلى مستوى بالغ الانحطـاط في الهـذر والإسفاف ، حين يزعم – زوراً وبهتاناً – لقرائه النصارى أن محمداً ﷺ يحشو القـرآن بسـخافات

(٧٥) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٤/ص١٧ كتاب الآداب : بيان ما يُستحب من الأسماء؛ الترمذي : في أبواب تفسير القرآن ، باب تفسير سورة مريم حديث رقم ٥١٦٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ، واللفظ له ؛ تحفة الأحوذي ، ج٨ / ص٦٠١-٦٠٢ ؛ تفسير ابن كثير ص٨٢٧ .

(٧٦) تفسير ابن كثير ، ص٨٢٦ .

(77) Migne: op.cit, Vol 94, Col . 767; Sahas : op.cit . p.135 .

كثيرة جديرة بالضحك . ويوحنا بهذا القول يضع قاعدة لكتّاب الغرب تقوم على الإفك والبهتان انتهجوها طوال العصور الوسطى في كتاباتهم عن الإسلام وتتمثل في اختراع تصورات خيالية عن معتقدات وشرائع سخيفة لا تمت للإسلام بصلة، زعموا أنها من عقائد الإسلام وشرائعه فهاجموه من خلالها وسخروا منه كما سنرى في الكتب التالية . ثم يفتري يوحنا الدمشقي الكذب حين يقول عن النبي ﷺ إنه) يلح بإصرار أن هذا أُنزل عليه من الله) وهو يشير بذلك إلى الآيات الكثيرة جداً في القرآن العظيم التي تخبر بأنه تنزيل رب العالمين مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾[78] ، وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[79] ، وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[80] ، وقوله تعالى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[81]، وقوله تعالى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[82] ، وغير ذلك من الآيات الكثيرة .

وعندما يسأل يوحنا الدمشقي مستنكراً أن الله تعالى أنزل القرآن على نبيه محمد ﷺ فيقول : (وما هو الشيء الذي يهب له الشهادة أن الله أعطى له الكتاب المقدس ؟ ومن هم الأنبياء الذين تنبأوا أن هذا نبيٌّ سوف يظهر؟) . فالحق أنَّ يوحنا الدمشقي وهو يقدِّم هذا التساؤل كان مقتنعاً بالصورة المشوهة التي رسمها في ذهنه عن الإسلام ونبي الإسلام ﷺ ، وبذلك يقدّم هذا التساؤل معجوناً بحكم مسبق لقرائه النصارى بأنه لا أحد يشهد لمحمد ﷺ أن القرآن أُنزل إليه من الله تعالى وأنه لا أحد من الأنبياء أخبر بظهوره . وهو يعلم أنه يقدم تساؤله لقرائه النصارى الذين يتحدثون باليونانية وليس لديهم عن الإسلام إلا الصور المشوهة والملفقة التي رسمها لهم . ولا يعرفون شيئاً عن

(٧٨) سورة النساء : ١٠٥ .

(٧٩) الأنبياء : ١٠ .

(٨٠) العنكبوت : ٥١ .

(٨١) السجدة : ٢ .

(٨٢) الزمر : ١ .

نبي الإسلام ودعوته وسيرته الصحيحة وحقائق الإسلام ومحتويات القرآن ، وبالتالي يصدقون يوحنا الدمشقي فيما ذهب إليه.

أما الشهادة التي يتجاهلها يوحنا الدمشقي التي تثبت قطعاً أن الله أنزل القرآن على محمد ﷺ فهي شهادة الله جل وعلا بذلك لرسوله ، وهي أعظم وأكبر وأعدل شهادة ، وشـــهادة ملائكتـــه المقربين ، قال تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [83] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾ [84]، وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [85] ، وقال تعالى : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[86]، وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [87]، فالله جل وعلا هو الشاهد الحق على أنه الذي أنزل القرآن على رسوله . وقد أثبت شهادته بنصـــر نبيه على سائر أعدائه نصراً خارجاً عن قدرته وقدرة أصحابه واتباعه ، وإجابـــة دعوتـــه وإجـــراء المعجزات الكثيرة على يديه ، وأعظم تلك العجزات ، القرآن الكريم معجزته الخالدة التي تحدى الله بها المكذبين بل سائر الأنس والجن أن يأتوا بمثلها. قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [88] . وهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على صحة ما جاء به الرسول ﷺ . وشهادة حاسمة من الله على أنه أنزله إلى رسوله ، حيـــث تحدى الله الأنس والجن أن يأتوا بمثله ، وأخبر الخبر اليقين القاطع أنهم لا يأتون بمثله ولـــو تعـــاونوا

---

(٨٣) النساء : ١٦٦ .

(٨٤) الأنعام : ١٩ .

(٨٥) النساء : ٧٩ .

(٨٦) الرعد : ٤٣ .

(٨٧) الفتح : ٢٨ .

(٨٨) الإسراء : ٨٨ .

كلهم على ذلك لعجزوا عن الإتيان بمثله ولم يقدروا عليه [(٨٩)] . وقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [(٩٠)]، ففي هاتين الأيتين يشهد الله جل وعلا لنبيه محمد ﷺ بالصدق في دعواه أن هذا القرآن أُنزل عليه من رب العالمين ، ومن ينكر هذه الدعوى أو يرتاب فيها من الخلق ، فدونهم فليأتوا بسورة من مثله ، وليدعوا من يشهد لهم بهذا (وهذا التحدي ظل قائماً في حياة الرسول ﷺ ، وبعدها وما زال قائماً إلى يومنا هذا ، وهو حجة لا سبيل إلى المماحكة فيها .. وما يزال القرآن يتميز من كل كلام يقوله البشر تميزاً واضحاً قاطعاً وسيظل كذلك أبداً . سيظل كذلك تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ والتحدي هنا عجيب ، والجزم بعدم إمكانه أعجب ، ولو كان في الطاقة تكذيبه ما توانوا عنه لحظة . وما من شك أن تقرير القرآن الكريم أنهم لن يفعلوا ، وتحقق هذا كما قرَّره هو بذاته معجزة لا سبيل إلى المماراة فيها. ولقد كان المجال أمامهم مفتوحاً ، فلو أنهم جاءوا بما ينقض هذا التقرير القاطع لانهارت حجية القرآن ولكن هذا لم يقع ولن يقع، كذلك فالخطاب للناس جميعاً ، ولو أنه كان في مواجهة جيل من أجيال الناس ... وهذه وحدها كلمة الفصل التاريخية) [(٩١)] .

وبعد ذلك يتساءل يوحنا الدمشقي مستنكراً أن يكون أحد من الأنبياء ، بشّر بظهور محمد ﷺ فيقول : (ومن هم الأنبياء الذين تنبأوا أن هذا نبيٌ سوف يظهر؟) . وبذلك يكون يوحنا الدمشقي المؤسس الأول للزعم الذي قال به كتَّاب الغرب النصارى من بعده، حيث زعموا أن

---

(٨٩) عبد الرحمن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص٤٦٦ .

(٩٠) البقرة : ٢٣-٢٤ .

(٩١) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج١ ص٤٨-٤٩ = هذا مع العلم أننا لم نتعرض هنا لمعجزات النبي ﷺ الحسية التي أجراها الله على يديه والتي تبلغ ألف معجزة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ ص٣٩٩) وانظر أيضاً ج٦ من الجواب الصحيح حيث يتحدث فيه عن تلك المعجزات ، وانظر أيضاً ، العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ج٢ ص٦١١-٦٢٣ .

محمداً ﷺ لم يُبشر به من جانب الأنبياء السابقين ، وظنوا أن هذا الزعم الكاذب من أقوى حججهم ضد الإسلام .

والحق أن علماء أهل الكتاب يعلمون علم اليقين أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ولا يكتمه منهم إلا جاحد معاند للحق أو ضال جاهل ؛ لأنه ما من نبي من الأنبياء إلا وأخبره الله بمبعث محمد ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [92]. وقال ابن عباس وغيره من السلف : (ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهي حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه) [93]. وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [94]، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [95]، وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [96].

ويعلق شيخ الإسلام على الآية الأخيرة بقوله : (والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد ﷺ، عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم . وكان قبل مبعث النبي ﷺ ، تجري حروب وقتال بين العرب وأهل الكتاب، فيقول أهل الكتاب : قد قرب مبعث هذا النبي الأمي الذي بُعث بدين

---

(٩٢) آل عمران : ٨١ .

(٩٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢/ ص١٢٠ .

(٩٤) الأعراف : ١٥٧ .

(٩٥) البقرة : ١٤٦ .

(٩٦) البقرة : ٨٩ .

إبراهيم ، فإذا ظهر اتبعناه وقتلناكم معه شر قتله ، فلما بُعث النبي ، ﷺ ، كان منهم من آمن بــه ومنهم من كفر به فقال تعالى : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾. أي: يسنصرون بمحمد ﷺ علــى الذين كفروا ... ولهذا كان النبي ﷺ ، في خطابه لأهل الكتاب يقول لهم : (والله الذي لا إلــه إلا هو أنكم لتعلمون أني رسول الله ، وكذلك من أسلم منهم كعبد الله بن سلام كان يقول لغيره مــن أهل الكتاب : (والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله) ، وهــذا أمــر معــروف في الأحاديث الصحاح المخرجة في الصحيحين وغيرها)[97] والآيات والأحاديث في هذا الباب كــثيرة جداً لا يتسع المجال لعرضها هنا.

والأمر الذي لا شك فيه أن أهل الكتاب ، لاسيما الأحبار والرهبان ، قاموا بتحريف التوراة والإنجيل ، فزادوا ونقصوا تبعاً لأهوائهم . وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ، فقال تعــالى: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[98] . وقال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[99] ، وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[100] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ﴾[101] . وقد أفرد

---

(٩٧) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢/ ص٣٦٦-٣٦٧ .

(٩٨) البقرة : ٧٥ .

(٩٩) النساء : ٤٦ .

(١٠٠) المائدة : ١٣ .

(١٠١) المائدة : ٤١ .

عدد كبير من العلماء كتباً خاصة، بينوا وأثبتوا فيها بالأدلة النقلية والعقلية تحريف أهل الكتاب من اليهود والنصارى لكتبهم المقدسة. ومن تحريفاتهم في كتبهم المقدسة (١٠٢)، والمستمرة عبر القرون إخفاء اسم محمد ﷺ وطمس التصريح باسمه ، سيما في ترجمات الكتاب المقدس باللغة العربية ، بدليل أن علي بن ربّن الطبري(١٠٣)، في كتابه، الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ ، استدل بنصوص كثيرة يظهر فيها اسم النبي مذكوراً صراحة . وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية أو رد شواهد من الكتاب المقدس عند أهل الكتاب يظهر فيها التصريح باسم النبي محمد ﷺ ، والمعروف عن شيخ الإسلام دقته في النقل. ولكن لا نجد في النصوص الحالية اسم محمد ﷺ صراحة . ورغم ذلك فإن هذا لا ينفي وجود بقايا من حق باهت في تلك الأسفار لاسيما ما يتفق مع القرآن والسنة ويتطابق مع صفات النبي محمد ﷺ، والبشارات بمبعثه في تلك الكتب تصل إلى المئات ، لا يتسع المجال لعرضها هنا ونكتفي بإيراد بضع بشارات منها والتعليق عليها لدحض دعوى يوحنا الدمشقي

---

(١٠٢) انظر على سبيل المثال : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ؛ ابن حزم : الفصل في الملل والنحل؛ الشهرستاني : الملل والنحل؛ ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى؛ عبد الله الترجمان: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ؛ رحمة الله الهندي : إظهار الحق .

(١٠٣) هو الطبيب الفيلسوف أبو الحسن علي بن سهل بن ربّن الطبري ، ولد حوالي سنة ١٥٧هـ / ٧٧٢م في أواخر عهد الخليفة العباسي المنصور ، في طبرستان من أسرة نصرانية ، تولى الكتابة لحكام بلاده مدة طويلة ، وتحول في سن متأخرة إلى عاصمة الخلافة وأسلم في سن السبعين على يد الخليفة المعتصم ، وقرّبه الخليفة المتوكل، وجعله من ندمائه . وفي العراق صنف كتابه "فردوس الحكمة" وألف كتاب " الرد على النصارى"، وبعده كتاب " الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ " وهذا الكتاب مكون من مقدمه وعشرة أبواب . شرح في المقدمة البراهين التي توجب الإيمان بالنبي ﷺ ، والباب الأول في دعوته إلى ما دعا إليه الأنبياء وهو التوحيد والثاني في فضائل سنته وشرائعه ، والثالث في معجزاته ، والرابع أنه حكى أموراً غائبة تمت في أيامه، والخامس في إخباره بحوادث حدثت بعد وفاته ، والسادس في أميّة النبي ﷺ والسابع في أن نصر الله له آية من آيات نبوته ، والثامن في أن الداعين إلى دينه كانوا من خيار الناس ، والتاسع في أنه لو لم يظهر لبطلت نبوات الأنبياء السابقين ، والعاشر في بشارات الأنبياء بظهور محمد ﷺ ، وهذا الباب الأخير يشغل أكثر من نصف الكتاب. وتوفي علي بن ربن الطبري بعد سنة ٢٤٠هـ . انظر كتاب الدين والدولة، ط١ ، القاهرة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م؛ علي الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع ، ط تونس ، ١٩٨٦م ، ص١٢٨-١٣٥ .

ومن سار على خطاه من كتّاب الغرب .

<u>الأولى :</u> ما جاء في سفر التثنية قول الله لموسى عليه السلام **: ((أُقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أُوصيه به. ويكون الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه)**[(١٠٤)] **. فهذه بشارة بمحمد** ﷺ **، فالنص يقول إن الله يقيم لهم نبياً ومن وسط أخوتهم مثلك " ولم يقل منهم ، أي من بني إسرائيل ، والمقصود بأخوتهم بني إسماعيل، وهو محمد مثل موسى له كتاب وشريعة . والمعروف عبر العصور التالية لموسى أنه لم يأت نبي بمثل ما أتى به موسى إلا محمداً** ﷺ **الذي جاء بالقرآن وبالشريعة الكاملة ، بعدما نكص اليهود عن شريعة موسى وعطّلوها وحرّفوا فيها. وقوله : " واجعل كلامي في فمه" ، أي القرآن يوحيه الله تعالى إلى نبيه محمد** ﷺ **، ثم يتلوه بفمه على الناس ، قال تعالى :** ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [(١٠٥)] **. وقال تعالى :** ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[(١٠٦)] **. فالله سبحانه وتعالى يسّر كلامه على لسان محمد** ﷺ **، ليتلوه على الناس وينذرهم به، وأمره بأن يجير المشرك حتى يسمع كلام الله ، ومعروف أن المشرك لن يسمع كلام الله مباشرة منه تعالى ، ولكن يسمعه من رسوله الذي يبلغه للناس جميعاً . فالقرآن هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا سبيل لأحد إلى تحريفه لأن الله تعالى تكفّل بحفظه قال تعالى :** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [(١٠٧)] **، إضافة إلى أن الله لم يقم لبني إسرائيل نبياً منهم مثل موسى ، فكل أنبياؤهم كانوا أقل مرتبة منه ، ومما يدل على ذلك أن الآية العاشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية نفسه تنفي مطلقاً**

---

(١٠٤) تثنية : الإصحاح الثامن عشر : ١٩-٢٠ وقد استدل علي بن ربن الطبري بهذه البشارة وعلّق عليها، انظر الدين والدولة ، ص٧٩-٨٠ .

(١٠٥) مريم : ٩٧ .

(١٠٦) التوبة : ٦ .

(١٠٧) الحجر : ٩ .

أن يظهر في بني إسرائيل نبي مثل موسى ، حيث يقول نصها : (ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه) الأمر الذي يثبت قطعاً أن النبي المشار إليه من بني أخوهم هو محمد ﷺ فلم يكن لهم شريعة غير التوراة التي أنزلها الله على موسى وبهذا يتضح أنه ليس هناك نبي مثل موسى جعل الله كلامه على فمه غير محمد ﷺ (١٠٨) .

<u>الثانية :</u> جاء في المزمور الأول من مزامير داود عليه السلام قوله : (طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لن يجلس لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهاراً أو ليلاً . فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه. التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح) (١٠٩) . فهذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ فقد صانه الله عن طريق الشر والخطايا قبل بعثته وبعدها كما ثبت في الأحاديث الصحيحة (١١٠) . وهو الذي لم يقف في مجلس المستهزئين قال تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ (١١١) . وهو الذي ناموس الرب مسرته ، وناموسه تعالى القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث كان خلقه القرآن وفي ناموس الرب يلهج ليلاً ونهاراً ، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن عائشة رضي الله عنها قالت: (يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ قال يا عائشة إن عينيّ تنامان وقلبي لا ينام)(١١٢) . وهو الذي كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي أعطت ثمرها في أوانه عندما بدأ نزول الوحي عليه ، ولم ينقطع ذلك الثمر، وورق تلك الشجرة لم يذبل بخلاف سائر الأنبياء ، فإن

---

(١٠٨) توجد بشارات أخرى في سفر التثنية من أبرزها في الإصحاح الثاني والثلاثين : ٢١ ، والإصحاح الثالث والثلاثين : ٢ .

(١٠٩) مزامير : المزمور الأول : ١-٣ ، والملاحظ أن كثير من المزامير تتحدث عن صفات النبي محمد ﷺ ، ولن نعرض إلا أبرزها .

(١١٠) انظر: العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ج١/ ص١١٤-١١٧ .

(١١١) الحجر : ٩٥ .

(١١٢) البخاري (فتح الباري) ج٣ حديث رقم ١١٤٧ / ص٤٠ ، حديث رقم ٢٠١٣، ج٦/ ص ٢٩٥ ، حديث رقم ٣٥٦٩ ، ص٦٧٠ ؛ صحيح مسلم بشرح النووي ج٦/ص١٧ .

الكتب والصحائف التي أنزلها الله تعالى إليهم فقدت أو حُرِّفت ، أما القرآن فقد تكفل الله بحفظه . ولذلك فإن شريعة محمد ﷺ ، باقية لا تذبل حتى قيام الساعة. وكل ما يصنعه ينجح ، فالنجاح الذي بلغه محمد ﷺ ، في تبليغ الدعوة للناس ونشر الدين الحق في الأرض لم يبلغه أحد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

<u>الثالثة :</u> المزمور الخامس والأربعون يتحدث بأكمله عن النبي محمدﷺ ، ومما جاء في ذلك المزمور قوله : (أنت أبرع جمالاً من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلّد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك . وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر فتُريك يمينك مخاوف . نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون ... عوضاً عن أبائك بنوك تقيمهم رؤساء في كل الأرض . اذكر اسمك في كل دور فدور . من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد)(١١٣) . وقد استدل علي ابن ربّن الطبري بهذا المزمور وعلّق عليه قائلاً : (ولا نعرف أحداً تجب له هذه المعاني من تقليد السيف وشحذ النصول وهيبة اليمين، ووقوع الأمم تحته إلا النبي ﷺ . فقد ركب كلمة الحق وتواضع لله بالديانة وجاهد المشركين حتى ظهر الدين)(١١٤). كما استدل شيخ الإسلام ابن تيمية بترجمة أخرى لهذا المزمور وعلّق عليه قائلاً : (فليس متقلد السيف بعد داود سوى محمد ﷺ وهو الذي خرت الأمم تحته ، وقُرنت شرائعه بالهيبة كما قال ﷺ ((نصرت بالرعب مسيرة شهر)) وقد أخبر داود أن له ناموساً وشرائع ، وخاطبه بلفظ الجبار إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله بخلاف المستضعف المقهور . وهو ﷺ ، نبي الرحمة ، ونبي الملحمة وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين...))(١١٥) . كما استدل رحمه الله الهندي بهذا المزمور ، وطبق كل الصفات

---

(١١٣) مزامير ، المزمور الخامس والأربعون : ٢-٥ ، ١٦-١٧ .

(١١٤) الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ ، ص٨١ .

(١١٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج٥/ ص٢٣٧-٢٣٨ .

الواردة فيه على النبي محمد ﷺ [116].

<u>الرابعة :</u> المزمور الثاني والسبعون يتحدث عن محمد ، ﷺ ، ومما جاء فيه قوله : (يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق . تحمل الجبال سلاماً للشعب والآكام بالبر . يقضي لمساكين الشعب . يخلّص بني البائسين ويسحق الظالم . يخشونك ما دامت الشمس وقدّام القمر إلى دور فدور . ينزل مثل المطر على الجزاز ومثل الغيوث الذارفة على الأرض. يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر. ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض . أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب . ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمه . ملوك شبأ وسبأ يقدمون هدية ، ويسجد له كل الملوك . كل الأمم تتعبد له . لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين . يشفق على المسكين والبائس ويخلّص أنفس الفقراء . من الظلم والخطف يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه . ويعيش ويعطيه من ذهب شبا ويُصلّي لأجله دائماً . اليوم كله يبارك ... يكون اسمه إلى الدهر قدّام الشمس يمتد اسمه . ويتباركون به . كل أُمم الأرض يطوبونه) [117] .

وقد استدل على بن ربّن الطبري بهذا المزمور وأورد ترجمة أوضح من هذه الترجمة بكثير حيث كان يُتقن السريانية والعبرية واليونانية وعلّق على النص قائلاً : (فهذه نبوة شافية كافية ما فيها لبس ولا إظلام . فما نعلم أحداً ملك ما بين البحر والبحر وبين الأنهار التي ذكرها في التوراة وهي دجلة والفرات ، وسيحون وجيحون وخرّت الملوك بين يديه سجداً على الرّكب ولحس أعداؤه التراب ، وأتته ملوك اليمن بالقرابين إلا النبي ﷺ ، وأمته وإلا مكة وما فيها من أثر قدم إبراهيم . ولا نعلم أحداً يُصلي ويبارك عليه في كل وقت غير محمد ﷺ. وهو قول الأمم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . وبارك على محمد وعلى آل محمد . فأية دلالة أشهر ونبوة أظهر وأنور من هذه . ولقد ختم داود النبي عليه

---

(١١٦) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ج٢/ ص٢١٤-٢١٩.

(١١٧) مزامير : المزمور الثاني والسبعون ٢-١٧ .

السلام نبوَّته بأن قال فالأمم كلها يتبركون به ويحمدونه ويسمونه محمـــداً ومعـــنى محمـــد ومحمود واحد) [١١٨] . كما استدل شيخ الإسلام ابن تيمية بترجمة أخرى لهذا المزمور وعلق عليه قائلاً: (وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته ، لا على المسيح ، فإنه حاز من البحر الرومي إلى البحر الفارسي ، ومن لدن الأنهار بجيحون وسيحون إلى منقطع الأرض بالمغرب كما قال: " زويت لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمـــتي مـــا زوي لي منها" . وهو يُصلّي عليه ويبارك في كل حين : في كل صلاة: في الصلوات الخمس وغيرها ، يقول كل من أمته : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمـــد وعلـــى آل محمد فيصلي عليه ويبارك ...) [١١٩].

وهكذا يتضح لنا من هذا المزمور الكثير من صفات محمد ﷺ واثر نبوته ودعوتـــه في شعوب الأرض ما يستحيل على أي معاند أن ينكره ، فقد خلّص الشعوب المضـــطهدة في بلاد الشام ومصر والعراق وفارس وغيرها من ظلم الروم والفرس. فسحقت جيوشه أولئك الحكام الظالمين والأدلة على ذلك كثيرة منها ما ذكره ميخائيل السرياني بطريرك أنطاكية في تاريخه معلقاً على فتح المسلمين لبلاد الشام وتخليص شعوب تلك البلاد من اضطهاد الروم فقال: (إن الله الواحد المنتقم القهّار بعث من الجنوب أبناء إسماعيل لتخليصنا مـــن أيـــدي الرومان، وهذا الخلاص أمر بالغ الأهمية لنا) [١٢٠] . وحين يصف النص بعث محمـــد ﷺ ، بأنه مثل نزول المطر على الجزاز ومثل الغيوث الذارفة على الأرض ، فهذا يعـــني أن بعثتـــه رحمة من الله تعالى: ؟﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ [١٢١] . ثم من هو الذي يتبارك به كل أمم الأرض ويطوبونه غير محمد ﷺ حين يهرع إليه جميع الإنس والجـــن يـــوم البعـــث ويطلبون منه الشفاعة بعد أن يعتذر لهم آدم ونوح وإبراهيم وموســـى وعيســـى علـــيهم

---

(١١٨) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ ص٨٢-٨٣ .

(١١٩) الجواب الصحيح ، ج٥/ص٢٤٦-٢٤٧ .

(120) Michael The Syrian, Chronicle, 4 Vols , Paries , 1910. Vol. II, PP. 412-413.

(١٢١) الأنبياء : ١٠٧ .

السلام، ثم يذهبون إلى محمد ﷺ ، ليشفع لهم إلى الله تعالى بأن يبدأ الفصل بينهم [١٢٢].

وهذه الشفاعة هي التي قال الله تعالى عنها ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [١٢٣]. وقد روى ابن عمر أن (الناس يصيرون جُثاً ، كل أمة تتبع نبيها، يقولون : يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود) [١٢٤]. وقد روى الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث عن ابن أبي حاتم بسند رجاله ثقات (أن المقام المحمود الذي ذكره الله أن النبي ﷺ ، يكون يوم القيامة بين الجبار وجبريل فيغبطه لمقامه ذلك أهل الجمع) [١٢٥].

الخامسة : الإصحاح الثاني والأربعون من سفر أشعيا [١٢٦] يتحدث بأكمله عن النبي محمدﷺ، وقبل أن نعرض هذا الإصحاح نشير إلى أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قد أشار إليه في حديث صحيح ، حيث روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (أن هذه الآية التي في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [١٢٧]، قال في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ، لا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلظاً) [١٢٨]. وهذا الإصحاح أشار إليه أيضاً كعب الأحبار، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن كعب الأحبار نقل صفة النبي ﷺ في التوراة ، ويريد بها التوراة التي هي أعم من التوراة المعينة ، مما يشير إلى أن

(١٢٢) انظر نص الحديث في البخاري (فتح الباري) ج٨/ حديث رقم ٤٧١٢ ، ص٢٤٧-٢٤٨ .

(١٢٣) الإسراء : ٧٠ .

(١٢٤) البخاري ج٨/ص٢٥١-٢٥٢ .

(١٢٥) فتح الباري ، ج٨/ص٢٥١-٢٥٢ .

(١٢٦) معظم سفر أشعيا بشارات بالنبي محمد ﷺ ولن نعرض منه إلا لثلاث بشارات هي الأبرز .

(١٢٧) الأحزاب : ٤٥ .

(١٢٨) البخاري (فتح الباري) ج٨ حديث رقم ٤٨٣٨ .

أحبار يهود كانوا يحتفظون بتوراة مخفية لا يطلعون عليها أحداً بخلاف تلك العامة المتداولة بين الناس ، فقال كعب إن صفته في تلك التوراة كالتالي : (أحمد عبدي المختار ، لا فظ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة يعفو ويغفر ، مولده بكّا ، وهجرته طابا ، وملكه بالشام ، وأمته ، الحامدون ، يحمدون الله تعالى على كل نجد ، ويسبحونه على كل نزلة ، ويغضون أطرافهم ، وهم رعاة الشمس ، ومؤذنهم في جو السماء ، وصفهم في الجهاد والصلاة سواء ، رهبان بالليل ، أُسْدٌ بالنهار ، لهم دويٌّ كدوي النحل ، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم ولو على كناسة)(١٢٩) .

وعلى الرغم مما أحدثه أحبار يهود في التوراة المتداولة من تحريف وطمس اسم محمدﷺ، فإن ما بقي من الإصحاح الثاني والأربعين من سفر أشعيا إنما يتحدث عن النبي محمد ﷺ وصفاته ونصه هو : (هو ذا عبدي الذي أُعضدهُ مختاري الذي سُرَّت به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم ، لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع في الشارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيله خامدة لا يطفئ ، إلى الأمان يخرج الحق . لا يكِّل ولا ينكسر حتى يضع في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته . هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً . أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظ وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم ، لتفتح عيون العُمْيَ ، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة . أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هو الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها . قبل إن تنبت أُعلمكم بها. غنّوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض. أيها المخدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها . لترفع البريّة ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سكان سالع . من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجداً

---

(١٢٩) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج٥/ ص٢٨٢-٢٨٣ .

ويخبروا بتسبيحه في الجزائر . الرب كالجبار يخرج . كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه . قد صَمَتُّ منذ الدهر تجلّدت . كالوالدة أصيح . أنفخ وأنخُرُ معاً. أُخرِّب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبساً وأُنشف الآجام وأسيِّر العُمي في طريق لم يعرفوها. في مسالك لم يدروها أمشيهم . أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة . هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم . قد ارتدوا إلى الوراء . يخزي خزياً المتكّلُون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا . أيها الصم اسمعوا . أيها العمي انظروا لتبصروا . من هو أعمى إلا عبدي وأصمُّ كرسولي الذي أرسله . من هو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب . ناظر كثيراً ولا تلاحظ . مفتوح الاثنين ولا يسمع . الرب قد سُرَّ من أجل بره . يُعظِّم الشريعة ويكرمها ...) [(١٣٠)] .

وعلى الرغم من ما يشوب هذا الإصحاح من اضطراب بسبب التحريف وسوء الترجمة ، فإنه يتحدث عن بعثة محمد ﷺ ، فعندما يقول في بدايته : هو ذا عبدي الذي أعضده... إلى قوله فيخرج الحق للأمم ، إنما هو محمد ﷺ ، الذي قال الله عنه في كتابه العزيز ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [(١٣١)] ومن هو الذي لا يكّل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض للأمم وتنتظر الجزائر شريعته . إن هذا الوصف لا ينطبق إلا على محمد ﷺ ، الذي لم يكل منذ أمره الله تعالى بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [(١٣٢)] ، ولم ينكسر ولم ييأس أبداً حتى نصره الله وأظهر دينه وقامت دولة الإسلام. بل إن محمداً ﷺ لم يعرف الكلال واليأس حتى في أسوأ الأيام التي مرّت بها دعوته عندما وصلت الدعوة في مكة إلى طريق مسدود، ومع ذلك لم ييأس . فقد روى البخاري بسنده عن عروة (أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، حدثته أنها قالت للنبي ﷺ ،

---

(١٣٠) أشعيا : الإصحاح الثاني والأربعون ١-٢١ .

(١٣١) الصف : ٩ .

(١٣٢) المدثر : ١-٢ .

هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت : وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أضلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثم قال: يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين . فقال النبي ﷺ ،: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً) [١٣٣] . فرسول الله ﷺ، يوضح في هذا الحديث أشد يوم يوم مر عليه في سبيل الدعوة . ومع ذلك لم يفقد الأمل ، ولم ييأس أو ينكسر بل ظلت جذوة الأمل بنصر هذا الدين متقدّة في نفسه حتى نصره الله ونصر دينه ووصلت شريعته إلى كثير من جزائر الأرض التي ظلت زمناً طويلاً تنتظر شريعته. ودينه هو الدين الحق الوحيد الذي حفظه الله من التحريف والتبديل ، وسيبقى نوراً للأمم التي تروم أن تهتدي به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وعندما يقول النص : أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك . فهذا لم ينطبق إلا على محمد ﷺ ، فهو الذي أمسك بيده يوم بدر، عندما أخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه المشركين ، فما بقي أحد منهم إلا أصاب عينه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين [١٣٤] . فأنزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [١٣٥] . وكذلك فعل يوم حنين عندما انهزم المسلمون في بداية المعركة ، فترل رسول الله ﷺ عن بغلته (ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال شاهت

---

(١٣٣) البخاري (فتح الباري) ج٦/ حديث رقم ٣٢٣١ .

(١٣٤) تفسير ابن كثير ، ص٥٦٣ .

(١٣٥) الأنفال : ١٧ .

الوجوه فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل) [(١٣٦)] .

كما حفظ الله تعالى رسوله حتى بلّغ الرسالة وأدى الأمانة قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [(١٣٧)] . حيث كان الرسول يُحرس من جانب أصحابه فلما نزلت هذه الآية أخرج النبي ﷺ ، رأسه من بيته وقال: (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل)[(١٣٨)] . كما أحبط الله كل محاولات المشركين لقتله ﷺ قبل هجرته وعند هجرته ، وبعد بدر، ويوم أحد ، وكذلك محاولات اليهود من بني النضير ومحاولة المرأة اليهودية قتله بالشاة المشوية المسمومة التي أهدتها إليه[(١٣٩)] . وقصته مع الأعرابي مشهورة عندما قفل عائداً مع أصحابه من غزوة ذات الرقاع ، فنزلوا في وادٍ كثير الشجر وتفرق المسلمون في الوادي للراحة تحت الشجر ونام النبي ﷺ وسلم ، تحت شجرة بعد أن علّق سيفه بها، فجاء أعرابي مشرك واخترط سيفه ووقف على رأس النبي وقال من يمنعك مني ، فقال الله فسقط السيف من يد الأعرابي بحفظ الله لرسوله [(١٤٠)] .

وأوضح دليل على أن هذا الإصحاح من سفر أشعيا يتحدث عن النبي محمد ﷺ، ذكر ديار قيدار بن إسماعيل جد النبي ﷺ ، وجد العرب، ثم ذكر جبل سلع بالمدينة المنورة التي هاجر إليها ومنها قامت دولة الإسلام .

<u>السادسة :</u> الإصحاح الرابع والخمسون من سفر أشعيا يتحدث بأكمله عن مكة شرفها الله تعالى، وعن النبي ﷺ ، وأمته ، فيقول نصه كما جاء في ترجمته العربية (ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد

---

(١٣٦) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٢ / ص١٢٢ .

(١٣٧) المائدة : ٦٧ .

(١٣٨) تفسير ابن كثير ، ص٤٢٥ .

(١٣٩) انظر العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ج١/ ص٢٠٧-٢١٧ ، ٣٠٦ – ٢٠٧ ، ٣٢٧ ، ج٢/ص٣٧٣، ٣٨٥-٣٨٩.

(١٤٠) البخاري (فتح الباري) ج٧ كتاب المغازي ص٤٩٠-٤٩١ ، حديث رقم ٤١٣٥، ٤١٣٦ .

أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخص لأن بني المتوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الـــرب . أو سعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك ، ولا تمسكي . أطيلي أطنابـــك وشـــددي أوتادك. لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمماً ويعمّر مدناً خربة. لا تخـــافي لأنك لا تخزين . ولا تخجلي لأنك لا تستحين . فإنك تنسين خزي صباك وعار ترملـــك لا تذكرينه بعد. لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إســـرائيل إلـــه كـــل الأرض يُدعى . لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا إذا رُذلت قال إلهك لحيظه تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك . بفيضان الغضب حجبت وجهي عنـــك لحظة وبإحسان أبدي أرحمك ، قال وليك الرّب . لأنه كمياه نوح هذه لي . كما حفلت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجـــرك . فـــإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعـــزع قـــال راحمك الرّب .

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هأنذا أبني بالأثمـــد حجارتـــك وباليـــاقوت الأزرق أؤسسك وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة، وكـــل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً . بالبِّر تثبّتين بعيدة عن الظلم فـــلا تخـــافين وعـــن الارتعاب فلا يدنوا منك . ها إنهم مجتمعون اجتماعاً ليس من عندي . من اجتمـــع إليـــك فإليك يسقط . هانذا قد خلقت الحدَّاد الذي ينفخ الفحم في النار ، ويُخرج آلة لعملة وأنا خلقت المُهلك ليخرب..

كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه . هذا هو ميراث عبيد الرب وبرُّهم من عندي يقول الرب) [١٤١] .

فالمراد بالعاقر هنا في سفر أشعيا ، مكة شرفها الله تعالى – كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (لأنها لم تلد قبل نبينا ﷺ ، ولا يجوز بالعاقر بيت المقدس ، لأنـــه بيـــت الأنبيـــاء ،

---

(١٤١) سفر أشعيا : الإصحاح الرابع والخمسون : ١-١٧ .

ومعدن الوحي ، فلم تزل تلك البقعة ولادة)[١٤٢] . والمقصود ببني المستوحشة الذين كانوا أكثر من بني ذات البعل : أن بني هاجر – التي ذهب بها إبراهيم عليه السلام عبر تلك البريّة الموحشة إلى وادٍ غير ذي زرع وأسكنها فيه مع ابنها الصغير إسماعيل – يكونون أكثر من بني ذات البعل سارة التي عاشت دائماً مع إبراهيم عليه السلام .

والنص يشير إلى توسع مكة وفتوح أبناء إسماعيل بعد بعثة محمد ﷺ ، حيث يقول : (أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك . لا تمسكي أطيلي أطنابك وشددي أوتادك . لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ، ويرث نسلك أمماً ويعمر مدناً خربة) وهذه الصفات لم تنطبق في التاريخ إلا على مكة المكرمة بعد بعثة محمد ﷺ ، حيث امتدت يميناً ويساراً ، أي شرقاً وغرباً ، وامتد نفوذها على يد بني إسماعيل ، فهم وحدهم الذين ورثوا أمماً وعمروا مدناً خربة. قال النبي محمد ﷺ : (إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها)[١٤٣] . فمن تمت وجرت على يديه هذه الأفعال العظيمة غير بني إسماعيل الذين ورثوا بعد بعثة محمد ﷺ ، مشارق الأرض ومغاربها ، وورثوا كل الأمم السابقة ، مثل الفراعنة ، والفرس ، والروم ، والسريان وغيرهم. وهل توجد أمة عمّرت من المدن والحواضر مثلما عمّره المسلمون إبان إزدهار حضارتهم ؟ وعندما يقول النص عن مكة : (لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك) . فالواضح أن تلك اللحظة منذ أن أدخل عمرو بن لحي الخزاعي عبادة الأصنام إلى مكة ، وحرف العرب عن عقيدة التوحيد التي جاء بها إبراهيم عليه السلام[١٤٤] ، إلى أن بُعث محمد ﷺ ،

---

(١٤٢) الجواب الصحيح ج٥/ص٢٥٩ ، وقد استدل أيضاً علي بن ربن الطبري بهذا الإصحاح انظر الدين والدولة، ص٩٨-٩٩ .

(١٤٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٨/ ص١٣ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة .

(١٤٤) رأى النبي ﷺ ، عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبة – أمعاءه – في النار بسبب ما قام به من تحريف ديانة إبراهيم عليه السلام . انظر فتح الباري ج٦ حديث رقم ٣٥٢١ وشرحه ص٦٣٣-٦٣٤ ، ج٨ رقم ٦٢٣، ص١٣٢-١٣٣؛ وانظر أيضاً الكلبي كتاب الأصنام ص٨ .

وطهّر الكعبة المشرفة من الأصنام يوم الفتح الأعظم وتلك المدة التي مكثتها الأصنام في الكعبة إنما هي لحيظة عند الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (١٤٥) ثم رحم الله بلده الحرام بكتابه المبين ورسوله الكريم وخير أمة أُخرجت للناس . وقول النص : (فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب) . فالحق أن هذا لم يتحقق عبر عصور التاريخ لأي مدينة من المدن سوى لمكة المكرمة قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (١٤٦). فالسلام الإلهي الذي لم يتزعزع عبر الزمن إنما كان لمكة ولم يكن لبيت المقدس أو مدينة غيرها. وقد روى الأزرقي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه وُجد في حجر في الحجر كتابة من خلقة الحجر (أنا الله ذو بكة الحرام وضعتها يوم صنعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها) (١٤٧) . وقول النص : (هانذا أُبني بالأثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أُسسك وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة) فهذا الوصف لا ينطبق إلا على الكعبة المشرفة والمسجد الحرام حيث تنافس الخلفاء والملوك في عمرانها بأفخر أنواع الرخام والأحجار منذ ظهور الإسلام وحتى الوقت الحاضر .

وعندما يقول النص (بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثير) . فهل هناك أكثر من أمة محمد ﷺ طاعة لله تعالى؟! لما عُرج بالنبي ﷺ ، ليلة الإسراء والمعراج أتى السماء السابعة ومر بموسى عليه السلام ، فسلّم عليه فقال له موسى: مرحباً بك من أخ ونبي ، فلما جاوزه بكى موسى فقيل له ما أبكاك ؟ فقال يا رب هذا الغلام الذي بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته

---

(١٤٥) الحج : ٤٧ .

(١٤٦) العنكبوت : ٦٧ .

(١٤٧) الأزروقي : أخبار مكة ج١/ ص٧٨ ؛ وانظر أيضاً محب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى، ص٦٤٨.

أكثر مما يدخل من أمتي [(١٤٨)] . وجاء من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (قـــال لنـــا رسول الله ﷺ أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قال : فكبرنا ، ثم قال أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قال: فكبرنـــا ، ثم قـــال إني لأرجـــو أن تكونـــوا شـــطر أهـــل الجنة) [(١٤٩)] فمن هم تلاميذ الرب؟ هل هم الذين قالوا لموسى عليه السلام : ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [(١٥٠)] أم الذين قالوا لمحمد ﷺ، قبل معركة بدر : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؟؟؟

(وسلام بنيك كثير) فأي أمة سلامها كثير غير أمة محمد ﷺ، إن التقى بعضـــهم مـــع بعض سلموا على بعضهم بقولهم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وردوا على بعضـــهم بمثل ذلك ، وإن افترقوا افترقوا بالسلام . وسلامهم في كل صلواتهم على النبي ﷺ ، وعلى أنفسهم ، وعلى أخوانهم من العباد الصالحين بقولهم : " السلام عليك أيها النبي ورحمـــة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين " واختتامهم صلواتهم كلها بالســـلام ، وإذا ختموا صلاتهم رفعوا أصواتهم قائلين : " اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام . وإذا قدموا للحج دخلوا المسجد الحرام من باب السلام وقالوا : " اللهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنـــة دار الســـلام . فهـــذا الوصف الوارد في سفر أشعيا لا ينطبق إلا على أمة محمد ﷺ ، الذين اتخذوا المسجد الحـــرام قبلة لهم ولا يمكن أن ينطبق النص على مدينة أخرى غير مكة .

وعندما يقول النص : (بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنوا منك) فهذه صفة لا تناسب ولا تنطبق إلا على مكة البلد الحرام لأن الله تعـــالى يقـــول :

---

(١٤٨) البخاري (فـــتح البـــاري) حـــديث رقـــم ٣٨٨٧ ، ج٧/ص٢٤١-٢٤٢ ؛ صـــحيح مســـلم بشـــرح النووي ج٢/ص٢٢٤ ؛ مسند أحمد ج٤/ ص٢٠٨-٢١٠ .

(١٤٩) صحيح مسلم بشرح النووي ج٣/ ص٩٥ ؛ وقد أخرجه البخاري أيضاً عن أبي سعيد الخـــدري ، انظـــر: البخاري (فتح الباري) ج٦ / حديث رقم ٣٣٤٩ ، ص٤٤٠ .

(١٥٠) المائدة : ٢٤ .

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (١٥١). ويقول النص : " ها أهم مجتمعون اجتماعاً ليس من عندي" . فيبدو الحديث عنه على لسان أشعيا ، وهذا حق فالاجتماع للحج في مكة ليس من عنده بل بسبب دعوة إبراهيم عليه السلام الناس للحج : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (١٥٢).

ويقول النص : (من اجتمع عليك فأليك يسقط ... كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه) . فمكة هي المدينة الوحيدة على وجه الأرض التي نجت من كل مؤامرات الأعداء . وهي المدينة الوحيدة التي سحقت كل القادمين إليها بشرورهم المختلفة منذ التبابعة ومروراً بأبرهة والصليبيين وحتى الرافضة في العصر الحاضر .

السابعة : الإصحاح الستون من سفر أشعيا يتحدث بأكمله عن هاجر ومكة وبيت الله الحرام، وبعثة محمد ﷺ ، وأمته ، والحج ، وقدوم الهدي من الجمال والأغنام لتذبح في منى ومكة يوم النحر ، حيث يقول هذا الإصحاح ما نصه : (قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك. لأنه هاهي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ومجدُه عليك يُرى. فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك . أرفعي عينيك حواليك وانظري . قد اجتمعوا كلهم . جاءوا إليك يأتي بنوك من بعيد وتُحمل بناتك على الأيدي . حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتّسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم. تغطيك كثرة الجمال بكران مدين وعيفة كلها تأتي من شبا . تحمل ذهباً ولباناً وتبشر بتسابيح الرب . كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك. تصعد مقبولة على مذبحي وأُزين بيت جمالي . من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها . إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول لتأتي بنيك من بعيد

---

(١٥١) الحج : ٢٥ .

(١٥٢) الحج : ٢٥-٢٦ .

وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجّدك.

وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك . لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك . وتنفتح أبوابك دائماً . نهاراً أو ليلاً لا تغلق ليؤتى إليك بغنى الأمم وتُقاد ملوكهم. لأنه الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخراباً تخرب الأمم . مجد لبنان إليك يأتي السرو والسنديان والشربين معاً لزينة مكان مقدسي وأمجّد موضع رجليَّ .

وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين وكل الذين أهانوك يسجدون لدي باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل . عوضاً عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك أجعلك فخراً أبدياً فرح دور فدور . وترضعين لبن الأمم وترضعين ثُديَّ ملوك وتعرفين أني أنا الرب مخلصك ووليك عزيز يعقوب عوضاً عن النحاس أتي بالذهب وعِوَضاً عن الحديد آتي بالفضة وعِوَضاً عن الخشب بالنحاس وعِوَضاً عن الحجارة بالحديد واجعل وُكلاءك سلاماً وولاتك براً .

لا يسمع بعد ظلم في أرضك ولا خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصاً وأبوابك تسبيحاً . لا تكون لك بعد الشمس نوراً في النهار ولا القمر ينير لك مضيئاً بل الرب يكون لك نوراً أبدياً وإلهك زينتك . لا تغيب بعد شمسك وقمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نوراً أبدياً تُكْمَلُ أيام نوحيك . وشعبك كلهم أبرار. إلى الأبد يرثون الأرض غصن غرسي عمل يدي لأتمجَّد. الصغير يصير ألفاً والحقير أمة قوية أنا الرب في وقته أسرع به) [١٥٣].

وقبل أن نشرع في تحليل هذا الإصحاح والتعليق عليه، يجدر أن نشير إلى أن علي بن ربن الطبري قد استدل بترجمة أوضح لهذا الإصحاح وعلّق عليه في سبع صفحات كاملة من كتابه [١٥٤]. حيث ترجمه عن الأصل السرياني وذكر أن النص سمّى النبي محمد ﷺ ، مرتين

(١٥٣) أشعيا : الإصحاح الستون : ١-٢٢ .

(١٥٤) الدين والدولة في إثبات النبي محمد ﷺ ، ص١٠٠-١٠٧ .

حيث قال: (إني قد جعلت أسمك محمداً فانظر من محالك ومساكنك يا محمد يا قدوس) [١٥٥]
ويعلّق علي بن ربّن الطبري على هذه البشارة قائلاً : (فمن لم يقنع بهذه ولم يخضع لها عاند الرب صُراحاً وقد سمّى النبي فيها مرتين تسمية لم تدعم في شبهة . فإن غالط مغالط فقال إن قول الله تعالى يا محمد ويا قدوس إنما يقع على المساكن التي ذكرها فإن الكتاب السرياني يكذِّبه لأنه لو أراد بذلك المساكن لقال قدوسين ومحمدين ولم يقل قدوساً ومحمداً) [١٥٦].
كما أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد أشار إلى هذا الإصحاح وأورد فقرات صغيرة منه وعلّق عليها. وتختلف تلك الفقرات قليلاً عن النص الحالي المترجم إلى العربية ، وعن ترجمة الملك جيمس بالإنجليزية مما يشير إلى أن شيخ الإسلام اعتمد على ترجمة مختلفة في زمنه أو أن أحبار يهود ظلوا على عادتهم في كتمان الحق لإخفاء اسم محمد ﷺ ، واسم مكة ، إذ أن تلك الفقرات التي أوردها شيخ الإسلام تذكر اسم النبي صراحة ، وتورد صفات مكة بصورة أوضح [١٥٧].

وعلى الرغم من ذلك فإن الإصحاح الستون الذي أوردنا نصه آنفاً يتحدث جميعه عن محمد ﷺ وأمته ، ومكة ومستقبلها منذ أشعيا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: فعندما يقول النص مخاطباً مكة : (قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك).
فهذه بشارة ببعثه محمد ﷺ ، وبدء نزول الوحي عليه في غار حراء ، حيث كانت تلك الحادثة بداية التحول في تاريخ البشرية لإخراجها من الظلمات إلى النور، وبدء نزول آخر الكتب وأفضلها على خاتم الأنبياء ، والذي يشتمل على المنهج الصحيح الذي ينبغي أن تسير عليه البشرية لتنال سعادة الدارين . فنور مكة الذي جاء هو محمد ﷺ ، ومجد الرب الذي أشرق عليها ، هو نزول الوحي الإلهي عليه . (لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض

(١٥٥) المصدر نفسه ، ص١٠٦ .
(١٥٦) المصدر نفسه ، ص١٠٦-١٠٧ .
(١٥٧) الجواب الصحيح ج٥ / ص٢٥٥-٢٥٧ .

والظلام الدامس الأمم) . وهذه الحال كانت حقيقة تاريخية واقعة قبل بعثة محمد ﷺ ، وقد أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٥٨). كما أشار النبي ﷺ ، إلى هذه الحقيقة فقال : (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهــل الكتــاب) (١٥٩). وأولئك البقايا من أهل الكتاب – وهم قليل بالقياس إلى عامة النصارى واليهــود – هــم الذين عرفوا الحق الذي جاء به محمد ﷺ فآمنوا به مثل عبد الله بن سلام وصهيب الرومــي وسلمان الفارسي والنجاشي وغيرهم (أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يُرى . فتســير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك) . وقد أشرق الله بنوره على مكة ببعثه محمــد ﷺ لينقشع الظلام الدامس ، ويُعبد الله وحده لا شريك له وينتصر دينــه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (١٦٠)، فتشرف مكة بنور الله وتتطهر من الأصنام والأوثان ، ويتلو محمد ﷺ ، وهو يُسقط الأصنام بمحجنه يوم الفتح الأعظم قــول الله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١٦١). ومنذ ذلك الحين سارت الأمم والملوك على هدى النور الذي أنزله الله تعالى على نبيه بمكة التي أشرقت على الــدنيا فأنارها بالقرآن العظيم .

ويقول النص : (ارفعي عينيك حواليك وانظري. قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك. يــأتي بنوك من بعيد وتُحمل بناتك على الأيدي) . فهاهي الجموع في كل موسم وفي كل حــين تأتي إلى مكة لأداء فريضة الحج والعمرة من كل حدب وصوب ، وها هم بنــو إسماعيــل الذين انساحوا في مشارق الأرض ومغاربها يأتون إليها من بعيد لأداء الفريضة وتزدهي مكة بقدومهم ويخفق قلبها لهم وتتسع جنباها لكل القادمين رغم كثرتهم (لأنه تتحول إليك ثروة

---

(١٥٨) الروم : ٤١ .

(١٥٩) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٧ / ص١٩٧ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

(١٦٠) الصف : ٩ .

(١٦١) الإسراء : ٨١ .

البحر ويأتي إليك غنى الأمم) فأي مدينة على وجه الأرض حدث لها هذا عبر العصور غير مكة ؟ فهي الوحيدة التي تحقق لها هذا استجابة من الله تعالى لدعوة خليلـــه إبـــراهيم ﷺ ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[١٦٢]. فكما يشهد التاريخ كانت وما زالت الغلال والثمار والسلع والأموال والأنعام ترد من كل مكان إلى مكة ، وتأتيهـــا النفقات والهبات من سائر أقطار المسلمين ، فضلاً عن الهدايا والتحف ، والكسوة الثمينـــة التي كان يبعث بها السلاطين للكعبة ، وكم من ثروات الأمم والبلدان تدفقت على مكة من سائر البلدان ، حيث كان الحكام المسلمون والأثرياء والوجهاء يقفـــون كـــرائم أمـــوالهم ومزارعهم وعقاراتهم على الحرمين الشريفين لينفق من ريعها على شؤونهما وعلى العلمـــاء وطلبة العلم والمجاورين ، وعلى توفير المياه للحجاج والمعتمرين ، وعلـــى تمهيـــد الطـــرق للوصول بيسر وسهولة إلى هذه البلاد المقدسة . والآلاف من الوثائق الباقية تشهد على هذا الأمر سواءً في الأرشيف العثماني في تركيا أو تلك المحفوظة في مصر والهند وبلاد المغـــرب وغيرها. ليس هذا فحسب بل نجد كل مسلم في أقطار الأرض يوفر من قوت يومه خـــلال سنوات طويلة ثم يأتي بما جمعه طوال عمره لينفقه في مكة مؤدياً فريضة الحج والعمرة .

وحين يقول النص (تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا [١٦٣]، تحمل ذهباً ولبناً وتبشر بتسابيح الرب) . فأي أرض في الدنيا غطتها الجمال غـــير مكـــة ؟ التي كانت ولا تزال قوافل الجمال تُساق إليها هدياً بالغ الكعبة عبر عصور التـــاريخ منـــذ إبراهيم ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وفي كل موسم حج تكـــتظ نواحيهـــا ببكران الجمال القادمة إليها من نواحي جـــزيرة العرب وغـــيرها. ومن مدين وعيفـــة في

(١٦٢) إبراهيم : ٣٧ .

(١٦٣) يذكر سفر التكوين أن إبراهيم ﷺ تزوج بعد وفاة سارة زوجة اسمها قطورة ، فولد له زمـــران ويقشـــان ومدان ومديان ويشباق وشوحا، وولد بقشان شبا وردان وكان بنو ددان أشوريم ولطوشيم ولأمـــيم ، وبنـــو مديان عيفة وعفر وأبيداع والدعة. تكوين : الإصحاح الخامس والعشرين : ١-٤ .

شمال جزيرة العرب ومن شبا في شرقها ، يأتي أهلها بالجمال تحمل السلع والتوابل والذهب واللبان. ومنذ أن يصل أصحاب تلك الجمال إلى المواقيت يلبسون ثياب الإحرام وينـــادون بالتلبية لله تعالى وتوحيده وتسبيحه طوال طريقهم إلى مكة ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾(١٦٤).

(كل غنم قيدار تجتمع إليك كباش نبايوت تخدمك . تصعد مقبولة علـــى مـــذبحي) . وقيدار ، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (هو ابن إسماعيل باتفاق الناس ، وربيعة ومضر من ولده ، ومحمد ﷺ من مضر)(١٦٥) . ومن أراد أن يصرف شيئاً من هذا الإصحاح عـــن مكة إلى مدينة أخرى ، فهو كمن يزعم أن الشمس لا تشرق إلا من الغرب ! فغنم العـــرب من بني قيدار بن إسماعيل لا تجتمع إلا في مكة في موسم الحج ، وكذلك كباش نبايوت وهو نابت بن إسماعيل وشقيق قيدار ، ونبايوت بكر إسماعيل (١٦٦). لأنه لم يســـجل التـــاريخ أن شاة أو جملاً واحداً من أنعام هؤلاء سيقت إلى بيت المقدس لتذبح هنـــاك . وجميـــع تلـــك الأغنام والكباش يتقبلها الله سبحانه وتعالى من عباده حين تنحر في مذبح الـــرب المشـــهور على هذه الأرض وهو منى في يوم العيد الأكبر ، وبقية أيام التشريق فقد قـــال الـــنبي ﷺ : (نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم)(١٦٧) .

ثم يتحدث النص مباشرة عن الكعبة فيقول : (وأزيّن بيت جمالي) . وقد اعتمد شـــيخ

---

(١٦٤) الحج : ٢٨ .

(١٦٥) الجواب الصحيح ج٥/ ص٢٦٢ .

(١٦٦) أورد سفر التكوين أسماء بني إسماعيل فقال: (وهذه أسماء بني إسماعيل حسب مواليـــدهم : نبـــايوت بكـــر إسماعيل ، وقيدار ،وأدبئيل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومة ، ومسّا ، وحدار ، وتيما ، ويطـــور ، ونـــافيش ، وقدمه . تكوين ، الإصحاح الخامس والعشرون : ١٢-١٥ .

(١٦٧) صحيح مسلم بشرح النووي باب حجة النبي ﷺ ، ج٨ / ص١٩٥ ؛ وأخرجه أبـــو داود بـــرقم ١٩٣٧ ؛ وابن ماجة برقم ٣٠٤٨ ، وأحمد في مسنده ج٣/ ص٣٢٦ .

الإسلام على ترجمة نصها : (لتلبسي الحلل، وتزيني بالإكليل مثل العروس) ويعلــق علــى ذلك بقوله : (وذلك إيضاح من أشعيا بشأن الكعبة، فهي التي ألبسها الله الحلــل الــديباج الفاخرة)[١٦٨] . والكعبة هي البيت الوحيد على وجه الأرض الذي يُكسى بأجمل وأفخــر أنواع الحرير والقصب والذهب . وقد تنافس المسلمون عبر العصور في كسوة الكعبة . ولها حالياً مصنع خاص بتلك الكسوة التي تكلف أموالاً كثيرة .

وعندما يتساءل النص : (من هؤلاء الطائرون كالسحاب وكالحمام إلى بيوتهــا؟) فإنــه تساؤل عن المستقبل ، عن وفود الحجيج الذين يفدون جواً إلى الديار المقدسة في كل موسم حج في العصر الحديث من كل حدب وصوب وبحركة جوية لا مثيــل لهــا. (إن الجزائــر تنتظرني وسُفن ترشيش – تونس – لتأتي ببنيك من بعيد وفضتهم وذهبهم معهم لأسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل قد مجّدك) . حقاً لقد ظلت سفن تونس عبر العصور تحمل الحجــاج القادمين إلى مكة من الأندلس والمغرب وصقلية وجزر البليار وسائر جزائر البحر المتوسط، ومعهم أموالهم من الذهب والفضة التي كانوا قد جمعوها لإنفاقها في مكة وشــراء الهــدي والأضاحي لله تعالى ، وذلك لأن الله تعالى قد عظّم مكة وجعلها قبلتهم إلى يوم الدين .

وعندما يقول النص : (وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك) . فمن هــم بنو الغريب ؟ أليسوا هم الحكام والسلاطين المسلمين الذين من غير العرب وليسوا من أبناء إسماعيل ، هم الذين بنوها وشادوا علامات حدودها وخدموها عبر القرون الطويلة بدءاً من السلطان صلاح الدين الأيوبي الكردي الأصل ، ومروراً بسلاطين المماليك الذين لا يمتــون بصلة نسب لبني إسماعيل وانتهاءً بسلاطين آل عثمان الأتراك ، الذين خدموا جميعــاً مكــة والمسجد الحرام وتلقبوا – منذ صلاح الدين – بلقب خادم الحرمين الشريفين ، حيث كانوا يرون في ذلك اللقب شرفاً ما بعده شرف (وتنفتح أبوابك دائماً ، نهاراً ولــيلاً لا تغلــق) . ومكة هي المدينة الوحيدة التي ظلت عبر القرون مفتوحة الأبواب لوفود الحجاج والمعتمرين

---

(١٦٨) الجواب الصحيح ، ج٥/ ص٢٦٣-٢٦٤ .

والمجاورين (لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخراباً تخرب الأمم) . وقد شهد التاريخ حرص الدول الإسلامية التي قامت منذ الدولة الأموية وحتى العصر الحديث على بسط نفوذها على الحرمين الشريفين لاسيما مكة المكرمة لتحظى بخدمة الكعبة وتسهيل فريضة الحج حتى تضفى على حكمها الصبغة الشرعية في نظر عامة المسلمين .

ويقول النص (مجد لبنان إليك يأتي السرو والسنديان والشربين معاً لزينة مكان مقدسي وأمجد موضوع رجلي) . وهذا جرى فعلاً في عصور مختلفة ، فقد استخدم المسلمون أجود أنواع الخشب من السرو والسنديان لسقف الكعبة ولسقف المسجد الحرام خلال العمارات والتوسعات العديدة التي جرت للمسجد الحرام . وأمجّد موضع رجليَّ . فالمقصود هنا مقام إبراهيم الخليل عليه السلام قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [(١٦٩)]، ولا يستبعد أن أحبار يهود حذفوا من النص كلمة إبراهيم التي يُرجح أنها كانت موجودة بعد كلمة رجليّ حتى لا يتجه ذهن القارئ فوراً إلى بيت الله المحرم بمكة، لأنه لا يوجد مكان لأثر رجليّ إبراهيم عليه السلام في الأرض إلا بجوار البيت المحرّم، مما يدل على معرفتهم بمقام إبراهيم، ويزكي هذا الرأي أنهم كانوا يتوقون إلى سرقته، بدليل ما ذكره الفاكهي بسند صحيح بأن رجلاً كان بمكة يُقال له جريج – يهودي أو نصراني – قد تظاهر بأنه أسلم ففقِدَ المقام ذات ليلة، فطُلب فوُجد عنده. أراد أن يخرجه إلى ملك الروم، فأُخذ منه وضُربت عنق جريج[(١٧٠)].

ويقول : (وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك). فمن هم الذين قهروا الكعبة ؟ إنهم كفار قريش وسائر مشركي العرب الذين قهروها بمقاومة دعوة محمد ﷺ ، واضطهاد أصحابه ، وفي نهاية المطاف دُحِروا وقتلوا فخضع أبناؤهم لدعوة الحق وساروا إلى الكعبة خاضعين . وكل الذين أهانوها بتعليق الأصنام في جوفها يخرون في الوقت نفسه ساجدين عند باطن قدميها .

(١٦٩) البقرة : ١٢٥ .

(١٧٠) الفاكهي : أخبار مكة ج١/ ص٤٥٢ ، حديث رقم ٩٩١ .

ويمضي النص في الحديث عن مكة إلى أن يقول : (لا يُسمع بعد ظلم في أرضــك ولا خراب في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصاً وأبوابك تسبيحاً) . وهذا الوصف لا ينطبــق إلا على مكة البلد الحرام ، ولا ينطبق على غيرها، فهي التي لا يسمع بعد ظلم في أرضــها لأن الله تعالى تعهد بنفي الظلم عنها بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١٧١). ولا خراب يوجد في تخوم مكة ، ولا يمكن أن يكون هذا الوصــف منطبقــاً على بيت المقدس ، التي شهدت هي وتخومها في بلاد الشام من الخراب والدمار والغــزوات والفتن والحروب والمذابح على مر العصور ما لم تشهده بلاد أخرى. أما أسوار مكــة الــتي تسمى خلاصاً ، فهي مواقيت الحج والعمرة التي يحرم منها الحجــاج ، ويتخلصــون مــن ملابسهم ومن كل أدران الدنيا ويحرمون بالثياب البيضاء الخالية من المخيط ويعلنون بالتوبة والتلبية راجين من الله أن يغفر لهم ذنوبهم . وأبواب مكة تسبيحاً فعندما يصــلها الحجــاج يعلنون قائلين : سبحان الله والحمد لله والله أكبر .. إلى آخر الأدعية والتسابيح المأثورة . ثم يتحدث النص عن النور الذي يضيء سماء مكة في كل الأوقات وهو نــور الإســلام إلى أن يقول : (وشعبك كلهم أبرار ، إلى الأبد يرثون الأرض غصن غرسي عمل يــديَّ الصــغير يصير ألفاً والحقير أمة قوية) . وهذا الوصف لم يتحقق إلا لأمة محمد ﷺ ، حيث وعدهم الله بالاستخلاف في الأرض والتمكين لدينهم وحقق وعده لهم قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (١٧٢).

الثامنة : جاءت في الإصحاح الحادي والعشرين من إنجيل متى على لسان المسيح عليه السلام حيث قــال: (اسمعوا مثلاً آخر. كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى

(١٧١) الحج : ٢٥ .

(١٧٢) النور : ٥٥ .

بُرجاً وسلمه إلى كرَّامين وسافر . ولما قرْب وقت الإثمار أرسل عبيد إلى الكـــرامين ليأُخـــذ إثماره. فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً . ثم أرســـل أيضـــاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين . ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم ابنه قـــائلاً يهـــابون أبني . وأما الكرّامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث . هلمُّوا نقتله ونأخذ ميراثه . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكـــرم مـــاذا يفعـــل بأولئك الكرَّامين . قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كـــرّامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع . أما قرأتم في الكتب . الحجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا . لـــذلك أقول لكم إن ملكوت الله يترع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه)(١٧٣).

وهذا المثال الذي ضربه المسيح لبني إسرائيل ، بيّن فيه نكوصهم وعدم وفائهم بعهدهم مع الله وموقفهم من أنبيائهم، إلى أن نزع الله منهم الخيرية والنبوة ببني إسماعيل وبعث فيهم محمداً ﷺ ، فهو حجر الزاوية في بيت الأنبياء وخاتم المرسلين . فقد أخرج البخاري بســـنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ ، قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بـــنى بيتـــاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)(١٧٤).

وهذا المثال الذي ضربه المسيح لبني إسرائيل وضّحه القرآن بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ

(١٧٣) إنجيل متى : الإصحاح الحادي والعشرين : ٣٣-٤٤ .

(١٧٤) البخاري (فتح الباري) ج٦/ ص٦٤٥ حديث رقم ٣٥٣٥ واللفظ له؛ وأخرجه أيضـــاً مســـلم في كتابـــة الفضائل ، صحيح مسلم بشر النووي ج١٥/ ص٥١ .

﴿ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴾ (١٧٥). وقد أثبت الواقع التاريخي أن النبي ﷺ ، هو حجر الزاوية وهو الحجر الساحق، الذي ما وقف أحدٌ ضده ، أو ضد دعوة الحق التي أُرسل بها، إلاّ وكان مصيرهُ الهزيمة الساحقة والبوار المبين .

التاسعة : ما جاء في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا على لسان المسيح عليه السلام قوله : (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي . وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً أخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم) .... إلى أن يقول : (وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب بإسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم) (١٧٦). وكلمة المعزي هي الموجودة في الترجمات الحالية. وهي كلمة الفارقليط الشائعة في الترجمات القديمة (١٧٧).

والفارقليط كلمة يونانية قديمة بمعنى أحمد (١٧٨). وقد أشار إلى هذه الحقيقية وشرحها علي بن ربّن الطبري(١٧٩) . كما شرحها أنسلم تورميدا في كتابه تحفة الأريب . حيث كان أنسلم تورميدا إبان شبابه يتعمق في دراسة علم اللاهوت ولما عرف من أستاذه العلامة نقلادمرتيل أن النبي الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام هو النبي محمد ، ﷺ ، هاجر من جزيرة ميورقة في البحر المتوسط إلى المملكة الحفيصة في تونس في أواخر القرن الثامن الهجري واعتنق الإسلام . وفي تونس تسمى باسم عبد الله الترجمان وألّف كتابه تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (١٨٠).

---

(١٧٥) البقرة : ٧٨ .

(١٧٦) إنجيل يوحنا : الإصحاح الرابع عشر : ١٥-١٧، ٢٦ .

(١٧٧) انظر علي بن ربن الطبري : الدين والدولة ص١٢٤-١٢٥؛ ابن تيمية : الجواب الصحيح ج٥/ص٢٨٤ ، انسلم تورميدا: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص٣٨ .

(١٧٨) انظر : تحفة الأريب ص٣٨ حاشية المحقق رقم ٥٣ .

(١٧٩) الدين والدولة ص١٢٤-١٢٥ .

(١٨٠) تحفة الأريب ص٣٦-٤٤ .

وقد استدل شيخ الإسلام بهذه البشارة الواردة في إنجيل يوحنا وشرح مضمونها شرحاً مستفيضاً وبرهن على أن هذه البشارة تعني محمداً ﷺ الذي (أكمل الله له الـدين وأتم بـه النعمة ، ولهذا كان خاتم الأنبياء فإنه لم يبق شيء يأتي به غيره ، وأخبر محمد ﷺ ، بكل مـا يأتي من أشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ، ووزن الأعمال ، والجنـة وأنـواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها ولهذا كان في القرآن من تفصيل أمر الآخـرة وذكـر الجنـة والنار، وما يأتي من ذلك أمور كثيرة لا توجد لا في التوراة ولا في الإنجيل... ومحمد بعثه الله بين يدي الساعة كما قال: " بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصابعه السبابة والوسـطى" وكان إذا ذكر الساعة علا صوته وأحمر وجهه ، واشتد غضبه ، كأنه منذر جيش وقـال : (إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) وقال : (أنا النذير العريان) . فأخبر عن الأمور التي تأتي في المستقبل بما لم يخبر به نبي من الأنبياء ... ولا يوجد مثل هذا قط عن أحد من الأنبياء قبل محمد ﷺ ، ... وأيضاً ... بيّن أنه يعرّف الناس جميع ما لله وذلك يتنـاول مـا لله مـن الأسماء والصفات ، وما له من الحقوق وما يجب من الإيمان به وبملائكته وكتبـه ورسـله ، بحيث يكون ما يأتي به جامعاً لكل ما يستحقه الرب وهذا لم يأت به أحد غير محمد ، حيـث يتضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة) [181].

وهكذا يتضح لنا – بعد شرح هذه البشارات – أن هناك حافز آخر من حوافز قيـام يوحنا الدمشقي ومن سار على نهجه من كُتَّاب الغرب ، بتشويه صورة النبي ﷺ، وتشـويه عقائد الإسلام وشرائعه، ورسم صور ملفقة كاذبة عنهما في عيون جماهيرهم، وذلك الحافز هو الحيلولة بين تلك الجماهير وبني اكتشاف تلك البشارات والصفات في كتابهم المقـدس التي تعني محمداً ﷺ وأمته، وبالتالي يثبتون على نصرانيتهم ولا يدخلون في الإسلام.

---

(١٨١) الجواب الصحيح ج٥/ص٢٨٤-٢٩٧ .

وحين يزعم يوحناً الدمشقي أن المسلمين يصبحون مذهولين وفي خسران بسبب عجزهم المزعوم عن الرد على سؤاله حول ما هو الشيء الذي يشهد أن الله أنزل القرآن على محمد ﷺ، ومن هم الأنبياء الدين تنبأوا بظهوره . فإنه يهدف بالدرجة الأولى إلى غرس القناعة بتلك الصور المشوهة والملفقة عن الإسلام ورسوله في عقول قرائه النصارى . فهو قطعاً لم يتحاور مع أحد من علماء الإسلام المعاصرين له. إذا لو فعل ذلك لما وجد الذهول والخسران الذي يدعيه ، بل سيجد الجواب الصادق والحجة البالغة على بطلان مزاعمه. وقد أثبت التاريخ على مدى ألف وثلاثمائة سنة تلت يوحنا الدمشقي أن المسلمين لم يصبحوا مذهولين وفي خسران إزاء مثل هذه التساؤلات النصرانية التافهة ، حيث صنّف العلماء المسلمون مصنفات لا حصر لها تجيب على تساؤلات النصارى وترد على مزاعمهم وتفند معتقداقم ، بأدّلة وحجج كاسحة، وهي مؤلفات بلغت الذروة في سموها وأدبا وحججها وبراهينها بحيث إذا وضعنا ردود النصارى أمامها للمقارنة فإننا نجد المؤلفات والردود النصرانية تتضاءل وتندحر أمام مؤلفات العلماء المسلمين المقنعة[١٨٢].

وعندما يتظاهر يوحنا الدمشقي أمام قرائه النصارى أنه يخبر المسلمين بالكيفية التي تلقى فيها النبي موسى عليه السلام الشريعة من الله . فإنه يوحي لقرائه النصارى أن المسلمين يجهلون موسى عليه السلام .

(١٨٢) بالإضافة إلى ما رجعنا إليه آنفاً ، انظر على سبيل المثال : رسالة أبي الربيع بن الليث إلى قسطنطين ملك الروم على لسان هارون الرشيد تحقيق أسعد لطفي حسن ، القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ؛ الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسّي : الرد على النصارى ، تحقيق إمام حنفي عبد الله، القاهرة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م؛ الجاحظ : الرد على النصارى ضمن ثلاث رسائل لأبي عمرو بن بحر الجاحظ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ؛ ابن حزم: الفصل في الملل والنحل ٥ أجزاء في مجلدين ، القاهرة ، ١٣٢١هـ ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني؛ أبو المعالي الجويني إمام الحرمين: شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، القاهرة ١٩٧٩م ؛ أبو بكر بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ، القاهرة ١٣٧٤هـ ، وكتابه التمهيد ، القاهرة ١٣٦٦هـ؛ فخر الدين الرازي : مناظرة في الرد على النصارى ، تحقيق : عبد المجيد النجار ، بيروت ١٩٨٦م ؛ الخزرجي: مقامع الصلبان ، تونس ١٩٧٥م ؛ عبد الجبار بن أحمد الهمذاني : تثبيت دلائل النبوة ، بيروت ١٣٨٦هـ؛ أبو الفضل المالكي السعودي : المنتخب الجليل في تخجيل من حرّف الإنجيل ، ليدن ١٩٨٠م ؛ سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري الحنبلي : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، تحقيق سالم بن محمد القرني ، الرياض ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

والحق أن المسلمين ليسوا بحاجة إلى أن يخبرهم يوحنا بمعجزات موسى عليه السلام ومكانته عند الله ، وتكليم الله له . فهذه عقيدة راسخة لدى المسلمين أخبر الله بها نبيه محمد ﷺ ، في كتابه العزيز . ويعرف المسلمون النبي موسى عليه السلام وحقيقة دعوته أكثر مما يعرفه عنه أهل الكتاب وفقاً لما جاء عنه من تفصيل مبين في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وحين يقول يوحنا الدمشقي : (إن جميع الأنبياء ابتداءً من موسى وإلى أمام تنبئوا بمجيء المسيح وأن المسيح هو الله ، وأن ابن الله سوف يأتي لاتخاذ الطبيعة البشرية وأنه سوف يصلب، وأنه سوف يموت ، وأنه سوف يكون الحكم للأحياء والأموات) .

فإن المسلمين لا ينكرون البشارة بظهور المسيح قبل أن يخلقه الله ويؤمنون أنه من خيرة الأنبياء ومن أولي العزم من الرسل وأن مثله مثل آدم عندما خلقه الله من تراب فقال له كن فكان بهذه الكلمة . لكن المسلمون ينكرون أشد الإنكار ويبرءون إلى الله تعالى أشد البراءة من شتم يوحنا الدمشقي وسبه لله جل وعلا حين يقول – زوراً وبهتاناً ، طبقاً لعقيدته الضّالة الفاسدة – إن المسيح هو اله وأنه ابن الله .... ، لأن هذا القول ، هو التناقض الذي ما بعده تناقض والمحال الذي ما بعده محال ، والكفر الصريح بعقيدة التوحيد التي أُرسل بها الأنبياء جميعاً ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [١٨٣].

والتناقض والمحال المطلق في قول يوحنا الدمشقي إن المسيح هو الله، وهو ابن الله في الوقت نفسه. والشتم البشع لله جل وعلا في قول يوحنا الدمشقي إن المسيح هو ابن الله . وفي هذا إضفاء صفة نقص على الله تعالى ، فصفة أن يكون للشيء ولد تدل منطقياً على احتياجه وفنائه وعجزه ، وأنه في حاجة إلى من يخلفه من بعده ويحفظ نوعه من الاندثار والزوال ويحمل اسمه ويعينه في شيخوخته وهرمه . وهذه صفة نقص لا يتصف بها إلا الخلق ، تعالى الله الدائم الغني الحي القيوم الواحد الأحد الفرد الصمد أن يتصف بها. لذا قال الله تعالى لمن يقول بهذا القول : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ

(١٨٣) المائدة : ٧٢ .

ﭐلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ (١٨٤)، فهذا القول البشع الذي يقوله النصارى، إنما هو في حقيقته اعتداء صارخ على جلال الله وعظمته ، وافتراء خطير على وحدانيته وجبروته ، فزعت منه السموات والأرض والجبال، وكادت أن تتشقق وتنهدم وتزول من هوله لعظمة الله تعالى .

ويبلغ المدى بيوحنا الدمشقي حداً بعيداً في سب الله جل وعلا – طبقاً لأساس عقيدته الضالة الباطلة – حين يزعم زوراً وبهتاناً أن الله الكبير المتعال – الذي يزعم أنه هو المسيح – قد نزل عن كرسي عظمته من أجل أن يتخذ الطبيعة البشرية ، وكأنه جلا وعلا – الكامل الكمال المطلق في أسمائه وصفاته – كان ناقصاً ولم يبق له إلا اتخاذ الطبيعة البشرية المتصفة بالضعف والعجز ، وهو الخالق لكل شيء ، والذي أمره أسرع من لمح البصر . فجاء ليدخل في أحشاء مريم العذراء ويستقر في باطنها ليعيش بين دمها وروثها وبولها، ثم يولد طفلاً صغيراً يرضع من أمه وتحمله بين يديها، ويأكل ويبول ويتغوط ويتكلم حتى يكبر ، ثم يأخذه أعداؤه اليهود ويستهزئون به ويبصقون في وجهه ، ويضعون الشوك على رأسه ويصلبونه ، ثم يقسمون ثيابه ويتركونه عارياً على خشبة الصليب ، حتى أخذ جثمانه ودفن (١٨٥).

إن من أسماء الله الحسنى الصبور ، الحليم . فهو ذو الصبر المطلق ، والحلم الكامل ، ولولا ذلك لعجّل الله للنصارى العقوبة في الدنيا قبل الآخرة جزاء هذا السب الشنيع . فهذا الشتم البشع لو قاله لمسيح الضلالة – المسيخ الدجال – أحد أتباعه لأربد وأزبد وبطش بتابعه الذي قاله ، ونزّه نفسه عن ذلك. بل يمكن أن نجد من عُبّاد الأوثان الباطلة من ينزهّون معبوداتهم المنحوتة عن أن تتصف بهذه الأوصاف الدّالة على العجز .

---

(١٨٤) مريم : ٨٨-٩٣ .

(١٨٥) انظر: أنجيل متى ، الأصحاح السابع والعشرون: ١-٦١؛ إنجيل مرقس، الإصحاح الخامس عشر:١٦-٤٥؛ إنجيل لوقا ، الأصحاح الثالث والعشرون : ١٢-٥٦؛ إنجيل يوحنا ، الأصحاح التاسع عشر : ١-٤٢.

وصفوة القول :

إنه إذا كانت أمة تقوم عقيدتها على هذا الأساس الباطل من شتم الله عز وجل، والانتقاص من وحدانيته وجلاله وعظمته وجبروته وكماله ، فلا غرابة بعد ذلك أن نسمع منها الشتم والبهتان للنبي ﷺ ، والافتراء عليه وتشويه رسالته .

إنكار يوحنا الدمشقي الوحي لمحمد ﷺ

ولكي يثبّت يوحنا الدمشقي مزاعمه الداحضة في عقول قرائه النصارى بأن محمداً ﷺ ، لا يملك شيئاً يشهد أن الله أنزل إليه الكتاب المقدس ، وأن لا أحد من الأنبياء تنبأ بظهوره – وهو ما دحضناه آنفاً – يعود ليتظاهر أمام قرائه وكأنه يوجه السؤال للمسلمين قائلاً : (بعدئذ، وعندما نحن نسأل كيف يكون أن نبيكم لم يأت بهذه الطريقة ، عن طريق حدوث أن آخرين يتحملون الشهادة له ، ولا حدث ، مثلما في قضية موسى، أن الله أعطى له الشريعة بينما كان الناس ينظرون والجبل كان داخل الدخان ، وأن الله يعطيه أيضاً مثلما تدّعون ، الكتاب المقدس في وجودكم وبالتالي هل أنتم أيضاً ، تملكون عهداً ؟ هم يجيبون أن الله يفعل كل ما هو يريد . عند هذا نحن نقول : ذلك أيضاً نحن نعرفه ، لكن كيف حدث أن الكتاب المقدس ينزل إلى نبيكم، هذا هو الذي نسأل عنه. هم يجيبون : إنه بينما كان نائماً أنزل عليه الكتاب المقدس . عندئذ نحن نقول لهم في مزاح ذلك (حسن) حينذاك بينما هو نائم تسلّم الكتاب المقدس . وهو لم يملك إحساساً بهذه الحادثة الواقعة، هو يصير لزاماً عليه أن الناس كافة يجعلونه مثلاً يُضرب به)[١٨٦].

وإذا تأملنا سؤال يوحنا الدمشقي ، لماذا لم يتسلم محمد ﷺ الكتاب المقدس من الله مباشرة والناس ينظرون . فإن هذا السؤال يدل على سفهه وقلة أدبه مع الله تعالى حيث يتساوى بذلك مع كفار قريش عندما عاندوا الحق وجادلوا بالباطل ورفضوا الإيمان بالقرآن : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا

(186) Migne: op. cit , Vol . 94 , Col 767-768 ; Sahas , op . cit , p. 135 .

﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (١٨٧). والأنبياء من البشر والوحي إليهم ظاهرة إلهية ومعجزة خارقة للسنن الكونية لا يمكن للبشر إدراك كنهها . وقد تلقى النبي ﷺ كلام الله (القرآن) بواسطة الملاك جبريل ، عليه السلام ، وكان الوحي يتم خارج الذات المحمدية المتلقية له ، وتنحصر مهمة الرسول ﷺ في حفظ الموحى وتبليغه (١٨٨). قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (١٨٩). وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴾ (١٩٠).

أما سؤال يوحنا الدمشقي للمسلمين . هل تملكون عهداً ؟ فهو يريد بذلك أن ينفي أن يكون الله قد أقام عهداً مع إبراهيم عليه السلام بأن يبعث من ذرية ابنه إسماعيل عليه السلام نبياً ، وأن العهد الإلهي مقتصر فقط على إسحاق عليه السلام كما جاء في سفر التكوين (ولكن عهدي أُقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية) (١٩١). ويوحنا الدمشقي يفعل مثلما يفعل علماء اليهود الذين يعلمون أن كتابهم المقدس قد أشار بوضوح تام إلى النبي محمد ﷺ ، الذي يبعثه الله من ذرية إسماعيل ولكنهم (يكتمونه عن عوامهم) (١٩٢) . قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٩٣). فأهل الكتاب – ومنهم يوحنا الدمشقي – يعرفون الرسول محمد ﷺ ، كما يعرفون أبناءهم ولكن

---

(١٨٧) الإسراء : ٩٠-٩٣ .

(١٨٨) العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ج١/ ص١٢٩-١٣٠ .

(١٨٩) النساء : ١٦٣ .

(١٩٠) المائدة : ٦٧ .

(١٩١) تكوين : الإصحاح السابع عشر : ٢١ .

(١٩٢) انسلم تورميدا : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، ص١٣٤ .

(١٩٣) البقرة : ١٤٦ .

يكتمون هذا الحق وهذه المعرفة بسبب الضغينة التي في صدورهم والحقد الكامن في نفوسهم . وقد جاء في سفر التكوين أن هاجر هربت من مولاتها سارة (فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاك الرب تكثيراً أُكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب هانت حبلى فتلدين ابناً . وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك . وأنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه . وأمام جميع إخوته يسكن) [194] . وقد استدل بهذا النص علي بن ربّن الطبري وغيره [195]. وعلّق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً : (معلوم أن يد بني إسماعيل قبل مبعث محمد ﷺ ، لم تكن فوق أيدي بني إسحاق ، بل كان في بني إسحاق النبوة والكتاب ، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب ، فلم يكن لبني إسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بُعث موسى عليه السلام، وكانوا مع موسى أعز أهل الأرض، لم يكن لأحد عليهم يد، ثم مع يوشع بعده إل زمن داود ، وملك سليمان الذي لم يؤت أحد مثله ، وسُلط عليهم بعد ذلك بختنصر ، فلم يكن لبني إسماعيل عليهم يد ، ثم بعث المسيح وخُرِّب بيت المقدس الخراب الثاني، حيث أفسدوا في الأرض مرتين ، ومن حينئذ زال ملكهم وقطّعهم الله في الأرض أمماً، وكانوا تحت حكم الروم والفرس ، لم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم، فلم يكن لولد إسماعيل سلطان على أحد من الأمم ، لا أهل الكتاب ولا الأميين ، فلم يكن يد ولد إسماعيل فوق الجميع ، حتى بعث الله محمداً ﷺ الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل حيث قالا : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [196]. فلما بُعث ، صار ولد إسماعيل فوق الجميع ، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم، وقهروا فارس والروم ، وغيرهم من الأمم ، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين . فظهر بذلك تحقيق

---

(١٩٤) تكوين : الإصحاح السادس عشر : ٩-١١ .

(١٩٥) الدين والدولة . ص٧٣-٧٤ ؛ ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص١٤٠-١٤١؛ تحفة الأريب ، ص١٣٣ — ١٣٤ .

(١٩٦) البقرة : ١٢٩ .

قوله في التوراة (وتكون يده فوق الجميع ، ويد الكل به) وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر . فإن قيل: هذه بشارة بملكه وظهوره ؟ قيل : الملك ملكان ، ملك ليس فيه دعوى نبوة ، وهذا لم يكن لبني إسماعيل على الجميع ، وملك صدر عن دعوى نبوة . فإن كان مدعي النبوة كاذباً: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ (١٩٧). وهذا من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم ، وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يدَّع نبوة لبختنصر وسنحاريب . ومعلوم أن الإخبار بهذا لا يكون بشارة ، ولا تفرح هاجر وإبراهيم بهذا ، كما لو قيل: يكون جباراً طاغياً ، يقهر الناس على طاعته ويقتلهم ، ويسبي حريمهم ، ويأخذ أموالهم بالباطل. فإن الإخبار بهذا لا يكون بشارة ولا يسر المُخبر بذلك ، وإنما يكون بشارة تسره إذا كان ذلك يعدل ، وكان علوه محموداً لا إثم فيه ، وذلك في مدعي النبوة لا يكون إلا وهو صادق لا كاذب) (١٩٨).

وجاء في سفر التكوين أيضاً أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام : (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أُباركه وأُثمره وأُكثره كثيراً جداً اثنى عشر أميراً يلد وأجعله أمة عظيمة) (١٩٩). وجاء في سفر التكوين أيضاً قوله : (فبكر إبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربه ماء وأعطاهما لهاجر واضعاً إياهما على كتفها والولد ، وصرفها . فمضت وتاهت في برية بئر سبع . ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار . ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس . لأنها قالت لا أنظر موت الولد . فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت . فسمع الله صوت الغلام . ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر . لا تخافي إن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة) (٢٠٠). ويعلّق شيخ الإسلام على قوله :

---

(١٩٧) الأنعام : ٩٣ .

(١٩٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٥/ ص٢٢٤-٢٢٥ .

(199) Holy Bible : The new King James Version, Genesis: 17-20.

وقد استخدمنا هنا طبعة الملك جيمس بالإنجليزية لأنها أكثر دقة ، لأن مترجم الكتاب المقدس إلى العربية ترجم عبارة أمة عظيمة A agreat Nation إلى أمة كبيرة . تكوين الإصحاح السابع عشر : ٢٠ وقد أورد علي بن ربّن الطبري عبارة وأجعله لأمة عظيمة ، الدين والدولة ، ص٧٣ .

(٢٠٠) التكوين الإصحاح الحادي والعشرون : ١٤ – ١٨ .

أجعله أمة عظيمة فيقول : (إن كانت تلك الأمة كافرة لم تكن عظيمة ، بل يكون أباً لأمة كـــافرة، فعلم أن هذه الأمة العظيمة كانوا مؤمنين ... أمة أثنى الله عليها وشرفها ، وأن إسماعيل عظمـــه الله جداً بما جعل في ذريته من الإيمان والنبوة)[٢٠١]. كما قدم علي بن ربّن الطبري شرحه لهذا العهـــد الذي منحه الله لإسماعيل – والذي ينكره يوحنا الدمشقي – فقال : (إنه لو لم يظهر النبي ﷺ لبطلت نبوات الأنبياء في إسماعيل عليه السلام ، وفي النبي عليه السلام خاتم الأنبياء بالضرورة لأن الله عز وجل لا يخلف وعده ولا يكذب خبره ولا يخيب راجيه وقد كان بشّر إبراهيم عليه السلام وهـــاجر ببشـــارات بيّنـــات سارّات لم نرها تمت وظهرت إلا بظهور النبي ﷺ ...)[٢٠٢].

وبعد هذا إذا كان بنو إسماعيل كانوا وثنيين كما شرح يوحنا الدمشقي في بداية فصـــله ، ثم تحولوا بعد ذلك إلى هراطقة على يد محمد ﷺ – مثلما يزعم في صدر الفصل نفسه – فأين ذهـــب عهد الله لإبراهيم وهاجر – كما جاء في سفر التكوين – بأنه سوف يبارك إسماعيل ويثمّره ويجعلـــه أمة عظيمة ؟؟؟؟؟

ويعود يوحنا الدمشقي مكرراً هذره وعدوانه المقيت وهو يتحدث لقرائه النصارى ، فيـــزعم أنه يوجه السؤال للمسلمين ، فيسألهم عن الكيفية التي أُنزل فيها القرآن على النبي ﷺ . ثم يختـــرع يوحنا الدمشقي بكل سخف الإجابة بالنيابة عنهم فيزعم أنهم يجيبون (أنه بينما كان نائماً أُنزل عليه الكتاب المقدس) . وبناءً على هذه الإجابة التي يفترضها يوحنا الدمشقي سلفاً يعلق ساخراً من النبي ﷺ ، قائلاً (بينما هو نائم تسلّم الكتاب المقدس ، وهو لم يملك إحساساً بهذه الحادثة الواقعة ، هـــو يصير لزاماً عليه أن الناس كافة يجعلونه مثلاً يضرب به) . والحق أن يوحنا الدمشقي هـــو الـــذي أصبح مثلاً يضرب به في الضلال والكذب والتشويه والتلفيق والافتراء فلا يوجد مســـلم واحـــد ، يجيب أن القرآن أُنزل على النبي ﷺ ، بينما كان نائماً فاقداً الإحساس بنـــزوله عليه . فالمســـلمون يعلمون علم اليقين بنص القرآن والأحاديث الصحيحة أن القرآن كان يتزل على النبي ﷺ وهـــو في

---

(٢٠١) الجواب الصحيح ج٥ / ص٢١٩-٢٢٠ .

(٢٠٢) الدين والدولة ، ص٧٢ .

أشد حالات اليقظة ، وفي قمة الصفاء الذهني وذروة الحضور العقلي ، وأنه كان خلال تنزل الوحي عليه يحرص أشد الحرص على تلقي الوحي وحفظه ، وكان حرصه يصل به إلى درجة أن يسارع إلى أن يحرك به لسانه وشفتيه متابعاً جبريل ، عليه السلام عندما يلقيه عليه كلمة كلمة وآية آية خشية أن ينسى منه شيئاً أو تفوته آية أو تند منه كلمة ، لذلك أمره الله تعالى أن لا يفعل ذلك ، وأن لا يعجل في حفظه ولا يحرك به لسانه وشفتيه ؛ لأن الله تعالى تكفل بحفظه في صدره ، وجمعه في ذاكرته وبيان معانيه له حتى يبلغه للناس كاملاً مثلما أُنزل عليه قال تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[٢٠٣]. وقال تعالى : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[٢٠٤].

وقد كمَّل الله لنبيه من مراتب الوحي مراتب عديدة ، كما يقول ابن القيم[٢٠٥]:

<u>إحداها :</u> الرُّؤيا الصادقة ، وكانت مبدأ وحيه ﷺ ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[٢٠٦].

<u>الثانية :</u> ما كان يلقيه الملك جبريل في روعة وقلبه من غير أن يراه كما قال النبي ﷺ ((إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته))[٢٠٧].

---

(٢٠٣) القيامة : ١٦-١٩ . وانظر تفسير الآيات في تفسير ابن كثير ص١٣٨٤ .

(٢٠٤) طه: ١١٤ وانظر تفسير ابن كثير ، ص٨٥٧ .

(٢٠٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ج١/ ص٧٦-٧٨ .

(٢٠٦) البخاري (فتح الباري) ج١٢ كتاب التعبير ص٣٦٨ ، حديث رقم ٦٩٨٢ .

(٢٠٧) ابن القيم : زاد المعاد ج١/ص٧٨-٧٩ ، وقال الشيخ الألباني عن الحديث بأنه صحيح جاء من طرق : الأول: عن ابن مسعود أخرجه الحاكم ج٢/ ص٤ . والثاني : عن أبي أمامة . أخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في حلية الأولياء ج١٠/ ص٢٧ . الثالث : عن حذيفة أخرجه البزار كما في الترغيب ج٣/ ص٧ ،

الثالثة : أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً ، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقوله له ، وفي هـذه المرتبـة كان يراه الصحابة أحياناً [(٢٠٨)].

الرابعة : أنه كان يأته في مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه فيتلبّس به الملك حتى أن جبينـه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد[(٢٠٩)] وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كـان راكبها[(٢١٠)]. ولقد جاءه الوحيُ مرةً كذلك ، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها[(٢١١)].

الخامسة : انه يرى الملك في صورته التي خُلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين ، كما ذكر الله ذلك في سورة النجم ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [(٢١٢)].

والهيثمي في مجمع الزوائد ج٤/ص٧١ ، فهذه طريق يقوي بعضها بعضاً . انظر تعليق الألباني على كتاب فقـه السيرة لمحمد الغزالي دمشق ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٩١ حاشية رقم ٥ .

(٢٠٨) مثلما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب عن الرجل الذي جلس إلى النبي ﷺ ولا يعرفـه الصحابة فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وإماراتها فأجابه ثم انطلق ، فقال النبي لعمر أتدري من السائل فقال الله ورسوله أعلم قال هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج١/ ص١٥٦-١٦٠ ، وقال محققاً زاد المعاد إن النسائي روي بإسناد صحيح عن ابن عمر : " كان جبريـل يـأتي النبي ﷺ ، في صورة دحية الكلبي " زاد المعاد ، ج١/ ص٧٩ حاشية رقم٢ .

(٢٠٩) البخاري (فتح الباري) ج١/ ص٢٥-٢٦ ، حديث رقم ٢ كتاب بدء الـوحي . زاد المعـاد ج١/ص٧٩. وحاشية رقم٣ .

(٢١٠) ابن القيم : زاد المعاد ج١/ ص٧٩ وحاشية رقم ٤.

(٢١١) البخاري (فتح الباري) ج٨ / ص١٠٨ ، حديث رقم ٤٥٩٢ كتاب التفسير؛ ابن القـيم زاد المعـاد ج١/ ص٨٠ .

(٢١٢) النجم : ٤-١٧ ؛ وانظر : زاد المعاد ص٨٠ وحاشية رقم ٢ .

السادسة : ما أوحاه الله إلى نبيه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها[٢١٣].

السابعة : كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك ، كما كلّم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن ، وثبوتها لنبينا ﷺ ، هو في حديث الإسراء [٢١٤].

ويعود يوحنا الدمشقي يكرِّر مزاعمه الداحضة متظاهراً لقرائه أنه يناقش المسلمين حول نبوة محمد ﷺ ، فيقول : (وعندما نسألهم مرة أخرى: كيف يكون ذلك ، بأن كتابكم المقدس أمركم أن لا تفعلوا أي شيء أو تتسلموا أي شيء بدون شهادة . فأنتم لم تسألوه : اثبت بالشهادة أنك نبي، وأنك جئت من الله ، وأي كتاب مقدس يشهد بشأنك ؟ هم يظلون صامتين بسبب الخزي. بعد ذلك أنتم لا تسمحون بزواج امرأة بدون شهادة ، ولا تشترون شيئاً ولا تحرزون ملكية إلا بشهادة وأيضاً أنتم لا تمتلكون حماراً أو حيواناً أو تتنازلون عنه بدون شهادة . أنتم تمتلكون نساءً وأملاكاً وحميراً وكل شيء أيضاً من خلال الشهادة . وفوق ذلك دينكم وكتابكم المقدس أنتم تمتلكونه بدون شهادة وهذا سببه أن الشخص الذي جاء به إليكم لا يملك أي شهادة من أي مكان ، ولا يوجد هناك أي أحد يعرف من الذي يشهد له سلفاً، لكنه ، علاوة على ذلك ، تلقى هذا بينما هو نائم) [٢١٥].

وإذا تأملنا فحوى هذه الفقرة من فصل يوحنا الدمشقي يمكن أن نخرج بالملاحظات التالية:

أولاً : عمد يوحنا الدمشقي إلى التكرار وإعادة ما سبق أن قاله من أن النبي محمد ﷺ ، لا يملك شهادة على أنه نبي ، ولا أحد من الأنبياء تنبأ بظهوره – وهو ما دحضناه في الصفحات السابقة– وهدفه من ذلك تنمية وتوطيد هاتين الحجتين الداحضتين في عقول قرائه النصارى لتصبح عقيدة راسخة في قلوبهم وبالتالي يثبتون على نصرانيتهم ولا يعتنقون الإسلام.

ثانياً : لم يعلم يوحنا الدمشقي – وهو ينفي الشهادة بصدق نبي الإسلام – أن في قوله إن المسلمين

---

(٢١٣) ابن القيم : زاد المعاد ج١/ ص٨٠ وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ص١٢٦٢ .

(٢١٤) البخاري (فتح الباري) ج١/ ص٣٤٩–٣٥٠ ، حديث رقم ٣٤٩ كتاب الصلاة ؛ صحيح مسلم بشرح النووي ج٢/ ص٢٠٩–٢١٥ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج١/ص٨٠ .

(215) Migne: op. cit , Vol . 94 , Col 768 ; Sahas , op . cit , p. 135 .

لا يقبلون ولا يمتلكون ولا يبيعون شيئاً إلا بشهادة دليل على أن أمة الإسلام هي أمة العدل والقسط والشهادة على الناس وهذا في حد ذاته شهادة على عدالة دينها وصدق نبيها محمدﷺ .

ثالثاً : أن جدل يوحنا الدمشقي ضد الإسلام من قبيل جدل المشركين الذين جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق . بل هو في حقيقته جدل ضد صور ملفقة اخترعها لقرائه عن الإسلام هي في واقعها صور مغايرة لحقائق الإسلام وشرائعه .

دفاع يوحنا عن شرك النصارى

وبعد ذلك يلجأ يوحنا الدمشقي إلى الأسلوب التبريري لتبرير عقيدته الشركية الضالة وللرد على وصف المسلمين للنصارى بالمشركين فيقول : (علاوة على ذلك هم يدعوننا مشركين، لأنهم يقولون ، إننا ندخل في جنب الله شريكاً له بالقول إن المسيح هو ابن الله ، وهو الله . نحن نجيب عليهم إن هذا هو الذي الأنبياء والكتاب المقدس سلموه إلينا، وأنتم مثلما تزعمون أنكم تقبلون الأنبياء . فإذا نحن نقول مخطئين إن المسيح هو ابن الله فإن الأنبياء كانوا مخطئين أيضاً لأنهم هم الذين علموّا لنا ذلك وسلموه لنا . والبعض منهم – يقصد من المسلمين – يؤكدون أننا أضفنا هذه الأشياء بواسطة التعبير بالمجاز للأنبياء . وآخرون اعتقدوا أن اليهود ، النزاعين للضغينة ، ضلّلونا بالكتابات التي ابتدأت على نحو مزعوم من الأنبياء وكذلك ما يمكن أننا فقدناه . من جديد نحن نجيب عليهم : بما أنكم تقولون إن المسيح هو كلمة الله وروحه فيكف توبخوننا بوصفنا مشركين؟ نظراً لأن الكلمة والروح هما غير منفصلين عن الشيء الذي تشتملان عليه بالأصل، فعلى ذلك، الكلمة تكون في الرب فالواضع أنها هي الرب أيضاً . لأنه من الناحية الثانية إذا كانت الكلمة خارجة عن الله ، عندئذ يصبح الله طبقاً لكم بدون كلمة وبدون روح ، هكذا تحاولون أن تتجنبوا جعل شركاء لله ، لذلك أنتم شوهتموه ، نظراً لأنه سوف يكون أحسن إذا أنتم تقولون أنه كان له شركاء من أن تشوهوه وتقدمونه كأنه كان حجراً ، أو خشبة ، أو أي شيء من الأشياء الفاقدة

للحياة ، لذلك إذا أنتم باتهامنا بالتزييف تدعوننا مشركين ، فإننا من الناحية الثانية ندعوكم مشوهين لله) [٢١٦].

وإذا تأملنا هذه الفقرة من فصل يوحنا الدمشقي يمكن أن نخرج بعدة وقفات هي :

أولاً: لم يجد يوحنا الدمشقي شيئاً يسوغ به عقيدته الشركية المتناقضة والمستحيلة، التي تقول بأن المسيح هو الله ، وهو ابن الله في الوقت نفسه – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً – سوى بالكذب الصارخ والافتراء المفضوح على الأنبياء عليهم السلام . والزعم الزائف بأنهم هم الذين علّموا النصارى هذه العقيدة الضالة وسلموها إليهم . ويهدف يوحنا الدمشقي من هذا الزعم الباطل التلبيس على جماهير النصارى حتى يظلوا مقتنعين بهذه العقيدة الباطلة .

ثانياً : لا يوجد قول واحد منسوب لأحد الأنبياء في الكتاب المقدس عند أهل الكتاب، ويستخدمه النصارى بطريقة الرمز والتأويل لتأييد حجتهم وعقيدتهم الضالة إلا ويكون ذلك القول نفسه دليلاً يدحض حجتهم ويفند تأويلهم. هذا فضلاً عن أن معظم أقوال الأنبياء المنسوبة إليهم في الكتاب المقدس تفند تماماً وبكل صراحة تلك الادعاءات النصرانية الباطلة وقد برهن على هذا بعض العلماء النصارى الذين اعتنقوا الإسلام وبسطوا ذلك بإسهاب كبير في ردودهم على النصارى مثل كتاب علي بن ربن الطبري " الرد على النصارى " [٢١٧] **ورسالة الحسن بن أيوب** [٢١٨] **إلى أخيه علي بن أيوب التي يذكر فيها سبب خروجه عن النصرانية واعتناقه**

---

(216) Migne: op. cit , Vol . 94 , Col 768-769 ; Sahas , op . cit , p. 135-136 .

(٢١٧) الرد على النصارى ، بيروت ١٩٥٩م = وقد ناقش فيه الطبري سبع مسائل سماها "المسكتات العواذل" حيث حيث فنّد فيه ألوهية المسيح والتثليث وبين تناقض قانون الإيمان النصراني ومفهوم التوحيد وصفات الله تعالى ، وبيّن فيه سبع تناقضات في قانون الإيمان النصراني ، وقد ركز الطبري في رده على النصارى على الاستشهاد بنصوص العهدين القديم والجديد التي تدحض حجج النصارى كما استخدم العقل والمنطق في تفنيد تلك القضايا والدعاوى النصرانية الباطلة حول ألوهية المسيح والثالوث ، وانظر أيضاً عبد المجيد الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص١٣٠ .

(٢١٨) الحسن بن أيوب من علماء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وقد ذكره ابن النديم في الفهرست، ط بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ص٢١٤ ، وقال بأنه (من المتكلمين ، وله من الكتب كتاب إلى أخيه علي بن

للإسلام ثم يفند بإسهاب عقائد النصارى . وكـــذلك انســـلم تورميـــدا في كتابـــه تحفـــة الأريب[٢١٩]. وقد بينوا في ردودهم تلك أن لفظ الأب الذي يطلق على الله أحياناً في الكتاب الكتاب المقدس هو بمعنى الرب المالك المتصرف في كل شيء . وأن لفظ الابن لله الذي يطلق أحياناً على بعض الأنبياء والصالحين ، إنما هو مصطلح يعني العبوديـــة والخضـــوع والطاعـــة تشبيهاً بطاعة الابن لأبيه وخضوعه وانقياده له .

ثالثاً : يحاول يوحنا الدمشقي تشويه عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام في نظر قرائه بإظهارهم وكأنهم يقولون بعقيدة النصارى الضالة: وهي أن المسيح كلمة الله الخالقة التي خلقت كـــل شـــيء

أيوب في الرد على النصارى وتبيين فساد مقالتهم وتثبيت النبوة) . ولم يصل إلينا كتاب الحسن بـــن أيـــوب بشكل مستقل وإنما وردت مقتطفات كبيرة منه استدل بها شيخ الإسلام ابن تيمية في تفنيد عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام حيث قال : (ومن أخبر الناس بمقالاتهم من كان من علمائهم وأسلم على بصيرة بعـــد الخـــبرة بكتبهم ، ومقالاتهم ، كالحسن بن أيوب الذي كتب رسالة إلى أخيه علي بن أيوب يذكر فيها سبب إســـلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى، وصحة دين الإسلام) رداً على أخيه الذي سأله عن سبب إســـلامه وشرح الدوافع التي حملته على الخروج من النصرانية واعتناق الإسلام ، وأهمها الشك الذي كان ينتابه في تلـــك العقيدة التي كان عليها والاستبشاع بالقول بها بسبب فساد التوحيد لله عز وجل بما أدخلوه فيـــه مـــن القـــول بالأقانيم الثلاثة وغيرها مما تضمنته شريعة النصارى ، ووضع الاحتجاجات التي لا تزكو ولا تثبـــت في تقريـــر ذلك. وقال بأني إذا (فكرت في دين الإسلام الذي منّ الله عليّ به وجدت أصوله ثابتة ، وفروعه مســـتقيمة ، وشرائعه جميلة) ، الجواب الصحيح ج٤/ص٨٨-٨٩ . وقال: (فلم أدع كتاباً من كتب أنبياء التوراة والإنجيـــل والزبور ، وكتب الأنبياء والقرآن إلا نظرت فيه وتصفحته ، ولا شيئاً من مقالات النصرانية إلا تأملته، فلمـــا لم أجد للحق مدفعاً ، ولا للشك فيه موضعاً ، ولا للأناة والتلبث وجهاً ، خرجت مهاجراً إلى الله عـــز وجـــل بنفسي هارباً بديني عن نعمة وأهل ومستقر ومحل وعز ومتصرف في عمل ، فأظهرت ما أظهرتـــه عـــن نيـــة صحيحة وسريرة صادقة ويقين ثابت ، الجواب الصحيح ج٤ / ص٩٠ . وذكر بعـــد ذلـــك عقائـــد الفـــرق النصرانية وفندها مثل الأريوسية ، واليعقوبية ، والملكانية التي ينتمي إليها يوحنا الدمشقي ، والنسطورية ، وبعد ذلك قام الحسن بن أيوب بتحليل عقيدة الإيمان التي اتفق عليها كل النصارى في مجمع نيقية وفنده وأثبت عـــدم ألوهية المسيح وأنه عبد ونبي لا غير معتمداً في ذلك على نصوص من التوراة والمزامير وسفر أشعيا وأناجيل متّى ولوقا وأعمال الرسل ، وناقش تأويلات النصارى الزائفة التي لا تستند إلى كتاب أو نبي. انظر: ما أورده شـــيخ الإسلام من رسالة الحسن بن أيوب في الجواب الصحيح ج٤/ ص٨٨-١٨٢ .

(٢١٩) انسلم تورميدا ، تحفة الأريب ، ص٧٨-٨٩ .

وروحه التي هي حياته . ثم يعودون ويناقضون ذلك بالقول إن المسيح مخلــوق وأن الــروح القدس مخلوق . في حين أن عقيدة المسلمين في المسيح واضحة – كما سبق شرحه – وهي أن المسيح مخلوق من الله بكلمة كن التي بها كان المسيح . وروح منه أي من الأرواح التي خلقها وكمّلها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة . أما الروح القدس وهو جبريــل عليه السلام الــذي نفخ في مريم ليكون المسيح بأمر الله فهو أيضاً مخلوق بكلمة كن التي كان بها وهــو الــروح الأمين ويسمى روح الله من باب التشريف والتكريم مثل عبد الله وناقة الله، وبيت الله . أمــا الله جل وعلا فهو الحي القيوم الدائم قبل أن يخلق الروح القدس بكلمة كن التي كــان بهــا، وقبل أن يخلق كل شيء في السموات والأرض . وعقيدة المسلمين أن كلمة الله كن التي كان بها المسيح وآدم وجبريل وإسرافيل وميكائيل وسائر مخلوقاته . وكلماته المنــزلة على موسى عليه السلام التي هي التوراة ، وكلماته المنــزلة على المسيح عليه السلام التي هــي الأنجيــل . وكلماتــه المنــزلة على محمد ﷺ ، التي هي القرآن وكلماته التي أنزلها على بقية الأنبياء والرسل . كل تلك الكلمات ليست إلا نزراً يسيراً ومقداراً قليلاً من كلمات الله التي لا تنفد ولا تنتهي ولا يمكن للخلق أن يحيطوا بشيء منها إلا بإذن الله تعالى ، قال ســبحانه : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ (٢٢٠)، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٢١).

رابعاً : إن قول يوحنا الدمشقي وكأنه يخاطب المسلمين : إنه سوف يكون أحسن إذا أنتم تقولــون إنه كان لله شركاء من أن تشوهوه وتقدمونه كأنه كان حجراً أو خشبة أو أي شــيء مــن الأشياء الفاقدة للحياة . هذا القول هو الذي أوحى لكتاب نصارى ظهــروا بعــده بــالزعم

---

(٢٢٠) الكهف : ١٠٩ .

(٢٢١) لقمان : ٢٧ .

الملفق أن المسلمين يصورون الله جل وعلا في صورة كرة مادية أو مطرقة معدنية في السماء مثل نيقتاس البيزنطي والمقالة الأسبانية كما سنرى في الكتاب الثاني والكتاب الثالث – إن شاء الله –.

تبرير يوحنا عبادة النصارى للصليب

وبعد ذلك يقدّم يوحنا الدمشقي في فصله فقرة عجيبة يبرر فيها عبادة النصارى للصليب ويتهم المسلمين بالوثنية وأنهم يعبدون الحجر الأسود حيث يقول : (هم – المسلمون – أيضاً يشوهون سمعتنا باعتبارنا وثنيين لأننا نبجل الصليب ، الذي هم يستخفون به، ونحن نجيب عليهم: كيف يكون ذلك وأنتم تفركون أنفسكم قبالة حجر بجباهكم وتعبّرون عن عبادتكم للحجر عن طريق تقبيله؟ والبعض منهم يجيبون بسبب أن إبراهيم حدث منه جماع لهاجر عليه . وآخرون يجيبون: بسبب أنه ربط الجمل حوله عندما كان على وشك أن يضحي بإسحاق ، ونحن نجيب عليهم: بما أن الكتاب المقدس يقول إنه كان هناك غيضة مثل جبل وغابة منها قطع إبراهيم لأجل الذبيحة التي تُحرق تعبداً لله ، عليها هو أضجع إسحاق ، وأيضاً أنه ترك الحمير في الخلف مع الخدم، فأين تقع حينئذ حكايتكم التافهة ؟ نظراً لأنه في ذلك المكان لا يوجد حطب من الغابة ، ولا توجد حمير تمشي من خلالها. وهم يصبحون مرتبكين . ومع ذلك هم يزعمون أن الحجر هو حجر إبراهيم . عندئذ نحن نجيب : نفترض أنه لإبراهيم مثلما تؤكدون بسخف . ألا يخجلكم أن تقبلوه بسبب مبرر وحيد أن إبراهيم مارس جماعاً مع امرأة عليه ، أو بسبب أنه ربط جمله إليه ، وفوق ذلك تُلوموننا على توقير صليب المسيح الذي بسببه تحطمت قوة الشياطين وخداع أبليس ؟ هذا ، فوق ذلك ، أيهما يقولون عن الحجر، فإنه رأس أفروديت الذي هم استخدموه ليبجّلوه الذي هم يدعونه هابر Haber . عليه أولئك الذي يستطيعون أن يفهموه يمكن بالضبط أن يروا حتى الآن آثار نقش عليه) [٢٢٢].

(222) Migne: op. cit , Vol . 94 , Col,769 ; Sahas , op . cit , p. 135-137 .

وإذا تأملنا هذا النص يمكن أن نخرج بالوقفات التالية :

الأولى : إن هذه النص يتصف بالتشويه والتلفيق من أوله إلى آخره ، فهو يزعم – في البداية – أن المسلمين يشوهون سمعة النصارى بوصفهم وثنيين لأنهم يبَّجلون الصليب . والحقيقة أن المسلمين لا يقومون بعملية تشويه – مثلما فعل يوحنا الدمشقي – وإنما يقررون حقيقة كبرى يستحيل دحضها على النصارى تثبتها وتشهد بها عبادتهم وممارستهم الدينية على أرض الواقع . فالنصارى يعبدون الصليب من دون الله تعالى ويسجدون له ويعتقدون في نفعه وضره كما هو واضح في نص يوحنا الدمشقي نفسه . ليس هذا فحسب ، بل لقد صوّر النصارى الصور ونحتوا التماثيل – التي أطلقوا عليها الأيقونات – للمسيح عليه السلام ولمريم العذراء ولسائر القديسين والرهبان المشهورين ، وزينوا كل الكنائس بتلك الصور والأيقونات ، وأصبحوا يركعون ويسجدون أمامها في خشوع وتذلل ويسألونها جلب النفع ودفع الضر[٢٢٣] . وخرجوا بذلك عن وحدانية الله تعالى وانتهكوا بتلك العبادة الوصيتين الأولى والثانية من الوصايا العشر التي جاءت في الكتاب المقدس الذي يدّعون الإيمان به والالتزام بشرائعه ووصاياه لاسيما تلك الوصايا المشهورة حيث جاء في الوصيتين الأولى والثانية أن الله قال لموسى : (أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك إلهة أُخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق الأرض وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك)[٢٢٤]. ولقد أثبت التاريخ أن يوحنا الدمشقي أكبر وأشهر داعية لهذه العبادة الوثنية في تاريخ النصرانية والمدافع الأول – بلا منازع – عنها . وذلك عندما وقف موقفاً عنيداً ضد حركة مناهضة عبادة الصور والأيقونات المعروفة باسم الحركة اللاأيقونية زمن الأسرة الأيسورية (٩٨-١٨٦هـ/ ٧١٧-٨٠٢م) التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية[٢٢٥] ، حيث

(٢٢٣) إبراهيم علي طرخان : الحركة اللاأيقونية ، ط القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص٥ .

(٢٢٤) خروج : الإصحاح العشرون :١-٥ .

(٢٢٥) عن هذه الحركة والأدوار التي مرت بها انظر كتابة إبراهيم على طرخان : الحركة اللاأيقونية ، فهو أوسع ما كتب حول هذا الموضوع بالعربية .

عاصر يوحنا الدمشقي حكم مؤسس هذه الحركة الإمبراطور ليـو الأيسـوري (٩٨-١٢٣هـ/ ٧١٧-٧٤١م) والسنوات التسع الأولى من حكم ابنه الإمبراطور قسطنطين الخامس (١٢٣-١٥٨هـ/ ٧٤١-٧٧٥م) . وهما اللذان قاما بمحاربة عبادة الصور والتماثيل بكل قـوة وحـزم . وذلك أنه قد انتشرت في عصر يوحنا الدمشقي عبادة الصور والتماثيل في سـائر أرجـاء العـالم النصراني ، وعمت تلك الصور في الكنائس والأديرة ، بل حتى في المساكن والحوانيـت ، وفـوق الأثاث والملابس حيث صنعوا الصور والتماثيل للمسيح ومريم العـذراء والقديسـين . وأصـبح النصارى في كل مكان يسجدون لها ويضيئون لها المشاعل والشموع ، ويزينوها بالأشرطة ويحرقون لها البخور، ويقبلوها بإخلاص وخشوع ، ويقسمون بتلك الصور والتماثيل وينسبون لها المعجـزات مثل القدرة على شفاء المرضى ويزعمون أنها تتكلم وتتحرك (٢٢٦).

وقد تصدى الإمبراطور ليو الثالث الأيسـوري لهـذه العبـادة الوثنيـة فأصـدر في سـنة (١٠٨هـ/٧٢٦م) مرسوماً يقضي بتحريم عبادة الصور والأيقـونات وإزالـة جميـع الصـور والتماثيل من الكنائس والأديرة (٢٢٧)، ونفذ هذه المرسوم بكل حزم وشدة. وقد وجد الإمبراطـور معارضة واسعة لسياسته اللاأيقونية في سائر أنحاء العالم النصراني ، وبخاصة من جانب الرهبان وعامة الشعب البيزنطي بالإضافة إلى الغرب الأوروبي بزعامة البابوية ، الذين تمسكوا جميعاً بتأييـد عبـادة

Vasiliev, A,A:; History of the Byzantine Empire 324-1453 , 2 Vols, 3rd. edition Modison , 1961 , pp, 251-287.

وانظر أيضاً ج.م . هسّى : العالم البيزنطي ، ترجمة رأفت عبد الحميد، القاهرة ١٩٨٤م ، ص١٣٢-١٣٨؛ العـريني : الدولة البيزنطية ، ص١٧٩-٢٢٨ ؛ حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص١٠٨-١٣٨.

(٢٢٦) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، الإسكندرية ، ١٩٩٤م ، ص١٢١ .

(٢٢٧) ذكرت الدراسات الحديثة أن الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري كان متأثراً في مرسومه هذا بمرسـوم الخليفـة الأموي يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٤هـ) الذي أصدره سنة (١٠٢هـ/٧٢١م) والـذي قضى بتكسير الأصنام والتماثيل والصلبان وطمس الصور في سائر الكنائس والأديرة في كـل أرجـاء الدولـة الإسلامية وهدم الكنائس المستحدثة ، انظر تفصيل هذا الموضوع في رسالة الماجستير للزميل الدكتور عبـد الله بن حسين الشنبري الشريف : الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١- ١٠٥هـ) رسالة غير منشورة ، جامعة أم القرى ، ١٤١٠هـ ، ج١/ ص٢٦٥-٣١١ ، وانظر أيضاً حسين ربيع : المرجع السابق ، ص١١٠-١١٢ ، سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ج١ ط القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص١١٦-١١٧.

الصور والتماثيل الدينية ، حتى أن البابا جريجوري الثالث (١١٣-١٢٣هـ/ ٧٣١-٧٤١م) أصدر في سنة (١١٣هـ/ ٧٣١م) قرار الحرمان ضد الإمبراطور ليو الأيسوري . فرد هذا الأخير على قرار الباب بحرمانه من الكنيسة بأن حرم البابوية من ممتلكاها وحقوقها في صقلية وجنوب إيطاليا ، وفصل أسقفياها عن سلطان الباب الديني والقضائي وجعلها تحت سلطان بطريرك القسطنطينية[٢٢٨]. على أن أشد المعارضين لسياسة ليو الأيسوري الدينية هو يوحنا الدمشقي الذي صنف ثلاث رسائل يدافع فيها عن عبادة الصور والتماثيل الدينية ويبرر فيها تلك العبادة الوثنية زاعماً، أن المعبود ليس تلك الصور نفسها بل المعبود هو ما تُمثله وترمز إليه . وقد اعتبر النصارى يوحنا الدمشقي قديساً بسبب دفاعه عن تلك العبادة واستخدموا رسائله الثلاث في الدفاع عن عبادهم للصور والتماثيل الدينية واعتبروا تلك الرسائل من أعظم مصنفاته إقناعاً وأكثرها ابتكاراً[٢٢٩]. والحق أننا إذا تأملنا أساس دفاع يوحنا الدمشقي القائل بأن المعبود ليس الصور نفسها بل المعبود ما تمثله وترمز إليه . فإننا نجد الشرك بعينه في هذا الدفاع لأن عبادة المسيح ومريم وسائر القديسين – الذين ترمز لهم تلك الصور – هو الشرك والكفر ولا شيء غيره . وهكذا يتضح أن يوحنا الدمشقي وقومه النصارى وثنيون مشركون حتى بمقاييس كتاهم المقدس الذي يزعمون الإيمان به .

<u>الوقفة الثانية :</u> حاول يوحنا الدمشقي تشبيه عبادة النصارى للصليب بتقبيل المسلمين للحجر الأسود زاعماً أن ذلك عبادة للحجر نفسه . وقبل تفنيد هذه الدعوى الباطلة نشير إلى أن هذا الزعم الباطل أحدث صدى كبيراً لدى كُتَّاب بيزنطة والغرب في العصور الوسطى حيث أتهم الكثير منهم المسلمين بالوثنية وابتكروا قصصاً من خيالاهم الجامحة للتدليل على تلك التهمة كما سنرى في الكتب التالية[٢٣٠] .

---

(٢٢٨) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج١/ ص١١٧-١١٨ .

(229) Vasiliev: op.cit, pp. 251-259 .

(٢٣٠) انظر: الكتب التالية لهذا الكتاب إن شاء الله .

والمسلمون لا يعبدون الحجر الأسود مطلقاً لأنهم يعلمون علم اليقين أنه حجر لا يضـــر ولا ينفع وقد عبّر عن هذه العقيدة عمر بن الخطاب ﷺ في الحديث الصحيح المشهور الذي روته عنـــه جميع كتب الحديث من (أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله فقال: إني أعلم أنك حجـــر لا تضـــر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يُقبّلك ما قبلتك) (٢٣١). وقد شُرع تقبيله اختياراً ليعلم بالمشـــاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أُمِرَ بالسجود لآدم . كما يقول ابـــن حجـــر، في شرحه للحديث (٢٣٢). والمسلمون يؤمنون أن الحجر الأسود جزء من البيت الحرام الذي هو بيـــت الله الذي أمر نبيه إبراهيم عليه السلام ببنائه قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢٣٣). وهو البيت الذي بيّن الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام الأساس العظيم الذي ينبغي أن يقوم عليه بناؤه وهو التوحيد الخالص لله ســبحانه وتعـــالى وإفراده وحده بالعبادة لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته . حيث أمره أنه يطهر بيتـــه لعباده الموحدين وأن يدعو الناس إلى حجة قال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢٣٤). وليس للحجـــر الأسود ميزة عن سائر حجارة البيت العتيق سوى أنه من أحجار الجنة حيث روى ابـــن حجـــر أن

---

(٢٣١) البخاري (فتح الباري) ج٣ كتاب الحج ، باب ما ذكر في الحجر الأسود ، ص٥٤٠، حديث رقـــم ١٥٩٧ واللفظ له ؛ صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ / كتاب الحج ، استحباب تقبيل الحجر الأســـود في الطـــواف ص١٦-١٧ ؛ ورواه أيضاً : أبو داود في سننه : كتاب المناسك ، باب تقبيل الحجر ، ج٢/ ص١٧٥ حـــديث رقم ١٨٧٣؛ الترمذي : الجامع الصحيح ، كتاب الحج ، باب استلام الحجـــر الأســـود ج٥/ ص٢٢٦-٢٢٧؛ ابن ماجه : السنن ، كتاب المناسك ج٢/ ص٩٨١ ، حديث رقم ٢٩٣٤ ، أحمـــد : المســـند ، ج١/ ص٢١ ، ٢٦، ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤٦، ٥١، ٥٣، ٥٤ ؛ باب تقبيل الركن الأسود في الاستلام ، ج١/ ص٣٦٧ حـــديث رقم ١١٥ .

(٢٣٢) فتح الباري ج٣/ كتاب الحج ، باب ما جاء في ذكر الحجر الأسود ، ص٥٤١ .

(٢٣٣) البقرة : ١٢٧ .

(٢٣٤) الحج : ٢٦-٢٧ .

إسماعيل عليه السلام ذهب (إلى الوادي يطلب حجراً ، فنــزل جبريل بالحجر الأســود ... فلمــا جــاء إسماعيل فرأى الحجر الأسود قال من أين هذا ، من جاءك به ؟ قال إبراهيم : من لم يكلني إليك وإلى حجرك) (٢٣٥). كما وردت فيه أحاديث منها حديث عبد الله بن عمرو بن العــاص مرفوعــاً (إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنـــة طمس الله نورهما ولولا ذلك لأضاءا مــا بــين المشــرق والمغرب) (٢٣٦). ومنها حديث ابن عباس مرفوعاً (نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضــاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم) (٢٣٧) . وبهذا يتضح أن قول عمر في الحجر الأسود بأنه حجر لا يضر ولا ينفع ، حتى لا يظــن الجُهَّال أن استلام الحجــر الأسود وتقبيله من باب تعظيم الأحجار كما كانت تفعل العرب في الجاهلية فأراد عمر أن يعلّم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقد في الأوثان . كما أن في قول عمــر هــذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها(٢٣٨).

<u>الوقفة الثالثة :</u> إن زعم يوحنا الدمشقي أن بعض المسلمين يجيبون أن عبادتهم للحجر بتقبيله بسبب أن إبراهيم جامع هاجر عليه . زعم ملفق بالكلية . فلا يوجد في تاريخ المسلمين من قال بهذا القول العجيب الذي افتراه يوحنا الدمشقي . ويبدو أن يوحنا يريد بهذا القول الملفق قومه النصارى حتى تصبح عبادة الصليب الذي صُلب عليه ربهم المزعوم أكثر قبولاً في نظرهم من عبادة خصومهم المسلمين لحجر بسبب ممارسة إبراهيم للجنس مع هاجر عليه – حسب زعمه – غير أن هذه الفرية التي ابتدعها يوحنا الدمشقي كان لها أثرها العميق وصداها الواسع في الفكر الغــربي إزاء الإســلام والمسلمين حيث كانت من الأسباب الرئيسة التي جعلت كتاب الغــرب يتــهمون المســلمين زوراً

(٢٣٥) فتح الباري ج٦ كتاب أحاديث الأنبياء ص ٤٦٨ .

(٢٣٦) المصدر نفسه ج٣ كتاب الحج ص٥٤٠ ، وقال عنه ابن حجر " أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان" حبان" انظر أيضاً الترمذي الجامع ج٣ / ص٢٢٦ ، وأخرجه السيوطي في صحيح الجامع حديث رقــم ١٦٣٣ تحقيق الألباني ، وصححه الألباني .

(٢٣٧) فتح الباري ، ج٣ كتاب الحج ص٥٤٠ ، وقال عنه ابن حجر " أخرجه الترمذي وصححه " .

(٢٣٨) فتح الباري ، ج٣ كتاب الحج ص٥٤١ .

بالشبق وتقديس الجنس والشهوانية المفرطة . كما سنرى في الكتب التالية [٢٣٩].

أما قوله بأن آخرين من المسلمين يجيبون بأنهم يعبدون الحجر بواسطة تقبيله لأن إبراهيم ربط جمله حول عندما أراد أن يضحي بإسحاق [٢٤٠]. فهو أيضاً زعم ملفق مثل سابقه ويتضح أن يوحنا الدمشقي اتخذ منه مدخلاً لينكر أن تكون قد جرت قصة الذبيح بمكة – بمنى – ليصل بذلك إلى الهدف الذي يرمي إليه وهو أن إبراهيم لم يذهب إلى مكة ولم يبن البيت الحرام ولا صلة له بهذا المكان لأن الكتاب المقدس لم يذكر ذلك . وسنرى أن بعض كتّاب بيزنطة والغرب الذين أتوا بعده تلقفوا عنه هذا القول ورددوه في كتاباتهم المعادية للإسلام والمسلمين [٢٤١]. وهذا القول أسخف من أن يناقش أو نقف عنده .

<u>الوقفة الرابعة :</u> في قول يوحنا الدمشقي موبخاً المسلمين: (ألا يخجلكم أن تقبلوه بسبب مبرر وحيد أن إبراهيم مارس جماعاً مع امرأة عليه) أسلوب ومنهج وضعه يوحناً وسار عليه كثير من كُتَّاب بيزنطة والغرب الذين ظهروا بعده . ويتمثل هذا المنهج في مناجاة المسلمين أو نبيهم ﷺ وتوبيخهم وتقريعهم على صور وأفكار ومعتقدات ابتدعها أولئك الكتاب وألصقوها بالإسلام وهي لا تمت له بصلة . أو على صور وأفكار معاكسة تماماً لما جاء به الإسلام زعموا أنها من أفكاره وشرائعه ، والهدف من كل ذلك زرع الرفض المطلق للإسلام في نفوس عامة النصارى وزيادة قناعتهم بدينهم ومعتقداتهم الضالة . وسنرى أمثلة كثيرة على هذا الأسلوب في الكتب التالية إن شاء الله .

أما قوله مستنكراً ومخاطباً المسلمين : (وفوق ذلك تلومونا على توقير صليب المسيح الذي بسببه تحطمت قوة الشياطين وخداع إبليس) . فهو دليل ساطع وبرهان قاطع على شرك يوحنا

---

(٢٣٩) سوف تصدر تباعاً إن شاء الله تعالى .

(٢٤٠) ناقش العلامة ابن القيم مسألة الذبيح وأثبت أنه إسماعيل وليس إسحاق ، انظر : زاد المعاد ، ج١/ ص٧١-٧٥ .

(٢٤١) كذلك ردد هذا الزعم نيقتاس البيزنطي كما سنرى في الكتاب الثاني إن شاء الله .

الدمشقي ووثنيته وضلاله . ذلك أن عبادتهم وتوقيرهم للصليب يمثل ذروة القوة والهيمنة للشياطين، وقمة الخداع لإبليس الذي جعلهم يعبدون ذلك الصليب من دون الله تعالى . حيث خدعهم إبليس بخدعته الكبرى المتمثلة في تلك العبادة. وإذا كان للصليب كما يزعم يوحنا الدمشقي قوة خارقة حطمت قوة الشياطين ، فلماذا لم تظهر تلك القوة الخارقة وتدمر تلك الحفنة من اليهود الذين وضعوا – كما تزعم أنا جيلهم – معبود النصارى على الصليب وصلبوه وبصقوا على وجهه ووضعوا الشوك على رأسه ؟ ثم إن موقف النصارى من الصليب – بعبادتهم له – موقف مقلوب حتى بمقاييس المنطق الطبيعي ، والقوانين المادية البشرية، ذلك أنه كان ينبغي عليهم وفقاً لذلك المنطق وتلك القوانين أن يحرقوا الصليب ويدمروه ويمحوه من الوجود لأنه يمثل الخشبة المشؤومة التي شُدَّ وصُلِب عليها معبودهم ومخلصهم المزعوم وحالت بينه وبين النجاة بنفسه من الهلاك على أيدي اليهود!!! .

<u>الوقفة الخامسة :</u> وفي نهاية فقرته يخترع يوحنا الدمشقي فرية جديدة فيزعم أن الحجر الأسود هو رأس أفروديت – معبودة الشهوة والحب والجمال عند اليونان– التي كان قد زعم في بداية فصله أن العرب عبدوها قبل الإسلام . وأن آثار النقش اليوناني لا يزال واضحاً عليه. ولا نعرف من أين أتى يوحنا بهذا الابتكار . ولكن الأمر الذي لاشك فيه أنه يهدف به قومه النصارى وهو يقوم بعملية تشويه وتلفيق ضد الإسلام حتى يمنع النصارى من اعتناقه ، عن طريق تحصينهم بهذه المفتريات ضده . والتاريخ يشهد أن مكة – حيث الكعبة والحجر الأسود – لم تخضع مطلقاً لحكم اليونان والرومان طوال تاريخها ، حتى يبقى فيها أثر من آثارهم والحق أن الآثار اليونانية والرومانية – المادية والفكرية – باقية ومشاهدة حيث وُلد يوحنا الدمشقي وعاش ومات وفي سائر البلاد التي انتشرت فيها النصرانية وتأثرت بتلك الآثار الفكرية والمادية . بالإضافة إلى سائر الفلسفات والوثنيات السابقة كالهلينية والفرعونية وغيرها . والإسلام هو الدين الحق الذي تكفّل

الله بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [٢٤٢] ومن الوسائل التي هيأها الله تعالى لحفظ دين الإسلام أنه :

أولاً : أنزله على نبيه محمد ﷺ في مكة والمدينة حيث تسود الأمية في هذه البلاد ولا توجد بها فلسفات فكرية سابقة يمكن أن تؤثر في العقيدة الجديدة .

وثانياً : أن الإسلام قامت دولته على يد النبي ﷺ وما أن انتقل إلى الرفيق الأعلى حتى واصل خلفاؤه النهوض بدولة الإسلام وهزموا الروم والفرس وهما أكبر دولتين في العالم – حينذاك – ولم يخضع الإسلام في بداية عهده لدولة أخرى حتى تتأثر عقائده بعقائد وأفكار دولة أخرى مهيمنة ، ولم يعد بمقدور أحد أن يؤثر في عقائده أو يحرفها. وهذا على العكس تماماً من النصرانية ، التي ظهرت وانتشرت في بلاد تسودها الفلسفة الهلينية والمعتقدات الرومانية وغيرها فتأثرت بتلك الفلسفات إلى أبعد حد . ولم تقم للنصارى دولة مثل المسلمين على يد تلاميذ المسيح .. فخضعت النصرانية منذ ظهورها للإمبراطورية الرومانية والحضارة الهلينية قروناً كثيرة فتأثرت العقائد النصرانية بعقائد اليونان والرومان وفلسفتهم الدينية كما أثبت الواقع التاريخي .

فعقيدة الثالوث (الأب والابن وروح القدس) – على سبيل المثال – التي تقوم عليها العقيدة النصرانية ، والتي ابتدعتها كنيسة الإسكندرية ، لها جذورها البعيدة في أعماق الديانة الفرعونية القديمة ، حيث كان كهنة ممفيس في مصر القديمة يلقنون تلاميذهم عقيدة تقوم على ثلاثة آلهة قائلين (إن الأول خلق الثاني ، والثاني مع الأول خلقاً الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس) [٢٤٣].

وتزعم عقيدة الثالوث المصرية القديمة أن الإله أو زيريس نزل من السماء على شكل إنسان لكي يعلم الناس ويرشدهم إلى ما يحقق لهم المحبة والسعادة وأن المعبودة المصرية إيزيس عشقت الإله أو زيريس فأنجبت منه الإله حورس الذي انتقم لأبيه من قاتله ، وأصبح قريباً إلى قلوب الناس لأنه يمثل الحب والحنان وينشر الصلاح والبر . ثم إنه صعد إلى السماء وأصبح هو والأب واحداً ، ذلك

---

(٢٤٢) الحجر : ٩ .

(٢٤٣) محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، ط الكويت ١٤٠٨هـ ، ص٣٩-٤٠ .

أن إيزيس قامت بجمع أشلاء زوجها بعد قتله وقرأت عليه التعاويذ فدبت فيه الحياة من جديد، لكن أوزيريس رفض أن يعود إلى الحياة الدنيا وفضّل أن يبقى في العالم الآخر يحيى الموتى خلال رحلتهم في ذلك العالم ، ويكسبهم جانباً من خلوده. ورغم ذلك فيمكنه أن يتجسد في صورة أي إله مصـري آخر، وبذلك شاعت في الديانة المصرية القديمة أسرة إلهية ثلاثية مكونة من أب وأم وابن(٢٤٤).

وقد انتشرت هذه العقيدة الخرافية بين شعوب البحر الأبيض المتوسط ، فأخـذوا يحتفلـون ببعث أزويريس في سائر المدن الكبيرة. وكانوا يرمزون إلى إيزيس بصورة وتماثيل تصـورها وهـي تحمل أبنها حورس بين ذراعيها وينادونها في الأدعية بملكة السماء أم الإلـه (٢٤٥). ويتضـح تـأثر النصارى بهذا حين صوروا مريم العذراء وهي تحمل المسيح طفلاً بين ذراعيها . وعَبَـدَ البطالمـة – خلفاء الإسكندر – في مصر ثالوثاً مكوناً من الإله سيرابيس ، وإيزيس ، وهاربوكراتس، وهو صورة مقتبسة من أوزيريس وإيزيس وحورس(٢٤٦) . كما أن الأغريق اعتقدوا في إلـه مثلـث الأقـانيم، واعتقد الرومان الوثنيون هذا الاعتقاد بعدهم (٢٤٧). وهكذا يتضح تأثير هذه العقائد الوثنية السابقة في عقيدة الثالوث النصرانية الباطلة . كما أن معنى الكلمة الخالقة عند النصارى والتي يعتبرونها هي المسيح مستمدة أيضاً من الوثنيات السابقة ، ففي عقائد مصر القديمة أن اللاهوت هو الكلمة ، وأن كل شيء صار بها. وهذا جاء في نصوصها الدينية (إني أعلم بسر لاهوت الكلمة ، وهي كلمـة رب كل شيء وهو الصانع لها، فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد الإله وهي غير مخلوقة وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات) (٢٤٨).

---

(٢٤٤) سليم حسن : مصر القديمة ، القاهرة ١٩٤٠م ، ج١/ ص٢٢١-٢٢٥ ؛ إبراهيم سيف الـدين : مصـر في العصور القديمة ، القاهرة ١٩٤١ ص١٨٣ – ٣٨٥ ؛ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، القاهرة ١٩٧٣م ، ج١/ ص٣٠٤ ؛ محمد أنور شكري ، محاضرات في تاريخ الشـرق الأدنى القـديم ، قسـم التاريخ بكلية الشريعة بمكة المكرمة ، ١٣٩٢هـ ، ص٦٥ .

(٢٤٥) ول . ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ج٢/ ص٢١٦٠ .

(٢٤٦) إبراهيم نصحي : مصر في عهد البطالمة ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ج٢/ص١٨٦-١٨٩ .

(٢٤٧) محمد التنير : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٤٢-٤٣ .

(٢٤٨) محمد التنير : المرجع السابق ، ص٤١ .

أما تأثير الفلسفة الهلينية (اليونانية) على النصرانية فقد كان تأثيراً طاغياً فعقيـدة التجسُّد الباطلة التي قال بها النصارى ومفادها أن الله تجسد في صورة إنسان وقُتل وصُلب ليخلص البشر. إنما هي في حقيقتها عقيدة وثنية هلينية . ويعترف بهذا الحقيقة أشهر مـؤرخي الغـرب في القـرن العشرين ، أرنولد توينبي ، حيث يقول : (وكانت الديانة المسيحية التي استأثرت في النهاية بنصف العالم الهليني ، تعد صورة معدلة للديانة اليهودية، وقد تم هذا التغيير عـن طريـق تطعـيم الديانـة اليهودية بفكرة هلينية تعد في نظر اليهود على النقيض تماماً من كل ما تمثله الديانة اليهودية . تقول العقيدة المسيحية إن إله إسرائيل الذي خلق الإنسان على صورته قد هيأ أيضاً وسـيلة للخـلاص لخلائقه البشرية ، بأن تجسَّد بذاته في صورة إنسان . وكان هذا المبدأ المسيحي الثوري الذي يقـول بتجسد الله ، في نظر اليهود ، إقحاماً إلحادياً على الديانة اليهودية ، لأسطورة كانت من أفدح وألعن الأخطاء التي وقعت فيها الديانة الوثنية الهيلينة ، ولم يكن لأي يهودي صادق الإيمان أن يقدم عليها. ولم يكن ليقترف هذا الجرم غير الجليليين الذين عاشوا تحت تأثير الحضارة الهيلينية ... والحقيقـة أن تأثير الحضارة الهلينية على مبادئ المسيحية ونظرتها كان تأثيراً عميقاً ، لأن الله في تحوله إلى إنسـان يعرّض نفسه للشقاء الذي هو المصير المحتوم لكل إنسان .. بيد أن تطعيم الديانة اليهوديـة بفكـرة التجسُّد الهلينية كان من شأنه أن خرجت إلى السطح من جديد ، وفي الديانة المسيحية هذه المـرة ، عبادة الإله الذي لم تفقد قصة موته المفجع وقيامته المظفرة سحرها على النفوس البشـرية في العـالم الخفي العظيم للمجتمع الهليني)[٢٤٩]. ثم يشير توينبي إلى أن النصرانية وجـدت في الفـن الهلـيني واسطة بصرية لعرض أفكارها ومُثلها على الغالبية الأمية من اتباعها (ووجدت المسيحية في الفلسفة الهلينية واسطة ذهنية لبسط العقائد المسيحية في عبارات اصطلاحية تقبلها الأقلية المثقفة تثقيفاً هلينياً من بين أعضاء المجتمع)[٢٥٠]. وبعد أن شرح توينبي بإسهاب كيفيـة تقبُّـل النصـرانية للعقائـد والفلسفة الهلينية لاجتذاب أهلها يصل إلى النتيجة النهائية الحاسمة حيث قال: (هكـذا اكتسـبت

(٢٤٩) أرنولد توينبي : تاريخ الحضارة الهلينية ، ترجمة رمزي عبده جرجس ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص٢٠.

(٢٥٠) المرجع نفسه ، ص٢١ .

المسيحية ، عن طريق جمعها في هذه النظرة الشاملة المجملة، بين الألوهية كما تبدو في الديانة الهلينية التي تؤمن بتعدد الآلهة ، وبين صورها أيضاً في الديانة اليهودية التي تعتقد بوحدانية الله ، سحراً طاغياً كان حقيقاً بأن يأسر النفوس الهلينية . ومع ذلك فلم يكن في وسع الديانة المسيحية ذاتها أن تشق طريقها في العالم الهليني ، لو لم تتخذ لنفسها ثياباً هلينية مثلما فعلت الديانات التي تصدت لمنافستها)(٢٥١).

ولم يقتصر ضلال النصارى على عقيدة الثالوث والقول بتجسُّد الله – تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً – المستمدة من الوثنيات والفلسفات السابقة كالهلينية وغيرها ، بل لقد ضلوا حتى في الصور التي زعموا أنها تمثل المسيح عليه السلام ، والتي زينوا بها الكنائس وأصبحوا يركعون ويسجدون أمامها. فتلك الصور لا تمثل المسيح بأي حال بل هي صور لشخصية هلينية أسطورية حيث يقرر توينبي هذه الحقيقة فيقول: (فكان السيد المسيح يبدو في أقدم الصور المعروفة التي خطتها أيدي مسيحية على شبه أورفيوس Orpheus الذي كان نبياً وشاعراً وموسيقياً أسطورياً هلينياً ، كما يظهر واقفاً يسحر دواب الحقل بأنغام قيثارته ، ومن خلفه مشاهد الطبيعة التي نُقلت دون تحريف أو تنميق) (٢٥٢).

قضية المرأة وتعدد الزوجات

وبعد ذلك يثير يوحنا الدمشقي في فصله قضية المرأة وتعدد الزوجات في الإسلام ثم تصل به الخسة والحطة والدناءة في مجال التشويه والافتراء والتلفيق إلى حد الإفك والبهتان على النبي ﷺ واتهامه بالزنا وقول الفحش وفعله فيقول ما نصه : (هذا هو معميث Mameth ، مثلما أُشير

(٢٥١) المرجع نفسه ص٢٤٨ .

(٢٥٢) المرجع نفسه ص٢٤٨ ؛ ولا يتسع المقام هنا لتوضيح تأثر النصرانية بالثقافة الرومانية وإنما نشير فقط لما قاله أحد دارسي حضارة روما حيث قال: (ولكن العمل المجيد الذي قام به الآباء اليونانيون واللاتين ... كان من شأنه إدماج المسيحية بالثقافة القديمة مما جعل في مكنة المسيحية أن تنال قبولاً عاماً في العالم الروماني وأن تكتب لها الحياة بعد سقوطه وانهياره وأن تصبح أشد العوامل فاعلية في ثقافة الغرب) انظر دونالد . ر. دولي: حضارة روما ، ترجمة جميل الذهبي ، وفاروق فريد ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص٣٩٠ .

إليه، جمع حكايات كثيرة تافهة، عن كل واحدة منها هو حدّد مقدماً عنواناً ، فمثلاً ، الحديث عـــن المرأة ، فيه هو يشرِّع بوضوح أن المرء يمكنه أن يمتلك أربع زوجات وألف سريّة (جارية) إذا كـــان يستطيع ، مثلما كثيرين مثله يستطيعون أن يحتفظوا عندهم بالزوجـــات الأربـــع ، وأن الإنســـان يستطيع أن يطلق أيًّا كان هو يشاء، إذ هو يرغب ، ويتزوج واحدة أخرى . هو جعل هذا شـــريعة بسبب الحادثة التالية : معميث Mameth كان له رفيق يسمى زيد. هذا الرجل كان لـــه امـــرأة جميلة، معها معميث وقع في الحب. وبينما هما كانا ذات مرة جالسين معاً معميث قال له : [يا هذا ، إن الله أمرني أن آخذ زوجتك]. وهو أجاب : [أنت رسول أفعل مثلما أمرك الله؛ خذ زوجـــتي]. أو على الأصح ، لكي نخبر بالقصة من البداية هو قال له : [الله أمرني (أن أخبرك) أنه يجب عليك أن تطلق زوجتك]. وهو طلقها. وبعد عدة أيام هو قال : [لكن الآن الله أمرني أنه يجب علـــيّ أن آخذها] بعدئذ ، بعد ما هو أخذها واقترف الزنا معها ، هو جعل هذا شريعة : [كل من يريد يمكـــن يطلق زوجته ، لكن إذا هو يرغب، بعد الطلاق أن يعود إليها، فيترك شخصاً آخر يتزوجهـــا، أولاً، نظراً لأنه لا يكون مسموحاً له أن يأخذها، بالمقابل ، إلا إذا هي تزوجت من رجل آخر. وحـــتى إذا أخ يطلق زوجته ، يمكن يترك أخاه يتزوجها، إذا هو يريد ذلك] . هذا هو مثال من الوصـــايا الـــتي يعطيها في هذا الحديث : [احرثوا الأرض التي الله أعطاكم وجمِّلوها؛ وافعلوا هذا وفي هذه الطريقة] لا يقول كل شيء فأحش ، مثلما هو فعل) (٢٥٣).

وإزاء هذه الفقرة السافلة من فصل يوحنا الدمشقي يمكن أن نقف الوقفات التالية :

<u>أولاً :</u> إن هذه الفقرة ترينا أن يوحنا الدمشقي لا يتزحزح قيد أنملة عن النظرة التي نظر بها للإسلام بوصفة هرطقة خارجة عن النصرانية. وهي النصرانية التي رأينا – آنفـــاً – أنهـــا محرفـــة في عقائدها وشرائعها ولا تمت بصلة لما جاء به عيســـى عليه السلام وســـائر الأنبيـــاء . وأن صـــلتها بالوثنيات والفلسفات السابقة أقرب وأوضح. ولذلك فهو لا يكتفي بالتشويه والتلفيق بـــل

(253) Migne: op. cit , Vol . 94 , Col,769-771 ; Sahas , op . cit , p. 137-139 .

ينظر دائماً للإسلام من خلال منظور ومقاييس تلك النصرانية المحرفة . وهذا منـــهج وضـــعه يوحنا الدمشقي وسار عليه بعده كتّاب بيزنطة والغرب في نظرهم للإسلام .

<u>ثانياً :</u> يعود يوحنا الدمشقي فيكرر أن النبي ﷺ جمع في القرن حكايات كثيرة تافهة. وقـــد أثبـــت الواقع التاريخي على مدى أكثر من ألف سنة تلت يوحنا الدمشقي أن العقائد والشرائع الـــتي يدين بها يوحنا الدمشقي هي الباطلة والتافهة عند ما تُقارن بعقائد وشرائع الإسلام التي أنزلها الله على نبيه محمد ﷺ ، حيث حلت تلك العقائد والشرائع الإسلامية محل العقائد والشـــرائع النصرانية في بلاد الشام ومصر والعراق وآسيا الصغرى وكل شمال أفريقية وهي التي كانـــت جميعها تدين بالنصرانية قبل ظهور الإسلام . ولو كانت عقائد الإسلام وشرائعه تافهة مثلمـــا يزعم يوحنا الدمشقي لما حدث أن أندحرت وتضاءلت أمامها العقائد والشـــرائع النصـــرانية التي كانت تسود في تلك البلاد عن طريق اعتناق سكانها النصارى لدين الإسلام ، ولحـــدث للإسلام وشرائعه مثلما حدث للعقائد والشرائع الوثنية التي كانت تدين بها سائر الشـــعوب الجرمانية الوثنية التي غزت الجزء الشمالي من العالم النصـــراني (أي أوروبـــا) قبـــل ظهـــور الإسلام، حيث اعتنقت تلك الشعوب الجرمانية النصرانية المحرفة لأنها كانت تـــدين بعقائـــد وثنية أكثر تفاهة وأعظم ضلالاً من النصرانية المحرفة . أما الإسلام فهو الدين الحـــق الـــذي دخلت فيه جماهير النصارى عن اقتناع كامل وإرادة حرة بعد أن رأت على أرض الواقع سمو وعظمة الإسلام في عقائده والاستقامة والعدل في شرائعه واتفاقها مـــع الفطـــرة الســـليمة. وعندما يشير يوحنا إلى أن النبي ﷺ حدّد لكل واحد منها مقدماً عنواناً . فهو يشير إلى أسمـــاء سور القرآن الكريم مثل النساء والبقرة ، والمائدة ونحوها .

<u>ثالثاً :</u> يتضح لنا من هذه الفقرة أن يوحنا الدمشقي هو الرائد الأول لجميع أعداء الإســـلام الـــذين هاجموه من خلال قضية المرأة لاسيما فيما يتعلق بتعدد الزوجات فهو أول مـــن أثـــار هـــذه القضية في تاريخ الهجوم الفكري على الإسلام . ولا يتسع المجال هنا لمناقشة هذه المســـألة ، فقد أوسعها الكثير من الباحثين دراسة ومناقشة من جميع جوانبها وفنـــدوا كـــل دعـــاوى

المغرضين [٢٥٤]. وإنما نشير فقط إلى (أن الإسلام لم ينشئ التعدد إنما حدده ، ولم يأمر بالتعدد إنما رخص فيه وقيده . وأنه رخص فيه لمواجهة واقعيات الحياة البشرية ، وضروريات الفطرة الإنسانية) [٢٥٥]. وقد أثبت الواقع التاريخي أن شريعة الإسلام في هذا الباب هي شريعة الكمال والعدل . ولقد حمى التعدد المجتمع الإسلامي من المنزلقات الخطيرة والانحرافات المخجلة التي وقعت فيها المجتمعات غير الإسلامية . ونظرة فاحصة لواقع تلك المجتمعات ومقارنتها بالمجتمع الإسلامي عبر عصور التاريخ تثبت أن شريعة التعدد التي أباحها الإسلام هي الحل الأمثل لزيادة عدد النساء على عدد الرجال في سائر المجتمعات البشرية ، لاسيما بعد الحروب والصراعات التي لا تكاد تنقطع في تاريخ البشر ، والتي تستنفد إعداداً هائلة من الرجال، الأمر الذي يزيد أعداد النساء بصورة كبيرة[٢٥٦] . أما الزواج من مملوكة فإن فيه رد لاعتبارها وكرامتها الإنسانية ، كما أنه سبب من أسباب تحريرها حتى لو لم يعتقها سيدها عند الزواج . فهي منذ اليوم الذي تلد فيه تصبح ، أم ولد ، يمتنع بيعها من جانب سيدها وتصبح حرة بعد وفاته ، أما ولدها فهو حر منذ مولده [٢٥٧].

<u>رابعاً :</u> لما كان دين الإسلام هو دين الفطرة ، فإنه نهى عن التَّبتُّل وعدم الزواج وأمر بالنكاح وهذه فضيلة تُحسب للإسلام لا عليه ويدل على ذلك الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه حيث

---

(٢٥٤) انظر على سبيل المثال : أحمد علي طه ريان : تعدد الزوجات ومعيار تحقيق العدالة بينهن في الشريعة الإسلامية ، القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ؛ محمد رشيد رضا : حقوق النساء في الإسلام ، القاهرة ١٣٩٨هـ؛ زكي الدين شعبان : الزواج والطلاق في الإسلام ، القاهرة ١٣٨٤هـ؛ محمد عبد الله عرفة : حقوق المرأة في الإسلام ، القاهرة ١٣٩٨هـ ؛ مبشر الطرازي : المرأة وحقوقها في الإسلام ، القاهرة ١٣٩٦هـ؛ محمد عزه دروزة : المرأة في القرآن والسنة ، بيروت ١٩٨٧م ؛ محمد مسفر حسين الزهراني : نظرات في تعدد الزوجات ، الرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ؛ سيد قطب : في ظلال القرآن ج١/ ص٥٧٧-٥٨٥ ؛ محمد الغزالي : فقه السيرة، خرّج أحاديثه الألباني ، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٤٣٢-٤٥٠.

(٢٥٥) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج١/ ص٥٨٢ .

(٢٥٦) انظر محمد مسفر الزهراني : نظرات في تعدد الزوجات ، ص٩١-٩٨ .

(٢٥٧) سيد قطب : في ظلال القرآن ج١/ ص٥٨٣ .

يقول: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا وكأنهم تقالوها ، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، واصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[٢٥٨] . والحديث الذي رواه سعيد بن أبي وقاص ﷺ حيث قال: (ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التّبتل ، ولو أذن له لاختصينا)[٢٥٩]. فالزواج هو سنة الله في خلقه والقدوة في ذلك هم الأنبياء عليهم السلام الذين طبقوا هذه السنة، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [٢٦٠]. أما النصرانية المحرّفة التي يدين بها يوحنا الدمشقي ومعظم النصارى فهي التي لا تمت بصلة في هذا الباب إلى ما جاء به الأنبياء . وهي التي ابتدعت الرهبانية التي لم يأمر بها الله تعالى حيث قال : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [٢٦١]. وقد ظهرت بدعة الرهبانية في القرن الثاني

---

(٢٥٨) البخاري (فتح الباري) ج٩ كتاب النكاح حيث رقم ٥٠٦٣ ص٥-٦ .

(٢٥٩) المصدر نفسه ج٩ كتاب النكاح حديث رقم ٥٠٧٣ ، ص١٩ .

(٢٦٠) الرعد : ٣٨ .

(٢٦١) الحديد : ٢٧ = ومن أحسن الردود على النصارى في هذا الباب ما قاله عبد الله الترجمان حيث قال: (فيما يعيبه النصارى على المسلمين أعزهم الله ... أن الصالحين من المسلمين يتزوجون بخلاف أهل الرهبانية من النصارى، فيقال لهم : إنكم متفقون في دينكم على أن داود عليه السلام كان نبياً ملكاً ، ومنزلة النبي أعلى من مرتبة الولي بالإجماع منا ومنكم ، وفي التوراة أن داود عليه السلام تزوج مائة امرأة ، وولد له منهن أزيد من خمسين ولداً ذكوراً وإناثاً ، وسليمان عليه السلام تزوج ألف امرأة ، كما ثبت في التوراة ، وأنتم تعتقدون أن التوراة حق نزل من عند الله، وكذلك جميع الأنبياء عليهم السلام تزوجوا ووُلِدَ لهم الأولاد إلا عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام ، وفي التوراة : يحل للرجل أن يتزوج من النساء ، ما يقدر عليهن من نفقتهن ، وأنتم يا معشر النصارى لم تأذنوا في التزويج بما شرعه الله في التوراة والإنجيل ، وإنا تمسكتم في ذلك بقول بولس الذي زعم أوائلكم أنه بمنزلة نبي ، وبولس هو الذي أمركم أن لا يتزوج أحد غير امرأة واحدة ، فإذا ماتت عوضها

الميلادي حيث عاشت طوائف من الرهبان في البراري والقفار منعزلة عن حياة الناس ، يمارسون طقوسهم وعبادهم . وكانت أهم الأسس التي قامت عليها حياة الرهبانية في الأديرة هي الزهد والعزلة والتَّبتُّل . وفي تاريخ النصرانية أمثلة كثيرة جداً على تلك الحياة التي عاشها الرهبان ، ففي بلاد الشام – على سبيل المثال – ظهر سمعان العمودي في القرن الخامس الميلادي الذي اعتزل الناس ، وانقطع للعبادة على عمود من الصخر لمدة ثلاثين سنة مكتفياً بأن يدلي سلة صغيرة بواسطة حبل ليحصل على احتياجاته الأساسية من طعام وشراب . ولما كانت حياة الرهبنة تصادم الفطرة الإنسانية لأنها تحرِّم على الرهبان والرَّاهبات الزواج فقد حفل تاريخ الأديرة بالكثير من الفضائح الأخلاقية مثل الشذوذ الجنسي وغيره من مظاهر الانحلال [٢٦٢]. هذا فضلاً عن أن تحريم الزواج للرهبان والرَّاهبات يؤدي إلى تقليل عدد النساء والرجال . بل ولو جرى الأخذ به في كل الأديان لأدى إلى انقراض الجنس البشري . وكان من أهم نتائج تلك الحياة الرهبانية المصادمة للفطرة الإنسانية في أوروبا طوال العصور الوسطى هي الانتفاضة المعاكسة ضد الكنيسة ورهبانيتها في هذا الباب بحيث انتشر الانحلال على نطاق واسع وراجت أندية العراة في الغرب وانتشرت بيوت الدعارة في كل مدنه ، بل وأصبحت القطعان النصرانية تمارس الزنا علناً أمام بعضهم بعضاً على الأرصفة وفي الحدائق العامة: ناهيك عن سن القوانين المنحرفة التي تبيح الشذوذ الجنسي وزواج المثليين حتى بين الرهبان ورجال الكنيسة !!! .

بأخرى وأمركم أن يتزوج القسيس امرأة واحدة بكراً لا ثيباً فإذا ماتت حُرِّم عليه التزويج . وقد تبين أن دينكم في التزويج خالفتم فيه الأنبياء وخالفتم بولس في تزويج القسس الأبكار ، فحرمتم على جميع القسيسين التزويج وصار سفهاؤكهم وجُهالكم يعتمدون في ذلك على هذا ويعيبون على أولياء المسلمين ما يفعلون في التزويج). انظر ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص١٢٧-١٢٨ .

(٢٦٢) للمزيد من التفاصيل عن الرهبانية انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطى ج١/ ص١٥٨-١٥٦؛ هـ. أ. ل. فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني ، القاهرة ١٩٦٩ ج١ / ص٢١٨-٢٢١ .

خامساً : يتضح لنا من هذا النص التشويه المقصود والمتعمَّد والتفسير المغرض الذي فعلــه يوحنــا الدمشقي عندما جعل قصة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنــهما . هــي السبب لتعدد الزوجات في الإسلام. وهذه من القواعد التي وضعها يوحنا الدمشقي في تفسير بعض شرائع الإسلام، وسار على منوالها الكثير من كتاب بيزنطة والغرب بعده، حيث أعطوا لأنفسهم الحرية المطلقة في التعامل مع النص الإسلامي وفسروا الكثير من النصوص الإسلامية بما يخدم أهدافهم المغرضة . وسخروا النصوص الإسلامية لتأييد تلــك الأهــداف ، بعــد أن نزعوا عن النصوص كل سياقاها ودلالاها وأحكامها العامة والخاصة (٢٦٣).

سادساً : وصل يوحنا الدمشقي في تلفيقه وافترائه إلى حد الإفك والبهتان على النبي ﷺ ، فزعم أنه وقع في حب زينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة رضي الله عنهما واخترع يوحنــا مــن عنده نص حوار بين النبي ﷺ وزيد . واهم النبي ﷺ بأنه اقترف الزنا مع زينب ثم جعل هــذا شريعة . ولقد كان لهذا الإفك والبهتان الذي ارتكبه يوحنا الدمشقي تأثير واسع المدى علــى كتَّاب الغرب في جميع العصور، حيث شغفوا به إلى أقصى حد ، وكان بمثابة نقطة البداية التي انطلقوا منها وبنوا على أساسها صوراً أخرى ملفقة داعرة . وصوروا حياة الــنبي ﷺ مــع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن تصويراً جنسياً مقيتاً ومعاكساً تماماً لحياته الحقيقية مع أزواجه التي اتصفت بالمودة والرحمة والخير والصلاح والتقوى والعبادة والقدوة الحسنة الــتي ينــدر وجود مثلها في التاريخ البشري بغية تنفير مجتمعاهم النصرانية من الإسلام ونبيــه محمــد ﷺ للحيلولة دون تسرب الإسلام التي تلك المجتمعات . وقد ملأوا مؤلفــاهم بتلــك الصــور الفاحشة الكاذبة ،وشكّلوا كتلاً ضخمة مليئة بالقاذورات التي تعبر بصــدق عــن حقــدهم الدفين على الإسلام ، ونبيه ﷺ . وقد ردد بعض المستشرقين تلك المفتريات حتى جاء المرتــد سلمان رشدي الذي تربى على تلك الصور الكاذبة على أيدي المنصرين والرهبان الغــربيين

---

(٢٦٣) ستأتي الكثير من الأمثلة في الكتب اللاحقة إن شاء الله تعالى.

فأسقوه حتى الثمالة من تلك الأحواض القذرة الأسنة التي ملأها أسلافهم طوال العصور الوسطى . ثم تقيأ كل ما شربه وارتوى به في كتابه السافل " آيات شيطانية " الذي لا يعدو أن يكون بعنوانه ومحتواه سرقة مكشوفة ، واجترار سخيف ، وتكرار بائس من الموائد النتنة والأوعية القذرة لأولئك الكتَّاب الحاقدين الذين ظهروا في أوروبا في العصور الوسطى[٢٦٤] .

ومن الغريب ما حظي به سلمان رشدي من الحماية والرعاية في الغرب من قبل حكامه مثل رئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارجريت تاتشر وغيرها باسم حرية الرأي، وتكريمه أخيراً في بريطانيا بزعم إثرائه الأدب العالمي وتقليده وسام فارس من جانب ملكة بريطانيا في ٦/٢/ ١٤٢٨هـ/ ١٧/٦/٢٠٠٧م . ومن عجب أن المسلمين سمعوا بهذا التكريم وتقليده لقب فارس دون أن يعوا المغزى العميق لهذا التقليد في التاريخ البريطاني ، والذي يعني بكل بساطة تبجيل وتقدير كل الأعمال التي قام بها الشخص المكرّم ، وما قدمه سلمان رشدي سيما آياته الشيطانية فإنه يعتبر في المنظور الثقافي البريطاني الصورة الحقيقية عن الإسلام ، ولأنه عبَّر بصدق ، وبشكل مكشوف عما يكتنزه تراثهم الفكري من كراهية مقيتة تجاه الإسلام ونبيه ﷺ . ولأنه أيضاً عبّر بصراحة عن معتقداتهم المكنونة في صدورهم تجاه الإسلام والمسلمين. والتي هي في الواقع عقائد راسخة في تلك القلوب والصدور ولا يمنعهم من إعلانها والتصريح بها إلا غرض المحافظة على مصالحهم وامتيازاتهم في بلاد المسلمين [٢٦٥].

سابعاً : لم يقتصر أثر الإفك والبهتان الذي اقترفه يوحنا الدمشقي بحق النبي ﷺ على كتَّاب الغرب، بل كان له أثره أيضاً في كتب بعض المؤرخين والمفسرين المسلمين خصوصاً زعمه الباطل أن زيد بن حارثة كان له امرأة جميلة وأن النبي ﷺ وقع في حبها وأمر زيد أن يطلقها كي يتزوجها. فمن الواضح أن يوحنا الدمشقي روج لهذه الفرية بين اتباعه ومريديه من النصارى

(٢٦٤) سترد أمثلة كثيرة في الكتب التالية إن شاء الله تعالى .

(٢٦٥) انظر الملحق الرابع في هذا الكتاب لترى أن بعض رؤساء الكنائس في الغرب عبَّروا بصراحة عن تلك المعتقدات الحاقدة تجاه الإسلام والمسلمين .

الذين روجوها شفوياً بدورهم بين بعض عوام المسلمين بعد أن صاغوا منها قصة مختلقة أكثر تفصيلاً من نص يوحنا الدمشقي المشار إليه ، فتلقفها منهم الرواة المغفلون والمنافقون والزنادقة ، وملخص تلك القصة الملفقة الزائفة: أن النبي ﷺ ذهب إلى بيت زيد بن حارثة يسأل عنه فخرجت له زينب بنت جحش حاسرة فأعجبه جمالها ورغب فيها ومال قلبه إليها وانصرف وهو يقول " سبحان مقلب القلوب " فلما علم زيد أراد أن يطلقها فقال له النبيﷺ "امسك عليك زوجك " وأخيراً طلقها فتزوجها النبي ﷺ . وأشهر من أورد هذه الرواية الملفقة بالتفصيل هو محمد بن عمر الواقدي[(٢٦٦)] ، المتوفى سنة ٢٠٧هـ وعن طريقه تسربت إلى بعض كتب المفسرين ، والمؤرخين ، فالطبري أوردها في تاريخه صراحة نقلاً عن الواقدي[(٢٦٧)]، وأوردها باختصار في تفسيره دون التصريح باسمه واكتفى بصيغة "فيما ذُكر"[(٢٦٨)] ، كما نقلها ابن الجوزي وابن الأثير في تاريخهما[(٢٦٩)] . وأقدم من أورد هذه

---

(٢٦٦) قال عنه البخاري : " ما عندي للواقدي حرف، وما عرفت من حديثه فلا أقنع به " وقال عنه مسلم وغيره "متروك الحديث . وقال عنه النسائي " ليس بثقة " وهو أحد أربعة معروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ . وقال عنه الشافعي : " كتب الواقدي كذب" ، وقال عنه أبو داود : " لا أكتب حديثه " ، وقال عنه يحيى بن معين " أغرب الواقدي على رسول الله ﷺ عشرين ألف حديث " ، وكان الإمام أحمد لا يذكر عنه كلمة . وقال عنه الذهبي : " لا شيء للواقدي في الكتب الستة إلا حديث واحد ، عن ابن ماجة . انظر ترجمته وأقوال العلماء فيه عند الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ج٣/ ص٢١٢-٢٣٠ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط ط بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ ج٩ حققه كامل الخراط ، ص٤٥٤-٤٦٩ = وانظر رواية الواقدي عند تلميذه ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٨ / ص١٠١-١٠٢ .

(٢٦٧) تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/، ١٩٦٧م ج٢/ ص٥٦٢-٥٦٣.

(٢٦٨) جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ، القاهرة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ ، ج١٩/ ص١١٥ .

(٢٦٩) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢من ، ج٣ / ص٢٢٥-٢٢٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج٢/ ص١٧٧ .

القصة الملفقة من المفسرين هو مقاتل بن سليمان المتوفى سـنة ١٥٠هـ في تفسـيره[٢٧٠]. ونقلها عنه كثير من المفسرين[٢٧١] . وقد أجمع المحدثون على ترك مقاتل بسبب ضعفه البيّن . وقال عنه البخاري : " مقاتل لا شيء البتة"[٢٧٢]، واعتبره النسائي أحد أربعة عُرفوا بالكذب ووضع الحديث على رسول الله ﷺ. وقال عنه وكيع بن الجراح : " كان كذاباً ليس حديثـه بشيء "[٢٧٣] . كما كان مقاتل بل سليمان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيـز الذي يوافق كتبهم[٢٧٤]. لذلك لا نعجب إذا تلقف هذه القصة الزائفة عن يوحنا الدمشـقي وتلاميذه ووضعها في تفسيره ، وتسربت عن طريقه إلى كثير من كتب المفسرين [٢٧٥]. وبقية الروايات تتصف بالضعف والانقطاع شأنها شأن روايتي الواقدي ومقاتل. وقد فنّـد العلمـاء قديماً وحديثاً تلك الروايات . فقال عنها ابن العـربي (وهـذه الروايـات كلـها سـاقطة الأسانيد)[٢٧٦]. كما بيّن ابن حجر ضعف تلك الروايات وقال بأنه (لا ينبغي التشاغل بهـا) [٢٧٧]. وعندما تناول ابن كثير في تفسيره زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش أورد الروايـات الصحيحة وأعرض عن ذكر تلك الروايات الزائفة وقال: (أحببنا أن نضرب عنـها صـفحاً

---

(٢٧٠) تفسير مقاتل بن سليمان : تحقيق أحمد فريد ، بيروت ٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ ، ج٣/ ص٤٧ .

(٢٧١) انظر مثلاً : الطبري : جامع البيان ج١٩/ ص١١٥ ؛ القرطبي : الجامع لأحكام القـرآن ، بـيروت ١٣٧٢/ ١٩٥٢م ، ج١٤/ ص١٩٠؛

(٢٧٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٧ / ص٢٠١-٢٠٢ .

(٢٧٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١٣/١٦٩ .

(٢٧٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ج٥/ ص٢٥٧ ، تفسير مقاتل بـن سـليمان ج١/ مقدمة المحقق ص١٠ .

(٢٧٥) انظر مثلاً : نقل الطـبري لهـا في تفسـيره ج١٩/ ص١١٦ القـرطبي : الجـامع لأحكـام القـرآن ، ج١٤/ ص١٩٠ .

(٢٧٦) أحكام القرآن لابن العربي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، ج٣/ ص٤٥٩.

(٢٧٧) فتح الباري ، ج٨ كتاب التفسير ، ص٣٨٤ .

لعدم صحتها فلا نوردها) [٢٧٨]. كما فنّد عدد من العلماء المحدثين تلك الروايـات الزائفـة وبينوا بطلانها[٢٧٩]. على أن ما يجب أن أضيفه هنا إلى دراسة أولئك العلماء قديماً وحديثاً في نقدهم لتلك الروايات وتفنيد أسانيدها ، أنني وجدت جميع أسانيد تلك الروايات تنتـهي إلى أشخاص وُلدوا جميعاً بعد مولد يوحنا الدمشقي الذي وُلد على الأرجح بـين عـامي ٣٥-٤٠هـ، وعاشوا في العصر الذي عاش فيه يوحنا أو بعده بقليل، ولا توجد رواية تتعـدى في سلسلة سندها عصر يوحنا الدمشقي مما يثبت قطعاً أن تلك القصص الزائفة مـأخوذة مـن الإفك والبهتان الذي اقترفه يوحنا الدمشقي وأشرنا إلى نصه آنفاً [٢٨٠].

ويتبين زيف هذه القصة الملفقة التي اخترعها يوحنا الدمشقي وتسـربت إلى بعـض كتـب المفسرين والمؤرخين المسلمين من إيراد الرواية الصحيحة لزواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش. فهي لم تكن غريبة عن النبي ﷺ ، إذ أنها ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب . ويعرفهـا منـذ صغرها. وأراد النبي ﷺ أن يزيل الفوارق الطبقية بين المسلمين وأنه لا فضل لمسلم على آخر إلا بالتقوى وليوضح أنه لم يعد في الإسلام مجال للتفاخر بالأحساب والأنساب . فدخل علـى

---

(٢٧٨) تفسير ابن كثير ص١٠٦٠ .

(٢٧٩) من أهم الدراسات الحديثة التي فنّدت تلك الروايات الزائفة ما يلي : زاهر عواض الألمعـي: مـع المفسـرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش : دراسة تحليلية لأبعـاد الموضـوع وخطورتـه القـاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ؛ إبراهيم علي شعوط : أباطيل يجب أن تُمحى من التـاريخ ، القـاهرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص٧٥-٨٦ ؛ محمد الغزالي : فقه السيرة ، دمشق ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٤٣٩-٤٤٢؛ سـيد قطب : في ظلال القرآن ج٥/ ص٢٨٦٨-٢٨٧١؛ محمـد علـي الصـابوني : النبـوة والأنبيـاء ، بـيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ، ص٩٩-١٠١ ؛ محمد علي الصابون : روائع البيان تفسير آيات الأحكام مـن القـرآن بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ج٢ / ص٣١٧-٣٢٧ .

(٢٨٠) لقد شعر أستاذنا الدكتور إبراهيم علي شعوط ، رحمه الله ، بالأسى والحزن لورود هذه القصـة الملفقـة في بعض كتب المفسرين المسلمين ظاناً بأن القصة بدأت من عندهم فأعطوا بذلك سلاحاً للمستشرقين للطعـن في النبي ﷺ ، انظر أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص٨٠-٨١ ، لكننا أثبتنا أن القصة الملفقة بـدأت أولاً مـن يوحنا الدمشقي الرائد الأول للعدوان الفكري على الإسلام ونبيه ﷺ . وواضع البذرة الأولى المسـمومة الـتي انبثقت منها حركة الاستشراق والتنصير الموجهة للمسلمين .

زينب بنت جحش فخطبها لمولاه زيد بن حارثة الذي كان بالأمس القريب عبداً (٢٨١).

فرفضته لأنها رأت أنها خير منه حسباً ونسباً فأمرها النبي بالزواج من زيد فترددت وبينما هما يتحدثان نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ (٢٨٢)، عندئذ أذعنت زينب للأمر الإلهي فتزوجت بزيد بن حارثة (٢٨٣).

أما قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٢٨٤) فقد نزلت هذه الآية في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة (٢٨٥). إذ شاء الله تعالى أن يحمل نبيه بعد ذلك مؤنة إزالة آثار نظام التبني، فيتزوج من مطلقة متبناه زيد بن حارثه ويواجه المجتمع بهذا التشريع الجديد الذي يزيل العرف القديم الذي يقضي بأن زوجة الابن المتبنى كانت تحرم على الوالد بالتبني كما تحرم زوجة الابن من الصلب، وقد أخبر الله تعالى نبيه ﷺ أن زيداً سوف يطلق زينب، وأنه هو سوف يتزوجها. وكان أن اضطربت العلاقة الزوجية بين زيد وزينب، فجاء زيد يشكو للنبي ﷺ من زينب ويطلب الإذن له بفراقها. فكان النبي ﷺيقول لزيد –

---

(٢٨١) كان زيد قد سبي في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة فوهبته للنبي فأعتقه وتبناه وأصبح يعرف بزيد بن محمد، فجاء أبوه وعمه إلى مكة لاسترداده فخيَّره رسول الله ﷺ بين الذهاب معهما أو البقاء معه فاختار البقاء في كنف النبي ﷺ. وكان أول من اعتنق الإسلام من الموالي. ولما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أصبح ينسب لأبيه حارثه الكلبي، انظر، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢/ص٢٢٠-٢٣٠.

(٢٨٢) الأحزاب: ٣٣.

(٢٨٣) ابن العربي: أحكام القرآن ج٣/ ص٤٥٥-٤٥٦؛ تفسير ابن كثير، ص١٠٥٩؛ ابن حجر: فتح الباري ج٨ كتاب التفسير ص٣٨٤.

(٢٨٤) الأحزاب: ٣٧.

(٢٨٥) البخاري (فتح الباري) ج٨ كتاب التفسير، حديث رقم ٤٧٨٧، ص٣٨٣.

الذي أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم الرسول عليه بالعتق والحب – أمسك عليك زوجك أي ابق زينب في عصمتك ولا تطلقها، واتق الله في أمرها ، ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ ، فالذي كان يخفيه ، علمه من الله أن زيداً سوف يطلقها ويتزوجها هو ليبطل أثار حكم التبني وكان النبي يخشى ويتحرج من كلام الناس لاسيما المنافقين أن يقولوا تزوج امرأة ابنه. وأخيراً طلق زيد زوجته زينب ، ولما انقضت عدتها تزوجها النبي ﷺ بأمر ربه . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ ، وهذه الآية قاطعة حاسمة ساطعة في إيضاح السبب التشريعي لزواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش مما يسقط كل الروايات الزائفة التي تسربت عن طريق يوحنا الدمشقي إلى كتب التفسير والتاريخ [٢٨٦].

<u>ثامناً :</u> كان لقول يوحنا الدمشقي عن الطلاق في الإسلام : (كل من يريد يمكن يطلق زوجته ، لكن إذا هو يرغب بعد الطلاق أن يعود إليها، فيترك شخصاً آخر يتزوجها ، أولاً ، نظراً لأنه لا يكون مسموحاً له أن يأخذها، بالمقابل ، إلا إذا هي تزوجت من رجل آخر . وحتى إذا أخ يطلق زوجته ، يمكن يترك أخاه يتزوجها ، إذا هو يريد ذلك) . كان لهذا القول تأثير عجيب على كتّاب الغرب في العصور الوسطى فاخترعوا منه ما أسموه شريعة التحليل في الإسلام وزعموا – زوراً وبهتاناً – أنه شريعة إسلامية بل وزعم بعضهم أن في مقدور الزوجة بعد الطلقة الثالثة أن تزني مع رجل آخر حتى تعود لزوجها . وإذا التزمت بالعفة فلا يجوز لها العودة إليه [٢٨٧].

---

(٢٨٦) ابن العربي : أحكام القرآن ، ج٣ / ص٤٦٠ ؛ تفسير ابن كثير ص١٠٦٠، ابن حجر : فتح الباري ، ج٨ كتاب التفسير ص٣٨٣-٣٨٤ ؛ عبد الرحمن السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٦٦٥ – ٦٦٦ ؛ سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج٥/ ص٢٨٦٨ – ٢٨٧٠ ؛ الصابوني : صفوة التفاسير ج٢/ص٥٢٧-٥٢٨ ؛ شعوط : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص٧٥-٨٥ ؛ الغزالي : فقه السيرة ، ص٤٣٩-٤٤١ .

(٢٨٧) سنرى أمثلة من هذا في الكتب التالية إن شاء الله تعالى .

تاسعاً : أما قول يوحناً الدمشقي في نهاية فقرته المشار إليها آنفاً : (هذا هو مثال من الوصايا التي يعطيها في هذا الحديث : [احرثوا الأرض التي الله أعطاكم وجمّلوها وافعلوا هذا في هذه الطريقة] أنه لم يقل كل شيء فاحش مثلما هو فعل] فيوحنا الدمشقي يتحدث في قوله هذا عن النبي ﷺ ويضرب مثلاً من الوصايا التي يزعم أن النبي – وليس الله تعالى – وضعها في القرآن ويقصد بتلك الوصية التي أورد معناها حسب فهمه السقيم لقول الله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (٢٨٨). ثم يعلق عدو الله على هذه الآية بأن النبي ﷺ فعل من الفواحش أشياء كثيرة ، أكثر مما جاء به في تعاليمه . ولقد كان لهذا التعليق الكذوب أثر بعيد على كتّاب الغرب فأصبح منهجاً وقاعدة لهم ، وتصوروا أن كل ما يلفقونه ويخترعون من صور جامحة وأكاذيب فاضحة تنطبق على الإسلام ونبيه ﷺ (٢٨٩).

سخرية يوحنا من وصف نعيم الجنة في القرآن ومعجزة صالح عليه السلام

ثم ينحدر يوحناً الدمشقي إلى الاستهزاء والسخرية والتهكم من النبي ﷺ ومن المسلمين ومن أوصاف بعض نعيم الجنة ، من خلال حديثه المشوَّه عن ناقة الله التي جعلها معجزة لرسوله صالح عليه السلام ، فيقول : (وفوق ذلك ، يوجد هناك الحديث عن ناقة الله ، عنها هو يقول إنه كان هناك ناقة من الله اعتادت أن تشرب النهر كله إلى حد أنها لا تستطيع أن تمر بين جبلين ، بسبب أنه لم يكن هناك مكان يتسع لها حتى تمضي من خلاله ، ويوجد هناك قوم في ذلك المكان ، هو يقول ، وفي يوم واحد كانوا يشربون الماء ، والناقة تشربه في اليوم التالي ، وعندما هي تشرب الماء هي تطعمهم بتقديم لبنها لهم بدلاً من الماء . وعندئذ ، ثار شخص شرير من أولئك القوم وقتل الناقة . من ناحية ثانية ، كان هناك ناقة صغيرة التي كانت نسلها، هو يقول ، عندما قُتلت أمها اشتكت إلى الله فرفعها إليه . ونحن نقول لهم : (من أين وجدت تلك الناقة؟) هم يجيبون أنها كانت من الله .

---

(٢٨٨) البقرة : ٢٢٣ = وانظر : اثر عبارة يوحنا الدمشقي على كتّاب الغرب في الكتب اللاحقة.

(٢٨٩) سترد أمثلة في الكتب التالية .

ونحن نقول : (هل كان هناك أي جمل آخر تزوج منها ؟) هم يقولون (لا) بعد ذلك نحن نقـــول : (كيف هي أعطت نسلاً ؟ نظراً لأننا نرى الناقة بدون أب، وأم ، وسلالة . وعندما أعطـــت ولادة قوبلت بالشرير. يظهر في قصتكم أن لا أحد تزوج بالناقة ، ولا أين أُخذت الناقة الصغيرة فـــوق . نبيكم، بعد ذلك ، مثلما أنتم تزعمون تحدث إليه الله ، فلماذا لم يكتشف عن الناقـــة ، أيـــن هـــي ترعى، ومن الذي يحلبها ويشرب حليبها ؟ أو هل حدث أنها أيضاً أن يحدث لها مثل أمها، فوقعـــت في أيدي الناس الأشرار وقُتلت، أو تعين عليها أن دخلت الجنة قبلكم، ومنها سوف يتدفق نهر اللبن، الذي تتحدثون عنه؟ نظراً لأنكم تقولون أنكم سوف تمتلكون ثلاثة أنهار في الجنة تجري ماءً وخمـــراً ولبناً . إذاً ناقتكم السابقة كانت خارج الجنة ، فالواضح أنها ماتت بعيداً بالجوع والعطـــش ، أو أن قوماً آخرين سوف ينعمون بلبنها ؛ ونبيكم متباهياً عبثاً أنه يتحدث مع الله ، حينذاك ، ألم يوح إليـــه بالسر عن الناقة . إذا هي في الجنة ، هي مرة ثانية سوف تشرب الماء . وأنتم تكونـــون ذاهـــبين إلى فقدان الماء ، ليجف منتهياً في وسط المباهج بالجنة . وإذا أنتم سوف ترغبون أن تشربوا الخمر مـــن النهر المتدفق المجاور ، عندئذ هناك سوف يكون لا ماء ، بسبب أن الناقة تشربه كله، وشربكم مـــن الخمر بدون نهاية سوف يحرق أجوافكم ، وأنتم سوف تتمايلون من السُّكر، وسوف تكونون نائمين برؤوس ثقيلة، وبسبب ذلك ، بعد السُّكر بسبب الخمر والنوم ، أنتم سوف تفتقـــدون المســـرات بالجنة . بعد ذلك ، كيف حدث أن نبيكم لم يفكر في كل هذه الأشياء التي يمكن أن تحدث لكـــم في جنة البهجة ؟ هو لم يهتم أن يبتدع مكان الناقة الحية الآن ، ولا حدث ، من ناحية ثانيـــة ، أنكـــم تسألونه عنها – عندما كان خارجاً من أحلامه – هو كان يبشركم بالأنهار الثلاثة . لكن نحن نؤكد لكم، على نحو محدَّد ، أن ناقتكم العجيبة في ذلك الحين ، تكون قد دخلت في أرواح الحمير ، حيثما أنتم تذهبون تسكنون ، مثل الحيوانات . وهناك توجد الظلمة الخارجية وجهنم الأبدية ، والنـــار الهادرة، والديدان السهرانة دائماً وشياطين جهنم) [٢٩٠].

(290) Migne: op. cit , Vol . 94 , Col,771-772 ; Sahas , op . cit , p.139-141 .

ويمكن أن نقف إزاء هذا النص عدة وقفات هي :

<u>الأولى :</u> يظهر لنا بجلاء التشويه المتعمد ليوحنا الدمشقي عندما قدّم جزءاً مبتسراً من تفسير قصة ناقة الله التي جعلها الله تعالى آية ومعجزة لرسوله صالح عليه السلام حين كذبه قومه. فيوحنا يقدم القصة هنا منزوعة من سياقها وحقيقتها. ومتجاهلاً تماماً القضية المحورية الكبرى التي تقوم عليها القصة . فالقصص القرآني لما عرض قصص الأنبياء مع أممهم . كانت القضية الكبرى والمحورية التي يدور عليها القصص هي قضية أن " لا إله إلا الله وحده لا شريك له" التوحيد المطلق والخالص لله سبحانه وتعالى ، وأن لا معبود بحق إلا الله ، وإفراده وحده بالعبادة وعدم صرف شيء منها لغير الله . فالوحدانية المطلقة لله تعالى هي القضية الأساسية التي قامت عليها دعوة الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم إلى محمد ﷺ . فالشرك بالله هو الظلم العظيم الذي لا تنفع معه الأعمال الصالحة أبداً حتى ولو كانت تلك الأعمال مثل الجبال ، قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ (٢٩١)، وقال تعالى : ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ (٢٩٢). فالقصص القرآني في عرض القصة إنما يعرض من خلالها توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له وأهمية التوحيد في حياة البشر لأنه قضية القضايا بل هو الهدف الذي من أجله خلق الله الخلق قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ (٢٩٣)، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ (٢٩٤)، وقال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا

---

(٢٩١) إبراهيم : ١٨ .

(٢٩٢) الفرقان : ٢٣ .

(٢٩٣) الذاريات : ٥٦ .

(٢٩٤) الملك : ٢ .

﴿ حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [295]. فكانت مهمة الأنبياء جميعاً هي توضيح توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده وحده بالربوبية والألوهية وأن يوصف بما وصف به نفسه أو وصفه به أنبياؤه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل .

وكان صالح عليه السلام أحد الأنبياء الذين أرسلهم الله بدعوة التوحيد قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴾ [296]، ولكنهم كذبوا وطلبوا آية على صدقه فبعث الله لهم الناقة فلم يؤمن به إلا القليل أما الملأ من قومه فقد أصروا على كفرهم وعنادهم وعقروا الناقة فحاق بهم العذاب قال تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴾ [297]. فأنّى ليوحنا الدمشقي أن يدرك حقيقة التوحيد الخالص لله تعالى . وقد أفسدت عقيدة التثليث فطرته وأعمت عبادة الصور والأيقونات بصيرته فصرف جلّ حياته في الركوع أمامها والدفاع عنها بحجج واهية هي الشرك بعينه. لذلك نجده يعرض قصة الناقة منزوعة من سياقها وحقيقتها. لأن عرض عقيدة التوحيد كما جاءت في القرآن أمام قرائه النصارى ، قد يشككهم في عقائدهم

(٢٩٥) المؤمنون : ١١٥-١١٧ .

(٢٩٦) هود : ٦١ .

(٢٩٧) هود : ٦٢-٦٨ .

الشركية وينسفها من أساسها. وهو يهدف بالأساس – بعرضه هذا – إلى تقوية إيمانهم وترسيخ قناعاتهم بتلك العقائد الشركية الباطلة .

الثانية : الملاحظ أن قصة نبي الله صالح مع قومه ثمود ودعوته لهم وتأييد الله له بالناقة آية ومعجزة لم ترد في الكتاب المقدس . وجاء ذكرها فقط في القرآن الكريم. لذلك اتخذ يوحنا الدمشقي منها مادة للتشويه والسخرية والاستهزاء متناسياً أن في مقدور أي ملحد لا يؤمن بالأنبياء أن يطبق المنهج نفسه ليسخر من الكتب المقدسة ومن معجزات الأنبياء . فيخاطب الملاحدة لإضحاكهم فيقول مثلاً : إنه كانت هناك عصا عجيبة تتحول فجأة إلى أفعى عظيمة تسعى وتبتلع سائر الحيات والحبال والعصى، ثم تعود فجأة ، وتضرب البحر فينحسر منه طريق عظيم يمكن للحشود أن تمر من خلاله ، وأن تلك العصا تضرب الصخرة فتتفجر منها الأنهار.. الخ . ليس هذا فحسب بل إننا لو طبقنا هذا النهج التقريعي الساخر المُتهكِّم – الذي استخدمه يوحنا الدمشقي – على أسس العقيدة النصرانية كالتجسّد والثالوث والصلب والفداء وأن بني آدم ورثوا خطيئة أبيهم آدم وأنه لا يمكن تكفير تلك الخطيئة إلا بصلب ابن الله المزعوم هذا فضلاً عما في شرائعهم وطقوسهم من أمور تثير السخرية والاستهزاء . لكان وقع هذا أشد إيلاماً على نفوس النصارى. ولذلك يُعلق شيخ الإسلام على مثل هذه المطاعن الباطلة فيقول : (فما من مطعن من مطاعن أعداء الأنبياء يُطعن به على محمد ﷺ إلا ويمكن توجيه ذلك الطعن وأعظم منه على موسى وعيسى) [298].

الثالثة : لم يكن يوحنا الدمشقي بدعاً في مجال السخرية والاستهزاء بالأنبياء فالمشركون سخروا من النبي ﷺ واستهزؤوا به وبما أنزله الله إليه من القرآن . وقد أخبر الله نبيه أن الأنبياء السابقين تعرضوا للسخرية والاستهزاء . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [299]، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ

---

(٢٩٨) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج٢/ ص٦ .

(٢٩٩) الأنعام : ١٠ .

أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [300]. وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [301]، وقال تعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [302]. والآيات في هذا الباب كثيرة جداً . غير أننا سنلاحظ في الكتب التالية أن كُتَّاب بيزنطة والغرب توسعوا فيما بدأه يوحنا الدمشقي . وطبقوا هذا الأسلوب في هجماتهم الفكرية على الإسلام ونبيه محمد ﷺ .

<u>الرابعة :</u> من الحقائق المسلم بها أن النبي محمد ﷺ كان أكثر الأنبياء نجاحاً في غرس عقيدة التوحيد في نفوس أصحابه وتعريفهم بحقوق ربهم حق المعرفة . ويعلق شيخ الإسلام على ظهور التوحيد على يد محمد ﷺ بقوله : (فلما بعث الله محمداً ﷺ أظهر به توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ظهوراً لم يُعرف في أمة من الأمم ولم يحصل مثله لنبي من الأنبياء) [303].

وظل القرآن يتنزل على النبي ﷺ مركزاً على هذه القضية ليجنب أمة محمد ﷺ المزالق الكبرى التي وقعت فيها الأمم السابقة التي لم تستوعب تماماً المعنى العميق لتوحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده وحده بالعبودية ومعنى وحقيقة كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " التي تعني لا معبود بحق إلا الله . فنجد قوم موسى ، مثلاً ، ما إن غاب عنهم موسى لميقات ربه حتى أضلهم السامري وجعلهم يعبدون العجل من دون الله ، على الرغم من أن هارون كان بينهم ، بينما لا نجد مثل هذا الظلم العظيم وهو الشرك بالله عند أصحاب محمدﷺ لأنه غرس فيهم معنى وحقيقة ، لا إله إلا الله ، فها هم العشرات من أصحابه يهاجرون – بسبب اضطهاد قريش – إلى الحبشة ويمكثون فيها أكثر من اثنتي عشرة سنة ، فلم يضيِّعوا التوحيد ولم يتأثروا بعقائد النصارى على الرغم من بعدهم عن النبي ﷺ

---

(٣٠٠) الروم : ١٠ .

(٣٠١) الحجر : ١١ .

(٣٠٢) الزمر : ٤٨ .

(٣٠٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج٥/ص ٩٥-٩٦ .

وعدم سماعهم ما نزل من القرآن عليه بعد هجرتهم . لذلك لا غرابة أن يشهد لهم النبي ﷺ بالفضل وأن لهم هجرتين[٣٠٤].

ولن يستقيم تعظيم التوحيد في النفوس وتصوره في العقول إلا بالإيمان بالدار الآخرة . فهناك يوم عظيم لا مراء في قدومه حيث يقوم الناس لرب العالمين فيحاسبهم حساباً دقيقاً على حياتهم الأولى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [٣٠٥]. فإما نعيم باسم – يمرح فيه الأخيار ويستريحون وإما جحيم مشؤومة يشقى فيها الأشرار ويكتئبون [٣٠٦].

وقد فصّل القرآن الكريم في وصف أهوال القيامة ومشاهدها ، ووصف الجنة وما فيها من نعيم للمؤمنين والنار وما فيها من عذاب للكافرين . فنجد سوراً كثيرة تتحدث عن ذلك منها على سبيل المثال : ق، والطور، والرحمن ، والواقعة ، والحاقة ، والمعارج ، والمدثر ، والقيامة، والإنسان، والنبأ ، والنازعات ، وعبس ، والانفطار ، والانشقاق ، وغيرها . وإذا تأملنا القرآن الكريم والسنة نجد أوصاف القيامة ونعيم الجنة وعذاب جهنم بشكل مفصل وهو ما لا يوجد مثله عند أهل الكتاب، لا في العهد القديم ولا في العهد الجديد. حيث لا نجد في تلك الكتب إلا أوصافاً مجملة ومبهمة مثل يوم الدينونة ، والسعادة الأبدية ، والعذاب السرمدي ونحو ذلك وهذه ميزة للقرآن الكريم ولسنة النبي ﷺ حيث وصفا مشاهد القيامة ، ونعيم الجنة ، وعذاب جهنم ، وصفاً مفصلاً لم يرد في الكتب السابقة، لأن معرفة المصير الذي يسير إليه الناس جميعاً ، يكون أدعى للمحافظة على عقيدة التوحيد الخالص التي أمر الله تعالى بها عباده ، وهذا أسلوب من أساليب القرآن في الترغيب والترهيب للناس حتى يخلصوا لله تعالى في عبادته وطاعته وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

---

(٣٠٤) البخاري (فتح الباري) ج٧ حديث رقم ٣٨٧٦ ص٢٢٧ .

(٣٠٥) الزلزلة : ٧-٨ .

(٣٠٦) الغزالي : فقه السيرة ، ص٩٣ .

ويبدو أن تميُّز القرآن في هذا الجانب كان له أسوأ الأثر في نفس يوحنا الدمشقي . ولـــذلك أخذ يسخر من وصف بعض نعيم الجنة الذي ورد في القرآن الكريم . ووضع بذلك قاعـــدة انطلق منها كثير من كتَّاب بيزنطة والغرب في مهاجمة أوصاف القرآن لنعيم الجنة وزعمـــوا أن الجنة القرآنية جنة حسية شهوانية غير روحية [٣٠٧].

<u>الخامسة :</u> وفي نهاية فقرته يحكم يوحنا الدمشقي على المسلمين من منظور عقيدته الضـــالة زاعمـــاً أن أرواحهم تدخل في أرواح الحمير في عذاب جهنم الأبدي. ويكـــون بـــذلك أول مـــن أصـــدر قرار الحرمان من النصارى ضد المسلمين حيث سار الكثير من كتَّـــاب الغـــــرب على خطاه فأصدروا أحكاماً مشابهة ضد المسلمين ونبـــيهم محمـــد ﷺ كمـــا ســـنرى في الكـــتب الآتية [٣٠٨]:

خاتمة فصل يوحنا الدمشقي

ويختم يوحنا الدمشقي فصله المليئ بالتشويه والتلفيق فيقول ما نصه : (معميث Mamet أيضـــاً يتكلم عن حديث المائدة . هو يقول : إن المسيح طلب من الله مائدة، وهي أُعطيـــت لـــه ، لأنـــه يقـــول ، هو أخبرني : أنا أعطيت لك ولأصحابك مائدة غير قابلة للفساد . أيضاً الحـــديث عـــن البقـــرة، وحكايات تافهة أخرى كثيرة جديرة بالضحك ، التي بسبب عددها ، أنا أعتقد أنه يجـــب عليَّ أن أحذفها . هو عمل شريعة أنهم والنساء يختنون ، وهو أمـــرهم أن لا يحتفلـــوا بالســـبت لا يعمَّدون[٣٠٩]، ومن ناحية ثانية ، يأكلون ما هو محرماً في الشريعة – يقصد شريعة أهل الكتـــاب –

---

(٣٠٧) انظر: الكتب التالية .

(٣٠٨) تصدر تباعاً إن شاء الله تعالى .

(٣٠٩) التعميد هو التغطيس ، ويسمى " المعمودية" ويزعم النصارى أنه أحد أسرار الكنيسة السبعة، وأنه سر مقدس يولد به النصراني ميلاداً ثانياً بتغطيسه في ماء المعمودية ثلاث مرات باسم الثالوث : الأب ، والابن ، والـــروح القدس . ويعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتغطيس ، وصفته أن في كل كنيسة حوضاً يملـــؤه القســـيس بالماء ويقرأ عليه مقتطفات من الإنجيل ، ويرمي فيه ملحاً كثيراً وشيئاً من دهن البلسان . فإذا تنصر أحـــد مـــن غير النصارى اجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس ليشهدوا عليه – بزعمهم – بين يدي الله بـــالتغطيس . ويقول القسيس للمتنصر الجديد عند حوض الماء : [أعلم يا هذا أن التنصر أن تعتقد بالثالوث وأنه لا يمكـــن

ومن جهة أخرى، أن يمتنعوا عن الأشياء الأخرى ، التي سمحت بها الشريعة ، هو أيضاً حرّم شـــرب الخمر تماماً[(٣١٠)] .

وإذا تأملنا هذه الفقرات الختامية من فصل يوحنا الدمشقي عن الإسلام ونبيه محمد ﷺ يمكـــن أن نخرج بالملاحظات التالية :

<u>أولاً :</u> تحدث يوحنا الدمشقي عن قصة المائدة التي طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام . ولكنه أســـاء فهم القصة فالطلب بدأ من الحواريين الذين قالوا لعيسى عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[(٣١١)]، وزعم يوحنا الدمشقي أن الله قال أنا أعطيك ولأصحابك مائدة لا يتطرق إليها الفســـاد . وهـــذا سوء فهم كامل لجواب الله تعالى على دعوة عيسى عليه السلام حيث لم يرد هذا المعنى مطلقـــاً لا في القرآن ولا في التفاسير . حيث قال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٣١٢)]. وهنا نلاحظ أن يوحنا الدمشقي أضاف إلى التلفيق والتشويه المتعمد سوء الفهم . وهو ما يعطي صور معاكسة ومناقضة للإسلام تمامـــاً

لك دخول الجنة إلا بالتغطيس وأن ربنا عيسى بن الله وأنه التحم في بطن أمه مريم فصار إنساناً وإلاهاً ، فهـــو إله من جوهر أبيه وإنسان من جوهر أمه ،وأنه صُلب ومات وعاش وصار حياً بعد ثلاثة أيام من دفنه ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، ويوم القيامة هو الذي يحكم بين الخلق ، وأنك أمنت بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة ، فهل أمنت بهذا كله ؟] فيقول المتنصر : نعم ، وعندئذ يأخذ القسيس صفحة من ماء ذلك الحـــوض ويسكبها عليه وهو يقول له : وأنا أغطسك باسم الأب والابن والروح القدس . ثم ينصرف وقـــد دخـــل في النصرانية . وأما تغطيس أطفال النصارى ، فهو في اليوم الثامن من ولادتهم ، يأتي بهـــم أبـــاؤهم إلى الكنيســـة ويوضع الطفل بين يدي القسيس فيخاطبه بالكلام المتقدم ذكره ، ويجيب عنه أبواه بنعم ثم يعودان بولدهما وقـــد تنصر = انظر عبد الله الترجمان ، تحفة الأريب ص٧٥-٧٨ .

(310) Migne: op. cit , Vol . 94 , Col,772-773 ; Sahas , op . cit , p.141 .

(٣١١) المائدة : ١-١١٣ .

(٣١٢) المائدة : ١١٥ .

الأمر الذي يثير في نفوس النصارى الحقد والاشمئزاز من الإسلام مما يجعلهم يتمسكون بعقائدهم الضالة وشرائعهم الفاسدة.

وبالإضافة إلى هذا ، فإن قصة المائدة لم ترد في أناجيل النصارى. وقد انفرد القرآن الكريم بذكرها. وهذا من الإعجاز القرآني العظيم الذي أخبر بأمور وتفاصيل لم يرد ذكرها في الكتب السابقة. وكان هدف يوحناً الدمشقي من إيراد القصة التأكيد لقرائه النصارى بأن الإسلام هرطقة ، حيث جاءت فيه هذه القصة والمعروف أن رجال الدين النصارى قد زادوا أتباعهم ضلالاً عندما جعلوهم يعتقدون أن أناجيلهم المحرفة هي الحقيقة الخالصة والصدق المطلق . وأصبحوا ينظرون لكل دين آخر من خلال منظور تلك الأناجيل وكل ما لا يرد فيها أو في أقوال رجال الكنيسة يعتبرونه هرطقة ، ويرفضون بالتالي كل قصة أو تفصيل يتعلق بالأنبياء السابقين لم يرد في كتابهم المقدس الذي يؤمنون به .

ثانياً : يعاود يوحنا الدمشقي في ختام فصله ترديد زعمه الكذوب أن سور القرآن مجرد حكايات تافهة جديرة بالضحك . وهدفه من ذلك توكيد هذا الزعم الباطل في عقول قرائه النصارى. وقد بيّنا هدف يوحنا من هذا الزعم الكذوب(٣١٣). غير أن هذا الزعم الزائف حفز الكثير من الكتَّاب الروم والغربيين في العصور الوسطى ، على ترديده في كتاباتهم وجعلهم يبحثون عن الأشياء الأخرى التي زعم يوحنا الدمشقي أنه حذفها بسبب كثرة عددها ، فاعتبروا معظم الفضائل والمناقب والشعائر الإسلامية تافهة وزائفة بهدف تحصين مجتمعاتهم النصرانية ضد انتشار دين الإسلام ومنعه من التسرب والوصول إليها(٣١٤).

ثالثاً : ويبلغ يوحنا الدمشقي الغاية في التشويه والإضلال عندما يزعم أن النبي ﷺ وضع شريعة الختان لإتباعه. ويتناسى الدمشقي أن هذه الشعيرة هي سنة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام. حيث يذكر الكتاب المقدس، الذي يزعم الدمشقي الإيمان به، أن الله قال لإبراهيم : (وأما أنت

---

(٣١٣) انظر قبل.

(٣١٤) انظر بعد .

فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم . هذا هو عهدي الذي تحفظونـه بـيني وبينكم وبين نسلك من بعدك . يُختن منكم كل ذكر . فتختتنون في لحم غـرلتكم فيكـون علامة عهد بيني وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم . وليـد البيـت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك . يُختن ختاناً وليد بيتك والمُبتاع بفضتك فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً . وأما الذكر الأغلف الذي لا يخـتن في لحـم غرلتـه فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه قد نكث عهدي) [٣١٥]. ويتضح مـن هـذا أن أبنـاء إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام حافظوا على هذه الشريعة وبعث الله محمداً ﷺ بالحنيفية الحقة ملة إبراهيم عليه السلام فحافظ على هذه الشعيرة . أما يوحنا الدمشقي وقومه النصارى فهم الـذين نكثوا هذا العهد الأبدي الذي أخذه الله على إبراهيم ونسله من بعده واسـتبدلوه ببدعـة التغطيس التي لم يفعلها أحد من الأنبياء . ويصل بهم الضلال والحقد إلى حد أن يعيبوا علـى المسلمين تطبيقهم هذا العهد الذي أخذه الله على إبرهيم ونسله من بعده .

<u>رابعاً :</u> وما يثير العجب أن يوحنا الدمشقي لا يكتفي بمحاكمة المسلمين من خلال المنظور النصراني الضال . بل يريد أن يعيبهم أيضاً من خلال المنظور اليهـودي القـائم علـى التحريـف والضلال. فاليهود يحتفلون بالسبت ويعظمونه بعد أن زعموا – زوراً وبهتاناً – أن الله تعالى استراح في ذلك اليوم بعد أن أكمل خلق الكون ، وكأنه تعالى قد حلّ به التعب والنصـب من خلق السموات والأرض حيث جاء في سفر الخروج ما نصه : (اذكـر يـوم السـبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبتٌ للرب إلهـك لا تضع عملاً ما أنت وأبنك وابنتك ، وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابـك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء ، والأرض والبحر وكل ما فيها . واسـتراح في اليـوم السابع ؛ لذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه) [٣١٦]. حيث نرى تحريف اليهود في هـذا

---

(٣١٥) سفر التكوين : الإصحاح السابع عشر : ٩-١٤ .

(٣١٦) خروج : الإصحاح العشرون : ٨-١٠ .

النص حين جعلوا الله تعالى في صورة المخلوق الناقص الذي يصيبه التعب فيحتاج للراحة ، تعالى الله وتقدس عن كفرهم ، حيث قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (٣١٧) .والمسلمون يؤمنون أن أفضل أيام الأسبوع هو يوم الجمعة حيث قال النبي ﷺ (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أُدخل الجنة وفيه أُخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة) (٣١٨) . وكان يوم الجمعة بوصفه أفضل الأيام هو الذي كان يجب على أهل الكتاب تعظيمه ، لكنهم ضلوا عنه إلى يوم السبت بعد أن زعموا أن الله استراح فيه. فهدى الله تعالى أمة الإسلام لتعظيم يوم الجمعة . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٣١٩)، وقال النبي ﷺ: (نحن الأخيرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع: اليهود غداً ، والنصارى بعد غد) (٣٢٠). ومن الراجح أن إشارة يوحنا الدمشقي إلى أن المسلمين لا يحتفلون بيوم السبت هي التي لفتت انتباه بعض كتّاب الغرب في العصور الوسطى للحديث عن سبب تعظيم المسلمين ليوم الجمعة واخترعوا لذلك أسباباً ملفقة مبنية على خيالات جامحة (٣٢١).

خامساً : وعندما يخبر يوحنا الدمشقي قرائه النصارى أن المسلمين لا يُعمّدون فهو يحاكم المسلمين وفق عقيدته المحرفة الباطلة ويهدف بذلك إلى إظهار المسلمين بوصفهم مدانين وفق المنظور النصراني الضال . وأن مصيرهم هو العذاب الأبدي ، وذلك أن التعميد (التغطيس) من أهم

---

(٣١٧) ق : ٣٨ .

(٣١٨) صحيح مسلم بشرح النووي ج٦/ ص١٤١-١٤٢ .

(٣١٩) النحل : ١٢٤ .

(٣٢٠) صحيح البخاري (فتح الباري) حديث رقم (٨٧٦) ، ج٢/ ص٤١٢ ؛ صحيح مسلم ، بشرح النووي ج٦/ ص١٤٣-١٤٤ .

(٣٢١) انظر الكتاب الثالث .

قواعد دين النصارى، ويعتقدون أنه طريق النجاة والخلاص ، ويعتمدون في ذلك على بعض الآيات الواردة في أناجيلهم المحرفة ومنها مثلاً ما جاء في إنجيل مرقص (من آمـن واعتمـد خلَصَ . ومن لم يؤمن يُدَن) [٣٢٢] ويعلق انسلم تورميدا الذي كـان مـن كبـار علمـاء النصرانية واعتنق الإسلام في القرن الثامن الهجري وهاجر من أوروبا إلى تـونس وتسـميَّ باسم عبد الله الترجمان على هذا النص فيقول : (فمن أجل هذا النص ، يعتقد النصارى أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتغطيس . فيقال لهم : ما تقولون في إبراهيم ، وموسى ، وإسحاق ويعقوب، وجميع الأنبياء ، عليهم السلام ، هم في الجنة أم لا ؟ فلا بد أن يقولـوا : هـم في الجنة، فيقال لهم : كيف دخلوها ولم يتغطسوا ؟ وهم يجيبون عن هذا بأن الاختتان أجـزأهم عن التغطيس ، فيقال لهم : وما تقولون في آدم ونوح ، عليهما السلام ، وذريته لصـلبه ، فإنهم ما اختتنوا ولا تغطسوا قط وهم في الجنة بنص أنا جيلكم وإجماع علمائكم ، ولـيس لهم عن هذا جواب البتة. وأعلموا أن هذه القاعدة في التغطيس ممـا افتعلـوه مكـذوباً في أناجيلهم افتراء على الله ورسوله) [٣٢٣].

<u>سادساً :</u> أما زعم يوحنا الدمشقي أن النبي ﷺ أحل للمسلمين أن يأكلوا ما هو محرماً في شريعة أهل الكتاب ومنعهم من الأشياء التي سمحت بها تلك الشريعة . فهو زعم كاذب هـدف منـه يوحنا الدمشقي تشويه صورة المسلمين وتنفير قرائه النصارى منـهم بتصـويرهم وكـأنهم يقفون على النقيض تماماً من شريعة أهل الكتاب . قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [٣٢٤]. والله سبحانه وتعالى أحل لعبادة الطيبات وحـرّم

---

(٣٢٢) مرقس : الإصحاح السادس عشر : ١٦ .

(٣٢٣) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، ص٧٦ .

(٣٢٤) المائدة : ٥ .

عليهم الخبائث . وبهذا بعث رسوله محمد ﷺ . قال تعـالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [٣٢٥]، وجميع الطيبات كانت حلالاً لبني إسرائيل ما عدا بعض ما حُرِّم منها بسبب ظروف معينة . قال تعالى : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾ [٣٢٦]. وقال تعالى : ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴾ [٣٢٧]. ورغم ما حُرِّم على أهل الكتاب من طيبات فإنهم لا يزالـون يتفقون مع المسلمين في أكل كثير من الطيبات مثل الأغنام والأبقار والدجاج والأوز والبط وغيرها من الحيوانات الأليفة ويتفقون مع المسلمين في كثير من المحرمات مثل تحريم أكل لحم الخنزير والميتة والدم والسباع والطيور ذات المخالب والمنقار المعقوف التي تأكـل الجيـف والرمم[٣٢٨]. وهذا يكشف كذب يوحنا الدمشقي في زعمه أن محمداً ﷺ أحـل كـل مـا حرمته شريعة أهل الكتاب وحرَّم كل ما أحلته .

سابعاً : ويختم يوحنا الدمشقي فصله بالإشارة إلى أن محمداً ﷺ حرَّم الخمر تماماً . وهو هنـا يقـدِّم لقرائه النصارى معلومة صحيحة عن تحريم الخمر في الإسلام لكن التحريم نزل من الله تعالى وليس محمد ﷺ وهدف يوحنا الدمشقي من تقديم هذه المعلومة الصحيحة لقرائـه ، إثـارة النفور والكراهية في نفوسهم للإسلام الذي يحرِّم الخمر . فالخمر حلال في النصـرانية بـل يصل إلى درجة القداسة عند استخدامه في القربان . ذلك أن القربان المسمى بالعشاء الرباني الذي يتناوله النصارى وتلزم الكنائس رعاياها بتناوله مرة واحدة في العام علـى الأقـل . وتحثهم على الإكثار من تناوله . يتكون من فطيرة خبز وكأس خمـر يقـوم القسـيس في الكنيسة بقراءة بعض الكلمات على الفطيرة والخمر ثم يأكل النصـارى تلـك الفطـيرة

---

(٣٢٥) الأعراف : ١٥٧ .

(٣٢٦) آل عمران : ٩٣ .

(٣٢٧) النساء : ١٦٠ .

(٣٢٨) انظر: حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي ، أطواره ومذاهبه ، دمشـق ، بـيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥، ص١٩٧.

ويشربون ذلك الخمر من يد القسيس . ويعتقدون أن الفطيرة تحولت وصارت جسد المسيح وأن الخمر تحول فصار دمه . حتى لو انقسمت تلك الفطيرة وذلك الخمر إلى أجزاء لا حصر لها فإن كل قطعة من الفطيرة وكل نقطة من ذلك الخمر يصبح هو جسد المسيح ودمه يتناوله النصراني ويصبح جسده ودمه مقدساً كجسد ودم المسيح تماماً . والقربان المقدس والإيمان به هو من القواعد الأساسية في النصرانية (٣٢٩).

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن يوحنا الدمشقي وضع في فصله منهجاً خاصاً في تناول الإسلام يقوم على أساس التشويه والتلفيق والبغي والتفسير المغرض وسوء الفهم ، ومحاكمة الإسلام بموازين ومقاييس العقائد النصرانية الضَّالة الباطلة . لقد كان يوحنا الدمشقي هو بحق المؤسس والرائد لهذا المنهج الظالم الذي سار عليه الكثير من كُتَّاب الغرب طوال العصور الوسطى ومعظم المستشرقين في العصور الحديثة وأغلب كتَّاب الغرب ومفكريه وقادته إلى اليوم . ذلك أن كتاب ينبوع المعرفة ليوحنا الدمشقي الذي يشكل هذا الفصل أهم وأكبر فصول القسم الثاني منه . قد أصبح من أهم المصادر لعلماء الكنيسة في الشرق والغرب على حد سواء . حيث تُرجم إلى اللاتينية واعتمد عليه من كتاب الغرب بطرس اللمباردي Pedro Lombard وتوما الأكويني Thomas Aquinas وبدروالفونسو Pedro de Alfonso . ومتى الباريسي Mathew Paris وجاكيوس الفتري Jacques de Vittry . وجود فري أوف فيتربو Godfrey of Viterbo وغيرهم كثير . وقد شكّل هذا الفصل العمود الفقري ، والمادة الرئيسة لكل الهجمات الفكرية البيزنطية على الإسلام (٣٣٠).

وقبل أن نترك فصل يوحنا الدمشقي نشير إلى أن أحد الكتَّاب الغربيين المعاصرين الذين درسوا علاقة يوحنا الدمشقي بالإسلام لاسيما فصله عن (هرطقة الإسماعيلين) وهو الأستاذ

---

(٣٢٩) انظر المزيد من التفصيل عن القربان المقدس في كتاب تحفة الأريب ، ص٨٩-٩٢ .

(330) Sahas : op. cit . p. 129 ; Daniel: op.cit., pp.13-14, 111 , note 51 ; Kedar: op.cit, p.37 note 92, 39 .

فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج٢/ ص١١٦ = ويذكر Kedar في ص٤٠ أنّ فصل يوحنا الدمشقي (هرطقة الإسماعيلين) قد وصل إلى أوروبا في العصور الوسطى حيث تُرجم إلى اللاتينية في القرن السابع / الثالث عشر الميلادي .

دانيال، جي ، ساهاس . الأستاذ في جامعة واترلو. ختم دراسته بخلاصة ونتائج نهائية ومن أهم ما توصل إليه في تلك النتائج قوله : (فيما يتعلق بموقف يوحنا الدمشقي تجاه الإسلام المرء يمكن بصعوبة يكتشف في هذه الوثائق أي تشويه متعمَّد للحالة الإسلامية . كتاباته تنصف الإسلام ، بمعنى أنها تنقل صورة موثوقة عنه إلى المسيحيين الذي توجه إليهم يوحنا بنفسه في المقام الأول . هدفه الأول. هدفه كان أن يُعلِّم الجماعة المسيحية بدين وممارسات المسلمين الذين يتشاطرون معهم الحياة المشتركة ، على الأصح من أن يثير الكراهية) [٣٣١]. وفي ضوء دراستنا العلمية لفصل يوحنا الدمشقي وتحليله يمكن أن نقول عن هذه النتيجة النهائية التي توصل إليها الأستاذ دانيال جي ساهاس ما يلي :

<u>أولاً :</u> إذا كان دانيال جي .ساهاس يرى أن كتابة يوحنا الدمشقي في فصله عن الإسلام تنصف الإسلام ، وتنقل صورة موثوقة عنه إلى النصارى. فهذا لا يعني إلاّ شيئاً واحداً وهو أن هذا الكاتب الغربي المعاصر في جامعة واترلو قد ورث تلك العقيدة المشوهة والملفقة عن الإسلام، التي كان المؤسس الأول لها يوحنا الدمشقي . وهذا يثبت أن تلك الصور المشوهة والملفقة ، أصبحت عقيدة يتوارثها الكتَّاب والمؤرخون الغربيون جيلاً بعد جيل . بل وأصبحوا يتوارثون الكراهية والحقد والضغينة تجاه الإسلام لأنهم يعتبرون تلك الصور المشوهة والملفقة هي الصور الموثوقة عنه ولم يعد لهم مناص للتخلص من هذه العقيدة الموروثة .

<u>ثانياً :</u> أما قول هذا الكاتب أن هدف يوحنا الدمشقي كان أن يُعلِّم الجماعة المسيحية بدين وممارسات المسلمين على الأصح من أن يثير الكراهية . فهو قول مجانب للحقيقة من هذا الكاتب . فالهدف الحقيقي ليوحنا الدمشقي كان رسم صورة مشوهة وملفقة للإسلام في عقول النصارى وغرس بذور الكراهية في قلوبهم تجاه الإسلام ، خصوصاً الذين لا يتكلمون إلا باليونانية بغية تحصينهم والحيلولة بينهم وبين اعتناق الإسلام .

(331) Sahas , op.cit . p, 128 .

وإذا كنت قد وقفت أمام فصل يوحنا الدمشقي وقفات طويلة للتعليق عليه وتفنيده . فمـرد ذلك إلى أن هذا الفصل أصبح الأساس الأول الذي انطلق منه البيزنطيـون والكتَّـاب الغربيـون وغيرهم من الكتّاب النصارى في تشويه صورة الإسلام ونبيه محمدﷺ . ذلك أن يوحنـا الدمشـقي أصبح في نظر الكنيستين الشرقية والغربية قديساً[٣٣٢] . وأضحت أراؤه الزائفة عن الإسلام تؤخـذ من قبل النصارى وكأنها حقائق صادقة لا تقبل الجدل .

وليوحنا الدمشقي حوار بعنوان (مناقشة مسـلم ومسـيحي)[٣٣٣] Disputatio Saraceni et Christiani صاغة على هيئة حوار بين مسلم ونصراني . وإذا كان يوحنا الدمشقي في هـذا الحـوار يعبر بدقة على لسان النصراني عما يعتقده هو بوصفه عالماً لاهوتياً نصرانياً ، فإنه يقوم بتمثيـل دور المسلم ويقوم بالإجابة نيابة عنه. ومن عجب أنه جعل هذا المسلم المفترض منتمياً إلى طائفة الجبريـة ولا يعبِّر بدقة عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، كما يجعله يجيب على أساس المنظور الكتابي فيستدل بالكتاب المقدس . ورغم ما يظهره يوحنا على لسان المسلم من براعة في الحوار أحياناً فإنـه يجعـل النصراني متفوقاً في إجاباته ويتخلل الحوار توجيهات من يوحنا الدمشـقي للنصـارى في مناقشـة المسلمين . وينهي يوحنا الدمشقي الحوار بذهول المسلم ودهشته وعجزه التام عن مواصلة الحـوار مع النصراني .

ويدور الحوار حول موضوعين رئيسين : أحدهما عن مصدر الخير والشـر ، وحريـة الإرادة الإنسانية وعقيدة القضاء والقدر . والآخر عن المسيح ، والفرق بين الكلمة وكلام الله[٣٣٤].

ويشير أحد الباحثين المحدثين إلى أن يوحنا الدمشقي هدف من هذا الحوار أن يكـون تبريـراً للنصرانية، ومستنداً لهداية النصارى في مناقشة المسلمين [٣٣٥].

---

(٣٣٢) فيليب حتي : تاريخ سورية ، ج٢/ ص١١٦ .

(333) Sahas: op.cit. pp.143-155 .

وقد قمت بترجمة هذه المناقشة كاملة. ولا مجال لعرضها هنا لأنها أقرب ما تكون إلى الدعاية التنصيرية . وسوف أعرضها إن شـاء الله في كتاب كبير انتهيت تماماً من جمع مادته العلمية بعنوان (حركة التنصير في عصر الحروب الصليبية) وسأقوم بكتابته إن شـاء الله بعـد الانتهاء من طبع هذه الكتب إن شاء الله .

(334) Sahas : op.cit . p.99 .

(٣٣٥) فيليب حتي : تاريخ سورية ، ج٢/ص١١٦ .

ومن أمثلة ما أورده يوحنا في مناقشته حول الموضوع الأول : جواب النصراني على المسلم المفترض حيث قال : (.... هل الزنا والسرقة ، وهما شر ، مثلما أنت تقول، أن كلا الخير والشر من الله ؟ الله ، عندئذ ، سوف يثبت أنه ظالم .. لأنه إذا كان الله جَعَل ، مثلما تقول ، الزاني يقترف الزنا والسارق أن يسرق والقاتل أن يقتل ، فهؤلاء جديرون بالثناء لأنهم نفَّذوا مشيئة الله . وفي تلك القضية صاحب شريعتكم سوف يُثبت أنه كاذب وأن كتبكم مزيفة ، بسبب أنها تأمر أن الزاني والسارق يُجلدان ، مع أنهما نفَّذا مشيئة الله ، والقاتل يُقتل بينما يجب بالأحرى أن يُحترم لأنه نفَّذ مشيئة الله) (٣٣٦).

ومن أمثلة ما جاء حول الموضوع الآخر توجيهات من يوحنا الدمشقي للنصارى في مناقشة المسلمين حيث قال: (لو أنك سُئلت من طرف مسلم هذا السؤال : ما الذي تقوله عن المسيح ؟ قل له : كلمة الله . أنا لا أعتقد أنك تقترف الأثم بقول ذلك ؛ لأنه في الكتاب المقدس هو يدعى كلمة الله ، وحكمة الله، وقوة الله ، وسلطان الله ، وأخرى كثيرة مشابهة ، نظراً لأن له أسماء كثيرة.

وأيضاً تعود أنت بالسؤال إليه : ماذا يدعي المسيح في كتابك المقدس؟ حتى إذا أراد ، ربما ، المسلم أن يسألك عن شء آخر ، فلا تجبه حتى يفي بمطالب سؤالك . مع بعض الضغوط هو سوف يجيبك : في كتابي المقدس المسيح يُدعى روح الله وكلمة الله. وعندئذ قل له : هذا في كتابك المقدس، فماذا تقول في روح الله وكلمته أهما مخلوقتان أم غير مخلوقتين . ولو يُكره بالمفاجأة ، هو يقول لك إن الله خلقهما . فقل له :... بماذا خلقهما وهو لا يملك لا روح ولا كلمة ؟ وهو سيفر منك لا يلوي على شيء ليجيبك نظراً لأن هؤلاء المسلمين هراطقة) (٣٣٧).

وخلاصة القول : إن المتأمل في هذا الحوار يجد البذور الأولى لأفكار فرقة المعتزلة التي بدأت بالظهور في أواخر عصر يوحنا الدمشقي ، مما يشير إلى أثر أفكاره في ظهور آراء هذه الفرقة .

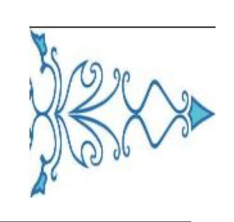
---

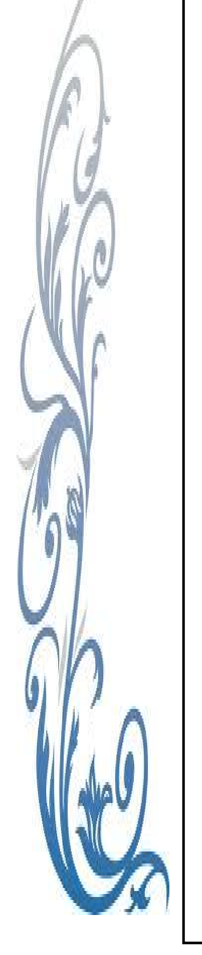
(336) Sahas : op.cit . p.143 .
(337) Sahas : op.cit . p.149.

وانظر تفنيدنا لرأي يوحنا الدمشقي فيما سبق ص ٧٧-٧٨ .

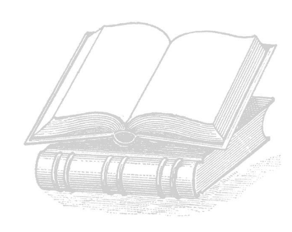


الملاحق





- الملحق الأول : تيودور أبو قرة
- الملحق الثاني : رسالة النصراني الشرقي
- الملحق الثالث : الدفاع السوري .
- الملحق الرابع : العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه عليه الصلاة والسلام .
- الملحق الخامس : نص فصل يوحنا الدمشقي باليونانية مع الترجمة الإنجليزية



الملحق الأول

تيودور أبو قرة

أما تيودور أبو قرة أسقف حرّان (١٠١-٢١٠هـ/٧٢٠-٨٢٥م) ، تلميذ يوحنا الدمشقي ومريده[٣٣٨] ، فإنه مجادل عدواني يكن للإسلام حقداً دفيناً وقد عبّر عن حقده على المسلمين بقوله: (إن من عادات المسلمين المنافقين أنهم في كل جلسة يلتقون فيها بمسيحي لا يرحبون به بل يلقـون على مسامعه هذه الشهادة : لا إله إلا الله محمد عبده ورسوله)[٣٣٩] . ولقد قرر أحـد البـاحثين المحدثين أن أباقرة (هو أول من احتج في الكلمة بحجتين لابد من الالتزام بأحدهما : إذا قلنـا بخلـق المسيح لزم أن يكون الله بقي زمناً دون كلمة وروح ولزم أن يكون القرآن الذي هـو كلمـة الله مخلوقاً)[٣٤٠]. ولكن الحقيقة أن يوحنا الدمشقي هو أول من قال بهذا القول وليس تلميذه ، ويتضح ذلك من فصله ومن الحوار الذي ابتدعه . ولم يكن أبوقرة سوى المردد لأقوال أسـتاذه والصـدى لآرائه المشوهة عن الإسلام . ويتجلّى ذلك في بعض المناقشات التي عملها الأسقف تيودور أبو قـرة على شكل حوار بين مسلم ومسيحي معتقداً أنه بذلك يفند دين المسلمين ويبرهن على عدم صـدق نبيهم محمد ﷺ . وجاء حواره على الشكل التالي : (المسلم : أخبرني أيها الأسقف . هل كان العـالم مليئاً بالأوثان قبل أن يدعو موسى إلى اليهودية ؟ .

أبو قرة : ذلك هو المطابق للوقائع .

المسلم : بعدما علّم موسى الناس كيف يمارسون اليهودية. أي جزء من العالم يبدو لك أنـه على الحق ، في دينه ، الذي اعتنق اليهودية ، أو الآخر الذي احتفظ بوثنيته يمارسها ولم يطع موسى؟

أبو قرة: الجزء الذي اعتنق اليهودية .

المسلم: بعدئذ، وبعد حقبة من الزمن جاء المسيح داعياً إلى المسيحية ، أي جزء يبدولك أنـه مستقيم ، في دينه ، الجزء الذي اعتنق المسيحية أو الآخر الذي ظل ثابتاً على اليهودية؟

---

(338) Sahas: op.cit. p.102

(339) Kedar : op.cit . p.35 .

(٣٤٠) فازلينف : العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، وراجعة فؤاد حسنين علي: ط. دار الفكر العربي، القاهرة ، بدون تاريخ ص٣٧٠ .

أبو قرة : الجزء الذي اعتنق المسيحية .

المسلم : بعد ذلك ، وبعد حقبة من الزمن ، جاء محمد داعياً إلى الهاجرية، أي جزء يبدو لك أنه مستقيم ، في دينه ، الجزء الذي اعتنق الهاجرية ، أو الآخر الذي ظل في المسيحية ولم يطع محمداً؟

أبو قرة: الجزء الذي ظل في المسيحية .

المسلم : أنت سحبت النتيجة إلى النهاية التي تتناقض مع الأسئلة السابقة .

أبو قرة : صحيح ، ألا يكون ضرورياً بالنسبة لي أن أضع خاتمة لعبارات زائفة؟ نظـــراً لأن محمداً لم يكن مثل موسى والمسيح ، اللذان أثبتا أنهما جديرين بأن يكونا مقبولين بسبب ما هما بشرا به وعلَّماه ، كذلك أن محمداً أيضاً يصدَّق بسبب تبشيره وتعاليمه ؛ لكن أنصت لما يجعل كل واحد منهم جديراً بأن يكون مقبولاً . عندما أُرسل موسى من قبل الله هو أجاب عليه: هنا ، أنـــا ســـوف أذهب وهم سوف يقولون لي : أنت لم تر الله ولم يرسلك ، فماذا سأفعل . والله قال له : مـــا هـــذه التي تحملها في يدك . وهو قال:عصا . والرب قال له : ألقها جانباً . وعندما ألقاها أصبحت أفعـــى، وعندما أمسكها مرة ثانية أصبحت عصا . عندئذ الله قال له : ضع يـــدك في جيبـــك . وبعـــد أن وضعها فيه وأخرجها أصيبت بالجذام ، وعندما وضعها ، فوراً، في جيبه وأخرجها مرة ثانيـــة هـــي كانت صحيحة . والرب قال له : إذا هم سوف لا يصدقون العلامة الأولى ، ولا الثانية ، حوِّل الماء إلى دم . هكذا ، موسى أُرسل وأنجز هذه المعجزات وكلماته أثبتت أنها موثوقة من خلال أعمالـــه . نعم أم لا ؟

المسلم: من غير ريب نعم .

أبو قرة : المسيح جاء مؤكداً بعثته من الله بنفسه وعن طريق وجود شاهد . ليس فقط بنبوءة موسى، بل عن طريق إثبات نفسه موثوقاً من خلال المعجزات والعلامات وأعمال عظيمة متنوعة .

المسلم : عن طريقة أية أشياء ؟

أبو قرة : عن طريق الحمل به بدون منيّ، أم بدون زوج . وولادته من عذراء ، وعن طريـــق التحويل للماء إلى خمر ، وأيضاً بعد كل هذا هو لم يكن مغموراً بل على الأصح جلياً تماماً في إعادة

الأبصار للناس العميان ، وتطهير المجذومين ، وتقوية المشلولين ، وإبراء الأسقام المتنوعة ، والتجلـي لأولوهيته على الجبل ، وطرد الشياطين ، والإطعام لآلاف كثيرة بأرغفة قليلة وسمك قليل، وإحيـاء الميت مثلما لو كان من النوم ... ما تقول عن هذا يا مسلم ؟ هل أثبت المسيح نفسه ثقة بواسـطة علامات أقل من تلك التي لموسى ؟

المسلم : أبداً .

أبو قرة : هذا هو المسيح الذي أُعلن مقدماً من جانب موسى، والذي أثبـت نفسـه ثقـة بواسطة تلك العلامات الكثيرة والهائلة ، في دعواه ، التي هو يأتي بها من الله يُعطي هـذه الضـمانة لحوارييه قائلاً : الشريعة والنبوات كانت حتى يوحنا المعمدان . الذي له آذان للسمع دعه يسمع . أين لذلك يقع نبيك ؟ ...)[٣٤١] .

وإذا تأملنا هذا الحوار الذي صاغه تيودور أبو قرة يمكن أن نلاحظ ما يلي :

أولاً : لم يستطع أبو قرة أن يخرج على المنهج والمضمون الذي وضعه أستاذه يوحنا الدمشقي فظـل ينسج على غراره ويكرر أقواله ، ويقلّده في منهجه .

ثانياً : في تمثيل أبي قرة لدور المسلم والتساؤل بالنيابة عنه ، انحدر أبو قرة إلى مستوى عجيب مـن السخف والسذاجة ، بحيث لم يستطع أن يتصور ما يحتمل أن يقوله أي مسلم، فلا يوجـد مسلم قرأ القرآن يمكن أن يقول : إن موسى عليه السلام دعا إلى اليهودية، والمسيح عليه السلام دعا إلى المسيحية ، لأن المسلمين يعتقدون جازمين أن دعوة الأنبياء جميعاً دعوة واحدة . وهي أنهـم جميعاً دعوا إلى الإسلام ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلـوص مـن الشـرك : قـال تعـالى : ؟﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[٣٤٢]. وقال : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن

---

(341) Sahas : op.cit . p.156-159.

(٣٤٢) النحل : ٣٦ .

بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [343]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [344]. وقد أخبر الله تعالى في القرآن أن دعوة الأنبياء واحدة فما من نبي أرسله الله تعالى إلا كـان أسـاس دعوته قوله : ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [345]. فاليهودية هي مجموعة من العقائد العقائد والشرائع والطقوس وقواعد السلوك والأخلاق ، تراكمت وتبلورت ونضجت على مدى آلاف من السنين [346].

أما المسيحية فهي في نظر المسلمين ديانة لا تمت بصلة مطلقاً لما جاء به المسيح عليه السلام بل هي ديانة من ابتداع رجال الدين النصارى ومجامعهم الدينية حيث تدعو إلى عبادة المسيح من دون الله بل وتزعم أنه الله . والمسلمون يعتقدون اعتقاداً جازماً أن المسيح عليه السلام دعا إلى الإسلام شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [347]. كما أن المسلمين يعتقدون بصدق أنَّ أتباع المسيح عليه السلام كانوا مسلمين. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [348]. كما أنه لا يوجد مسلم قط يقول إن محمداً ﷺ دعا إلى الهاجرية ، وهو ما وضعه أبو قرة على لسان المسلم الذي يقوم بتمثيل دوره في حواره البائس . فهذا الاسم أطلقه يوحنا الدمشقي على المسلمين في فصله وكرره بغباء تلميذه أبو قرة في حواره .

---

(٣٤٣) آل عمران : ١٩ .

(٣٤٤) آل عمران : ٨٥ .

(٣٤٥) الأعراف : ٥٩ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٨٤ ؛ هود : ٥٠ ، ٦١ .

(٣٤٦) حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي ، أطواره ومذاهبه ص٥ .

(٣٤٧) المائدة : ٧٢ .

(٣٤٨) المائدة : ١١١ .

ثالثاً : يتضح لنا أن الهدف الرئيس من حوار أبي قرة هو إنكار نبوة محمد ﷺ عـــن طريـــق الـــزعم الزائف أنه لا توجد معجزات وبراهين تثبت صدقه وقد فندنا هذا الزعم الباطل في مناقشتنا لفصل يوحنا الدمشقي[٣٤٩] . وفي دحض مثل هذا الزعم الباطل يقول ابـــن القـــيم : (إن الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبلـــه مـــن الرسل ، فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلا ولمحمد ﷺ مثلـــها أو مـــا هـــو في الدلالة مثلها وإن لم يكن من جنسها فآيات نبوته أعظم وأكبر وأبهر وأدل ، والعلم بنقلـــها قطعي ، لقرب العهد ، وكثرة النقلة، واختلاف أمصارهم وأعصارهم ، واستحالة تواطئهم على الكذب . فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره وبلده ، بحيـــث لا تمكـــن المكابرة في ذلك ، والمكابرة في غاية الوقاحة والبهت ، كالمكابرة في وجود ما يشاهده الناس ولم يشاهده هو من البلاد والأقاليم والأنهار . فإن جاز القدح في ذلك كلـــه ، فالقـــدح في وجود عيسى وموسى وآيات نبوتهما أجوز وأجوز ، وإن امتنع القدح فيهمـــا وفي آيـــات نبوتهما فامتناعه في محمد ﷺ وآيات نبوته أشد) [٣٥٠]. ليس هذا فحسب بـــل يمكـــن لنـــا القول : إن معجزات موسى وعيسى عليهما السلام انتهت بنهايتهم على هـــذه الأرض في حين أن معجزات محمد ﷺ كانت وما زالت وستظل تظهر حتى قيام الساعة ، فهـــو أخـــبر بأخبار كثيرة جداً تتعلق بالمستقبل عما سيحدث لأهل بيته وأصحابه وأمته وعلاقتهم بسائر الأمم الأخرى، وانتشار دينه شرقاً وغرباً وظهوره على سائر الأديان وتحققت كـــل تلـــك الأخبار على أرض الواقع التاريخي . كما أخبر بنار الحجاز التي ستظهر ، وظهـــرت ســـنة ٦٥٤هـــ وقتال المسلمين للترك التتر ووصفه لهم. وفتح القسطنطينية وتطاول الرعاة الحفاة في البنيان ، وظهور الأمراض المستعصية في الناس التي لم تكن معروفة في أســـلافهم عنـــدما تشيع الفاحشة بينهم. وظهور السمنة في الناس ، وغير ذلك من الأخبار الكثيرة كما أخـــبر

---

(٣٤٩) انظر قبل .

(٣٥٠) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص٣٤٩ .

بعلامات القيامة الصغرى التي ظهر الكثير منها . كما أخبر بكل علامات القيامة الكبرى التي ستظهر في المستقبل وقد صنف العلماء المسلمون كتباً كثيرة في دلائل نبوته ﷺ . وفي تلك الكتب الكثيرة من أخبار الفتن التي ستقع في المستقبل وغيرها من الأخبار . والتي ظهرت فعلاً بعد تأليف تلك الكتب وموت مؤلفيها .

وبناءً على ذلك فإنه لا يمكن إثبات معجزات موسى وعيسى عليهما السلام إلا من خلال الاعتراف بنبوة صاحب المعجزات الخالدة الباقية محمد ﷺ. وأعظم معجزاته القرآن الكريم الذي أخبر بمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام وشهد لهما .

رابعاً : ما جاء في حوار أبي قرة من أن المسيح أعطى الضمانة لحوارييه قائلاً : الشريعة والنبوات كانت حتى يوحنا المعمدان... ، فهو يشير إلى الآيات التالية : من إنجيل متى : (لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا . وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليَّا المزمع أن يأتي . من له أذان للسمع فليسمع) [٣٥١]. وإلى هذه الآية من إنجيل لوقا (كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا) [٣٥٢] حيث يبني النصارى على هذه الآيات أساس عقيدتهم الضالة الباطلة التي تقوم على قاعدة أن المسيح هو الله وأنه ظل يرسل الرسل والأنبياء للدعوة إليه وآخرهم يوحنا المعمدان (يحيى) وأخيراً تجسَّد الرب في صورة إنسان وجاء ودخل في أحشاء مريم ليكتسب الصفة البشرية وولدته ليبلِّغ البشر برسالته الأخيرة ، وأنه قُتل وصلب ليكفِّر عن خطايا البشر ويخلصهم الخلاص النهائي . ولهذا فإن اعتراف النصارى بنبوة محمد ﷺ ينسف العقيدة النصرانية من أساسها .

(٣٥١) متَّى : الإصحاح الحادي عشر : ١٣-١٥ .

(٣٥٢) لوقا : الإصحاح الحادي عشر : ١٦ .

الملحق الثاني

رسالة النصراني الشرقي

وتعرف في الغرب باسم الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي . وقد طبعت في لندن سنة ١٨٨٠م ، لمصلحة بعض البعثات التنصيرية تحت هذا العنوان : (رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام ، ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد عليه ويدعوه إلى النصرانية) وقد صيغت رسالة الهاشمي المزعومة بحيث يبدو قريباً للخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) ، بينما صيغ جواب عبد المسيح الكندي وكأنه يعمل في بلاط الخليفة نفسه. ومن الواضح أن كلا الأسمين مستعاران، وأن كاتب النصين عالم عربي نصراني عاش في العراق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

وهذه الرسالة أكبر وأسوأ وأشرس عمل عدواني فكري مُلفق وُجِّه إلى الإسلام من قبل نصراني على الإطلاق وهي التي أحدثت المشروع الكلوني الذي سوف تخصص له الكتاب الرابع – إن شاء الله تعالى – وبعد أن تُرجمت هذه الرسالة إلى اللاتينية سنة ٥٣٧هـ/١١٤٣م نالت في الغرب شعبية هائلة وشكلت العقيدة الغربية تجاه الإسلام وأصبحت بمثابة إنجيل المنصرين والمستشرقين والمصدر الرئيس لهجماتهم ومفترياتهم على الإسلام ونبيه محمد ﷺ حيث اعتبروها أفضل دفاع عن النصرانية وأقوى هجوم على الإسلام (٣٥٣).

---

(٣٥٣) وهي التي أحدثت المشروع الكلوني الذي أصبح أساس حركة الاستشراق !!

الملحق الثالث

الدفاع السوري

أما الدفاع السوري The Sgrian Apology فهو مقالة تهاجم الإسلام ونبيه محمد ﷺ بصورة تتصف بالسفه والهذر والحطة ، وتصفه بصفات معاكسة ومناقضة تماماً لصفاته ﷺ . ولم تُحفظ هذه المقالة في شكلها الأصلي مثل أعمال يوحنا الدمشقي . ورسالة النصراني الشرقي المنسوبة للكندي . ولا يعرف كاتبها . أما زمنه فمن المحقق أنه ظهر بعد القرن الرابع الهجري ، حيث اعتمد كثيراً على رسالة النصراني الشرقي المنسوبة للكندي ولا نعرف بالضبط هل كان كاتب هذه المقالة من النصارى الشرقيين أم أنه من الصليبيين في الدول الصليبية في بلاد الشام ، لكن يمكن أن نرجح أنه أحد الكتاب الصليبيين في تلك الدول الصليبية لأنه يكتب بمنظور غربي يختلف عن منظور النصارى الأصليين في بلاد الشام ، إضافة إلى أنه يكتب بروح موغلة في الكراهية المقيتة للإسلام ونبيه ﷺ ، وهي الروح التي تظهر جلية واضحة في كتابات الغربيين في العصور الوسطى .

وقد اعتمد على هذا الدفاع العديد من الكتاب الغربيين في أوروبا في العصور الوسطى في هجماتهم على الإسلام منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . وما بعده . وعن طريق تلك المقتطفات التي أوردها أولئك الكُتّاب يمكن أن نتعرف على بعض محتوياتها البذيئة . فهي في البداية تتحدث عن العرب في الجاهلية بوصفهم شعباً خشناً ساذجاً غير مثقف لم يحدث مطلقاً أن رأى نبياً فأصبح من السهل أن يضلّوا بواسطة بشر(٣٥٤). وعندما بدأ يتحدث كاتب المقالة عن النبي ﷺ قبل البعثة أخذ يخترع صوراً كاذبة ملفقة تقع على النقيض تماماً من سيرة النبي ﷺ فهو يزعم أن (ماهوميتوس Mahometus (هكذا يكتب اسم محمد ﷺ)(٣٥٥) كان ردئ السمعة بين العرب بسبب زنياته وأنه احتفظ بالحق أن يستعمل زوجات رجال آخرين لكي يلدن أنبياء وأولاد فضيلة) (٣٥٦) . ثم يزعم أن (ماهو ميتوس لجأ إلى خدعة دينية لتحقيق طموحه الدنيوي، فنهض عالياً

---

(354) Jacques de Vitry : Hiestoria Hieroslimitana Abbreviata in J. Bongars , Gesta Dei Per Francos, Vol 1 (Hanau , 1611) , p.VI.

(٣٥٥) انظر تعليقاتنا قبل ص١٧-١٩ .

(356) Vitry : op.cit . p.VI .

وبدأ يتبجح إلى أبعد حد حتى يحوز السيادة على جميع القبائل وعلى أمته ، فتجرأ وأدَّعى أنه ملك . وحتى يجعل أولئك الذين كانوا نبلاء وأقوى منه لا يقاومون ، هو علَّم أنه نبي مرسل من قبل الــرب الذي يقول: إن كل الناس يجب أن يؤمنوا به ، ثم إن ما هو ميتوس حصل على مســاعدين قليليــة واستخدم حيلة مزدوجة تقوم على الظلم والاضطهاد ليكسب مجموعة أنصار كبيرة، وعــن طريــق قصة النبوة وبواسطة العنف والقوة هو تمكن أن يؤسس له ملكاً بالمدينة) [٣٥٧]. ويزعم هذا الدفاع أن ما هوميتوس تعلّم من نسطورس [٣٥٨]. كما قدّم هذا الدفاع قائمة ببعض المعجزات الحسية للنبي ﷺ مثل الذئب الذي كلّم الراعي يخبره بأمر النبي ﷺ ، والشجيرات التي سترت النبي بورقها عندما كان يقضي حاجته وانشقاق القمر ، والذراع المسموم الذي أخبر النبي ﷺ أنه مسموم وغير ذلــك وقد قدّم الدفاع السوري تلك المعجزات بطريقة ساخرة ليستخدمها النصارى في الســخرية مــن المسلمين ، زاعماً أن المسلمين ينسبوها للنبي ﷺ بينما هو كان قد تبرأ منها سلفاً في القــرآن [٣٥٩]. ويتجاهل كاتب هذا المقال أن منهج السخرية من معجزات النبي محمد ﷺ يمكن أن يســتخدمه أي ملحد في السخرية من معجزات موسى وعيسى عليهما السلام .

وإذا تأملنا محتويات هذا الدفاع نجده قد اقتبس معظم مادته من رسالة النصــراني الشــرقي المنسوبة لعبد المسيح الكندي .

وهناك مؤلفات عديدة لبعض النصارى الشرقيين مثل حنين بن إسحاق ، ورســالة أســقف صيدا المكاني بولس الراهب التي فندها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الرائع ، الجواب الصــحيح لمن بدل دين المسيح . لكن هذه المؤلفات تدافع فقط عن النصرانية ، ولم يكن لهــا دور يــذكر في تشويه صورة الإسلام في الغرب .

---

(357) Ibis: p.V .

(358) Ibid: p. VII .

ونسطورس هو الذي تنسب إليه طائفة النسطورية النصرانية وقد ظهر في أواخر القرن الرابع الميلادي ومات في النصف الأول من القــرن الخامس الميلادي ، أي قبل مولد النبي ﷺ بنحو مائة وخمسين سنة !!! .

(359) Daniel , Norman : Islam and the West, pp. 94-95 .

الملحق الرابع

العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده...وبعد:

قد يظن كثير من المسلمين أن العدوان الغربي على الإسلام وتشويه صورة الرسول محمد ﷺ واختراع صور بشعة ومعاكسة لحقيقة دين الإسلام ونبيه من طرف وسائل الإعلام في الغرب لا سيما في أميركا من جانب رؤساء بعض الكنائس الإنجيلية أمر جديد حدث بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م وقيام الحرب الصليبية المقنعة الجديدة التي تقودها الولايات المتحدة ضد الإسلام والمسلمين تحت قناع " الحرب على الإرهاب وإزالة أسلحة الدمار الشامل " .

والحق أن هذا العدوان الإعلامي الشرس وتصوير الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام في صور مغايرة بالغة البشاعة ومعاكسة تماماً ، ليست جديدة ، بل هي : عقيدة غربية موروثة تشكلت ونمت خلال ثمانية قرون منذ القرن الأول وحتى نهاية القرن الثامن الهجري .

وانتقلت هذه العقيدة كاملة متماسكة عبر القرون لتصل إلى القرون الحديثة والمعاصرة . وأصبحت أشبه بالمستنقع الآسن العَفِن الذي تغرف منه وسائل الإعلام الغربية وبعض رجال الدين الإنجيليين في أميركا ، وينشرونها عبر وسائلهم المختلفة .

وقبل أن نلقي نظرة موجزة جداَ على تاريخ تلك العقيدة الغربية القائمة على أساس التلفيق والاختراع لتصوير الإسلام في أشكال مشوهة وبشعة ، نعرض لمقتطفات من أقوال بعض رجال الدين الإنجيليين في أميركا عن الإسلام ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام ليتضح لكل صاحب فكر خصيب مدى اعتناق هؤلاء لتلك العقيدة الموروثة التي لفقها أسلافهم خلال العصور الوسطى في أوربا .

<u>١- جيري فالويل Jerry Falwell :</u> وهو قسيس أنجيلي معروف له برنامج إذاعي وتلفزيوني يصل إلى أكثر من عشرة ملايين أسبوعياً وله جامعة أصولية خاصة تسمى جامعة الحرية Liberty University وهو الذي يروج في موقعه على الإنترنت www.Falwell.com لكتابه " فلنتقدم إلى

معركة هرمجدون " March to Armgeddon وهي معركة نهاية التـــاريخ كمـــا في معتقـــدات الأنجيليين . وفي الصفحة الأولى من موقعه على الإنترنت يضع تاريخاً ملفقاً عـــن الـــنبي ﷺ؛ مستمد بكامله من كتابات بعض الرهبان الأوربيين في العصور الوسطى . ويهـــاجم فالويـــل النبي ؛ من خلال بعض وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى . ومما قاله فالويل مساء يوم الأحـــد ٦ أكتوبر ٢٠٠٢م في برنامج ٦٠ دقية (٦٠ Minuts) مانصه : " أنا اعتقد أن محمداً كـــان إرهابياً ، لقد قرأت ما يكفي من المسلمين وغير المســـلمين أنـــه رجـــل عنـــف ، ورجـــل حروب..... في اعتقادي المسيح وضع مثالاً للحب كما فعل موسى ، وأنا اعتقد أن محمـــداً وضع مثالاً عكسياً " .

<u>٢- بات روبرتسون Pat Robertson :</u> وهو قسّيس إنجيلي معروف باهتماماته السياسية وتأييـــده المعلن لإسرئيل ، ويمتلك عدداً من المؤسســـات الإعلاميـــة مـــن بينـــها نـــادي ال ٧٠٠ (Club٧٠٠) وهو برنامج تلفزيوني يصل إلى عشرات الملايين في الولايات المتحدة الأمريكيـــة إضافة إلى محطة فضائية تصل إلى ٩٠ دولة في العالم بأكثر من ٥٠٠ لغة مختلفة وهـــي محطـــة (البث النصراني Christian Broadcasting) ومنها إذاعة الشرق الأوسط المتخصصة في التنصير في منطقة العالم العربي .

كما سعى بات روبرتسون إلى الترشيح لمنصب الرئيس الأمريكي في عـــام ١٩٨٨م ، ويقف خلف أقوى تحالف سياسي ديني في الحزب الجمهوري وهو (التحـــالف النصـــراني) (Christias Coalition) وموقعه الإلكتروني هو www.patrobertson ويملك أيضاً جامعة أصولية هي جامعة ريجنت Reqent University وفي هجومه على النبي ﷺ من خلال برنـــامج هـــانتي وكولمز Hannity and Colmess في قناة فوكس الإخبارية Fox Newss قال مايلي: " كـــل مـــا عليك هو أن تقرأ ما كتبه محمد في القرآن ، إنه كان يدعو قومه إلى قتل المشـــركين... إنـــه رجل متعصب إلى أقصى حد ..إنه كان لصاً وقاطع طريق .. « إن ما يدعو إليه هذا الرجـــل [محمد] في رأيي الشخصي ليس إلا خديعة وحيلة ضخمة " " إن ٨٠% من القـــرآن مـــن

النصوص النصرانية واليهودية . ولقد ذكر موسى أكثر من ٥٠٠ مرة في القرآن . أنا أقــول إن هذا القرآن ماهو إلا سرقة من المعتقدات اليهودية .. ثم استدار محمد بعد ذلــك ليقتــل اليهود والنصارى في المدينة . أنا أقصد .. أن هذا الرجل [محمد] كــان قــاتلاً [ســافك للدماء] " وسنثبت بعد قليل أن هذا القسّيس بات روبرتسون هو اللص والســارق عنــدما نورد أقوال الرهبان المتعصبين في العصور الوسطى ليتبين للقارئ الكريم مدى تطابق أقــوال هذا المأفون مع أقوال عصر الظلمات في أوربا في العصور الوسطى ونقله لأقوالهم وأفكارهم .

٣- فرانكلين جراهام Franklin Graham : وهو أبن القسيس الأمريكي بيلي جراهام . وقد عمل والده قسيساً خاصاً للرؤساء الأمريكيين منذ عهد ريتشــارد نيكســون ، وحــتى الــرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون . ويتولى ابنه فرانكلين جراهام الآن نفس المهمة بعــد تقاعــد الأب ، وقام بعمل الطقوس الدينية لتنصيب الرئيس الأمريكي جورج دبليوبــوش . ويتــولى جميع مسئوليات الكنيسة التي أنشأها أبوه والتي تعد من أكبر الكنــائس الأمريكيــة عــدداً وتأثيراً، وقامت خلال السنوات الماضية بأكثر من ٤٥٠ حملة تنصير في جميع أنحــاء العــالم. وموقعه على الانترنت هو www.samaritan.org. وقد أدلى فــرانكلين جراهــام بتصــريحات إعلامية قال فيها إن الإرهاب جزء من التيار العام للإسلام ، وأن القرآن (يحض على العنف) وكرر جراهام خلال برنامج (هايني وكولمز) المذاع على قناة فوكس نيــوز الأمريكيــة في الخامس من أغسطس ٢٠٠٢م رفضه الاعتذار عن تصريحات أدلى بها بعد حوادث ســبتمبر ٢٠٠١م وصف فيها الإسلام بأنه دين (شرير) وفي كتاب جديد لفرانكلين جراهام يســمى (الاسم) The name ، يحتوي على نصوص تتسم بالسفه والحطة بهدف الإساءة إلى الإســلام ومنها ما يلي : في الصفحة رقم ٧١ يقول: "الإسلام .. أسّسَ بواسطة فرد بشــري مقاتــل يسمى محمد، وفي تعاليمه ترى تكتيك (نشر الإسلام من خلال التوسع العسكري) ، ومــن خلال العنف إذا كان ضرورياً ، من الواضح أن هدف الإسلام النهائي هو الســيطرة علــى

العالم " ويقول في الصفحة ٧٢ من كتابه إن " القرآن يحتوي على قصص أُخذت وحُرّفت عن العهدين القديم والجديد .. لم يكن للقرآن التأثير الواسع على الثقافتين الغربيـة والمتحضـرة الذي كان للأنجيل . الاختلاف رقم واحد بين الإسلام والمسيحية أن إله الإسلام لـيس إلـه الديانة المسيحية " .

٤- جيري فاينز Jerry Vines : وهو راعي كنيسة في جاكسون فيل في فلوريدا ، يصل عددأتباعها إلى ٢٥ ألف شخص ،وهو من أبرز المتحدثين الأمـريكيين في المـؤتمر السـنوي للكنائس المعمدانية الجنوبية ، وهو أكبر مؤتمر ديني يعقد كل عام . وقـام الـرئيس الحـالي والرئيس السابق بمدح هذا القسيس واعتباره من المتحدثين بصدق عن دينهم وموقعـه علـى الانترنت www.fbcjax.com . وقد أدلى جيري فايتز بتصريحات تتصف بالقذارة والسفه مليئة بالكراهية والحقد على الإسلام خلال الاجتماع السنوي للكنيسة المعمدانية الجنوبية ، والذي عُقد مؤخراً في مدينة سانت لويس بولاية ميسوري الأمريكية .

وخلال الاجتماع أفترى جيري فايتز على الرسول ﷺ واقمه زوراً و بمتاناً بأنه" شاذ يميـل للأطفال ويتملكه الشيطان، وتزوج من ١٢ زوجه آخرهن طفلة عمرها تسع سـنوات" وأضـاف فايتز أن" الله [الذي يؤمن به المسلمون] ليس الرب الذي يؤمن به المسيحيون". هذه الصور الملفقـة المشوهة هي عقيدة دينية غربية موروثة ضمن عقائد المجتمع الغربي النصراني، أصـبحت راسـخة في العقل الجمعي الغربي منذ نهاية القرن الثامن الهجري. وكانت هي المصـدر الـرئيس للمستشـرقين والمنصرين المتعصبين في العصور الحديثة وهي التي نراها الآن ونسمع بها.

ويمكن أن نوجز مصادر تلك العقيدة الموروثة في أربعة مصادر رئيسية هي :-

١- ما كتبه النصارى الشرقيون وأشهرهم : يوحنا الدمشقي وتلميذه أبو قره ويوحنا النقيوسـي ، ويحيى بن عدي ، ومؤلف مجهول لمقالة تسمى الدفاع السرياني .

٢- ما كتبه الكتّاب البيزنطيون (الروم) وعلى رأسهم : ثيوفانس المعترف ، ونيقتاس البيزنطـي ، وجرمانوس ، وغيرهم .

٣- المصادر الأسبانية : وعلى رأسهم المقالة الأسبانية عن محمد عليه الصلاة والسلام وماكتبه ايزدور الأشبيلي ، وأولوخيو ، وبول الفارو ، وغيرهم .

٤- ما كتبه ولفقه واخترعه الكتاب الغربيون حتى نهاية القرن الثامن الهجري .

ويأتي على رأس تلك الكتابات : المشروع الكلوني . وهو أول وأكبر مشروع استشراقي هدف بالدرجة الأولى إلى تفنيذ الإسلام . وكتاب لمؤلف مجهول يسمى : الدحض الرباعي ، وكتاب آخر لمؤلف مجهول يسمى (المتناقضات) وما كتبه كل من : بدرودي الفونسو ، وسان بدرو باسكوال ، وريكولدو دي مونت كروسي ، ورامون مارتي ، وريموندلول ، ووليم الطرابلسي ، ووليم الصوري ، ووليم آدم ، وجاكيوس دي فتري ، وهامبرت الروماني ، وفيد يترو أوف بافيا ، وغيرهم كثير .

ولا مجال هنا لعرض كل ما كتبته تلك المصادر الأربعة الرئيسة عن الإسلام ، فالمادة العلمية التي جمعناها عن كل مصدر تغطي مجلداً كاملاً . وسوف نعرض مجرد نماذج مختصرة لبعض تلك الكتابات حتى نرى كيف تشكلت وتكونت تلك العقيدة الغربية الموروثة عن الإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ.

من النصارى الشرقيين يوحنا الدمشقي (٤٠ - ١٣١هـ / ٦٦٠ - ٧٥٠ م) وهو من نصارى الشام ، وُلدَ وعاش في العصر الأموي ، وتضلع في اللاهوت ، وكتب كتباً كثيرة ، ومن ضمنها قسم من كتاب كتبه باليونانية بعنوان الهرطقات. وأفرد فيه فصلاً عن الإسلام أطلق عليه اسم (هرطقة الأسماعيليين) ويقصد بالإسماعيلين العرب من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . وهذا الفصل شديد الطعن ، اتهم فيه يوحنا العرب بالهرطقه والضلال والخرافة ، واعتبرهم فرقة نصرانية متهرطقة، وزعم أن محمداً ﷺ كان رسولاً زائفاً ادَّعى النبوة زمن الامبراطور هرقل ، بعد أن قرأ العهد القديم والعهد الجديد وتعلّم من راهب أريوسي فتظاهر بالتقوى حتى استمال العرب إليه وأخبرهم أنه تلقى كتاباً من السماء ، وقدّم فيه تلك الشرائع المضحكة - على حد قوله - التي تسمى بالإسلام . ومن التلفيقات التي وضعها يوحنا في فصله هذا لتشويه صورة النبي ﷺ المفتريات

التي كتبها عن زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها ... إلى آخر القصة التي تسربت إلى بعض كتب التفسير ، وأدرك ابن كثير زيفها فأعرض عن ذكرها في تفسيره وأشار إلى أنها ملفقةً لا تصح .

وكان هدف يوحنا الدمشقي من ذلك التشويه تحصين النصارى من أهل الذمة والحيلولة بينهم في بلاد الشام وبين اعتناق الإسلام حين رأى تسامح المسلمين مع أهل الذمة، ودخول كثير من النصارى في الإسلام فلم يجد وسيلة لتثبيت النصارى على دينهم سوى اتهام الإسلام بالهرطقة وتشويه سيرة النبي ﷺ ، لتكون صورته في نظر النصارى صورة كريهة حتى لا يقبلوا على اعتناق الإسلام . وقد انتشر هذا الكتاب في بلاد الدولة البيزنطية (دولة الروم) واستخدمه الكتّاب البيزنطيون في هجماتهم الفكرية على الإسلام ثم تُرجم إلى اللاتينية وأسهم في صياغة العقيدة الغربية تجاه الإسلام و المسلمين طوال العصور الوسطى وحتى العصر الحاضر .

ومن الكُتّاب البيزنطيين نيقتاس البيزنطي الذي عاش في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. وكتب كتاباً زعم أنه دحضٌ للقرآن الكريم ، ذلك أن الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث (٢٢٧ – ٢٥٤ / ٨٤٢ – ٨٦٧) تلقى مقالتين من بعض العلماء المسلمين تفندان مزاعم النصارى بأن لله جل وعلا ابن يشاركه في أسمائه وصفاته ، وبطلان مقولة الأقانيم الثلاثة . فكلَّفَ الامبراطور نيقتاس بالرد عليهما فقام نيقتاس بتأليف رده الذي وصفه بأنه (دحض لكتاب محمد المزوَّر) . ولم يكن نيقتاس متضلعاً في اللغة العربية ، فقام حسب زعمه بالإطلاع على القرآن ، وقام باستعراض سوره من سورة البقرة إلى سورة الكهف ، وكل سورة يسميها الأسطورة المحمدية رقم كذا – مثلما هو رقمها في القرآن – ثم يذكر أسمها . وأصدر حكمه الباطل بأن القرآن يصوّر الله – جل وعلا – على شكل كروي كامل ، أو على شكل مطرقة معدنية مطروقة في السماء . ويبدو أن نيقتاس اقتبس هذا الزعم من المقالة الأسبانية التي سأشير إليها بعد قليل . ثم أخذ يسخر من المسلمين على مناصرتهم لهذا التصور المادي – بزعمه – ، وقال بأن محمداً ﷺ قاد المسلمين ليعبدوا في مكة وثناً مصنوعاً على غرار أفروديت – معبودة الحب والجمال عند الأغريق – وأنه جعل

الشيطان رباً للخلق ،وظل يؤكد على أن دين محمد ﷺ دين وثني وأن اتباعه مجرد جماعة من الوثنيين. وكان في كل سورة يتحدث عنها يوجه السب والشتم إلى النبي ﷺ – زاعماً – أنه هو الذي وضع القرآن وشحنه بالأساطير ، وأنه أمر اتباعه بقتل من يجعل شريكاً في جانب الله ، ولذلك وقع معظم ذلك القتل على النصارى الذين يعبدون المسيح ابن الله – بزعمه – وأخذ نيقتاس يحاول تفنيد بعض نصوص القرآن وقصصه عن طريق مقارنتها بنصوص العهدين القديم والجديد . ويبدو في هذا متأثراً برأي يوحنا الدمشقي ، فزعم على سبيل المثال أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يصل إلى مكة ولم يبن الكعبة ، لأن سفر التكوين لم يذكر ذلك . كما حاول نيقتاس أن يستدل على عقيدة الثالوث ببعض آيات القرآن بتأويلها حسب عقيدته . واختتم حديثه بالتأكيد على أن الذي يعبده محمد ﷺ ويدعو إلى عبادته إنما هو الشيطان نفسه . والحق أن كل أراء نيقتاس لا تتعدى هذا الهذيان. وقد أوردناها لنرى الأثر الذي أسهمت به في صياغة العقيدة الغربية تجاه الإسلام والمسلمين خلال العصور الوسطى وإلى الآن .

وقد كان لبعض أراء نيقتاس الزائفة أثرها في الدولة البيزنطية حتى أن أحد رجال الدين ألف رسالة في زمن الامبراطور مانويل كومنين (٥٤٩-٥٨٥هـ/ ١١٤٣-١١٨٠م) يشجب فيها الدين الإسلامي وفيها يلعن مصنفها (الرب الذي يعبده محمد ﷺ) وقدَّم تلك الرسالة للإمبراطور الذي أراد شطب هذه العبارة المقيته محتجاً بأن الرب الذي يعبده محمد ﷺ إنما هو الأب الذي يعبده النصارى فأصَّر رجال الدين على أن الذي يعبده محمد ﷺ إنما هو إله غير إله المسيحيين .

وهذا يوضح إلى أي مدى بقيت هذه العقيدة الزائفة حية حتى اعتنقها وقال بها فرانكلين جراهام وجيري فايتز كما ذكرنا آنفاً .

ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي أصبح في مقدور رجال الدين في الغرب الأوروبي الإطلاع على تلك الصور المشوهة حين ترجم أمين مكتبة البلاط البابوي أنستاسيوس بعض تلك الكتابات ، الشرقية والبيزنطية إلى اللاتينية وأدمجها في حولياته التاريخية .

وفي أواخر القرن الثاني الهجري / أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع الميلادي ظهرت مقالة في أسبانيا في أحد الأديرة الشمالية ، وهي عبارة عن نص هجومي بذئ على النبي ﷺ عُرفت باسم المقالة الأسبانية عن محمد ﷺ ولا يُعرف كاتبها ، ويرجح ناشرها دياز أنها من عمل أحد النصارى المستعربين . وهذه المقالة تصوِّر النبي ﷺ بصورة مجافية للذوق ومعاكسة لصفاته ، فتزعم – زوراً وبهتاناً ـــ أنه كان كاذباً مبتدعاً شهوانياً ، وأنه دعا عربه المتوحشين إلى أن يتخلوا عن الوثنية ، وأن يعبدوا إلها مادياً في السماء على شكل كرة مادية ، وتزعم هذه المقالة الزائفة أن إبليس ظهر لمحمد ﷺ مدعياً أنه الملك جبريل ،وأخبره أن الرب أرسله ليبشر العرب بما كان قد سمعه في مدارس المسيحيين ويدعوهم إلى عبادة ذلك الإله المادي في السماء وهجر عبادة الأوثان . وتزعم المقالة البذيئة أن محمداً ﷺ عندما مات تعفنت جثته فقامت الكلاب والخنازير بالتهام الجثة العفنة .

وقد نجم عن هذه المقالة المنحطة أن تشبع بها بعض الرهبان فظهرت حركة في قرطبة في منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، يقوم أفرادها بسب النبي ﷺ علناً فيؤخذ أفرادها إلى القاضي فيكررون السب والشتم للنبي ﷺ، الأمر الذي أدى إلى إصدار حكم الإعدام على عدد منهم ، تذكر المصادر الأسبانية أن عددهم يبلغ زهاء ٥٠ شخصاً ، وسمَّت تلك المصادر تلك الحركة بحركة الاستشهاد في قرطبة وبدأت تلك الحركة براهب يُدعى بيرفكتوس الذي ذهب إلى السوق فسأله بعض عامة المسلمين عن رأي النصارى في المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام فرد قائلاً بألوهية المسيح ووصف محمداً ﷺ بتلك الصفات الواردة في المقالة الأسبانية ، فقبضوا عليه وأخذوه إلى القاضي فأصر على موقفه فصدر الحكم بقتله . وقد سار على منواله عدد من الرهبان ، منهم بول الفارو، وأولوخيو أسقف طليطلة الأسمي . وأولوخيو كتب رواية عن هذه الحركة وسبّ النبي ﷺ فحُكمَ عليه بالأعدام سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩ م . وبول الفارو هو الذي كتب سيرة أولوخيو بعد مقتله . والاثنان اعتقدا بأن ظهور الإسلام وانتشاره إنما هو الإعداد النهائي لظهور المسيح الدجال ، أو هو الدجال نفسه . ومما أورده أولوخيو في روايته لتلك الحركة أن ثلاثة من الرهبان الأسبان هم جورجيوس، وأورليوس ، وناثاليا كتبا نصاً عن الأم المسيح. وقد احتوى النص

على هجوم متعصب حاقد على الإسلام ونبي الإسلام ﷺ فوصف الإسلام بأنه " العقيدة الضالة ، وخدعة الشيطان الماكرة وأن الإسماعيليين [أي العرب أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام] يُجِّلون نبيّاً كاذباً ، صدَّقوا أنه من خلاله يكون طريق الخلاص ، وأن نبي المسلمين إنما هو ــ بزعمهم ــ غادر بطبعه ومؤمن بأبليس ، وهو وكيل المسيح الدجال ، والمستنقع لكل الرذائل ، والذي سوف يُلقى به في جهنم ، ومن خلال تعاليمه العقيمة كتب على أتباعه عذاب النار السرمدي ، وأن الذي تراءى له في هيئة ملاك إنما هو الشيطان " . ولا شك أن هذه الحركة الحاقدة المتعصبة في قرطبة وما صاحبها من كتابات الرهبان المقيته قد أسهمت بدور كبير في صياغة العقيدة الغربية تجاه الإسلام والمسلمين في أوروبا طوال العصور الوسطى وإلى اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا .

أما المشروع الكلوني :

فهو الذي أعدَّ كل المواد اللازمة لغرس تلك العقيدة الباطلة في العقل الغربي وأحكم معظم جوانبها لتستمر قائمة إلى العصر الحاضر .

وهذا المشروع الذي يعتبره بعض الباحثين الغربيين بأنه : المشروع الغربي العالمي الأول لدراسة الإسلام ، إنما هو في حقيقته المشروع الغربي الأكبر لتشويه صورة الإسلام ، الذي حدث سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٣م .

ويُنسب هذا المشروع إلى ديركلوني في جنوب فرنسا الذي تأسس سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م ومنه انبثقت حركة لإصلاح الحياة الرهبانية عُرفت في التاريخ الأوربي بأسم (حركة الإصلاح الكلونية) التي لم تلبث أن أسهمت في تقوية الجهاز الكنسي في الغرب الأوربي ونال ديركلوني منزلة الحصانة تحت الحماية المباشرة للبابا في روما ، والحق المطلق في أن ينشئ أديرة أخرى تابعة لــهُ ، وخلال القرنين التاليين من تأسيسه نال ديركلوني تأثيراً كبيراً وثروة ضخمة ، وأصبح في الواقع عاصمة للإمبراطورية الديرية حيث يتبعه أكثر من ستمائة دير ، وعشرات الآلاف من الرهبان في كل مكان من العالم الغربي النصراني . وأصبح رهبان ديركلوني بابوات وكرادلة وكثير من رؤسائه

كانوا مستشارين للاباطرة والملوك . ومن أشهر رهبان ديركلوني الذين وصلوا إلى منصب البابوية ، البابا جريجوري السابع ، وتلميذه البابا أوربان الثاني الذي أطلق الحروب الصليبية ضد المسلمين .

وفي سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢هـ تم اختيار رئيس جديد لديركلوني هو الراهب بيير موريس دي مونتبوسيير، الذي أطلق عليه معاصروه لقب بطرس المكّرم . وقد أمضى سنواته الأولى في تدعيم سلطة الدير ومكانته . وفي سنة ٥٣٦ هـ/ ١١٤٢م قام برحلة إلى شمال الأندلس لزيارة الأديرة الكلونية في تلك البلاد . وهناك علم من بعض المترجمين بوجود رسالة لنصراني شرقي تدافع عن النصرانية وتهاجم الإسلام مكتوبة باللغة العربية ، وعرف منهم مضمونها ، فقرر القيام بمشروع ترجمتها وترجمة القرآن الكريم وبعض المصنفات الأخرى إلى اللاتينية بهدف دحض الإسلام والرد عليه .

عاد بطرس المكّرم إلى ديركلوني في فرنسا بعد أن اتفق مع خمسة مترجمين للقيام بالعمل لديه وبيّن لهم أهدافه من المشروع وأجزل لهم العطاء لتنفيذه .ونقدم الآن لمحة مختصرة جداً عن أخطر ترجمتين في المشروع والأثر الذي أحدثته في صياغة تلك العقيدة الغربية عن الإسلام ونبي الإسلامﷺ.

١- ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية . وهي احدى الترجمات الخمس التي أصبحت تُعرف في أوربا بإسم المجموعة الطليطلية . وقام بهذه الترجمة مترجم انجليزي يسمى روبرت أوف كيتون كان قد استقر في برشلونة في الأندلس منذ سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م وأتقن العربية واهتم بالمؤلفات العربية في علم الفلك والهندسة وقد عَلِمَ روبرت أوف كيتون من بطرس المكرم أن هدفه تعريف الغرب النصراني بالإسلام الذي يعتبره هرطقة من الهرطقات الكبرى التي هددت النصرانية وهي القاعدة التي وضعها يوحنا الدمشقي ، وأن بطرس المكرم ينوي الرد على الإسلام ، لذلك قام روبرت أوف كيتون بترجمة خاطئة مغرضة لمعاني القرآن الكريم، كان لها تأثير سئ في صياغة تلك العقيدة الغربية الحاقدة تجاه الإسلام ونبيه محمد ﷺ.

وتتضح أهداف روبرت أوف كيتون المبنية على أهداف بطرس المكرم من ما جـــاء في مقدمته لتلك الترجمة ، حيث صدَّرها بمقدمة طنّانه سمّاها (تمهيد عن الخرافة الإسلامية المسماة بالقرآن) ومما قاله في مقدمته :" .... أنا كشفت عن شريعة محمد بيديّ وجلبتها إلى خزينـــة اللغة الرومانية ، الأمر الذي سوف يساعد رسالة المسيح المخلّص على الانتشـــار وتخلـــيص الجنس البشري من هذا الإثم – الإسلام – ... ذلك أن دكاترة الكنيسة أهملوا تلك الهرطقه الكبرى – يقصد الإسلام – لتصل وتصعد إلى شيء ضخم جداً ومفرط لمدة خمسمائة وســـبع وثلاثين سنة ، لأنها مهلكة وضارة ، بسبب أن الزهرة من تلك العقيدة المتعصـــبة الفاســـدة ، مجرد غطاء فوق عقرب ، تحول دون أن تلفت الانتباه إليه ، وتُحطِّم بالخداع قـــانون الـــدين المسيحي.." إلى أن يقول مخاطباً بطرس المكرَّم :" ولذلك قمت بالعمل معك لمـــا علمـــت أن نفسك مجتهدة في سبيل كل شيء صالح ، وأنك تتوق إلى ردم المستنقع غير الخصب للعقيدة الإسلامية.. لذلك أنا كشفت عن السُّبل والوسائل – بكل جهدي – للوصول إلى ذلـــك.. وهكذا أنا أحضرت الخشب والحجارة اللازمة لعمارتك الجميلة التي يجب أن تنتصب فـــوق الجميع خالدة . أنا كشفت الغطاء عن دخّان محمد الذي يجب أن يُخمد بواسطة منفاخك " .

وقام روبرت أوف كيتون في ترجمته لمعاني القرآن الكريم بإعادة ترتيب السور وعمـــد إلى الاختصار والتشويه المتعمَّد والحذف والأضافة، وإضفاء الطابع اللاتيني على المعـــاني، ممـــا أعطى صورة بشعة لمعاني القرآن الكريم .

ومن أمثلة الفساد والتشويه في تلك الترجمة مايلي :

أ– أعطى معنىً غامضاً لخطاب ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ وجعله يبدو في معظم الأحيان وكأنه موجه إلى المسلمين .

ب– أضفى على كل الآيات المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق معاني جنسية داعرة بحيث تبدو للقارئ الغربي لاسيما الرهبان مثيرة للاشمئزاز والنفور . مثل :

ج- الآية ٢٣٠ من سورة البقرة ؛ ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ [٣٦٠]؛ ترجمها " فلا تحل له حتى يطأها رجل غيره " .

د- الآية ٢٢٠ من سورة البقرة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾[٣٦١] ترجم تخالطوهم بمعنى تمارسوا معهم اللواط .

هـ- الآية ٢٢٣ من سورة البقرة ؛ ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [٣٦٢]؛ ترجمها بمعنى " فأتوهن في أدبارهن " .

و- الآية ٥٠ من سورة الأحزاب ؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣٦٣]؛ ترجمها هكذا " نحن نجيز لك أزواجك اللائي أتيتهن مهورهن ، وجميع إيمائك اللائي أعطاكهن الله ، وبنات عمك ، وبنات عماتك ، وبنات خالك وبنات خالاتك ، اللائي اتبعنك ، وكل امرأة مؤمنة إذا هي ترغب أن تقدّم جسدها أو نفسها للرسول ، وإذا الرسول يرغب أن يضطجع معها فليفعل ، وهذا خاص لك وليس للمؤمنين الآخرين " . وهذا قليل من كثير مما في تلك الترجمة من تشويه متعمَّد .

ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ بل قام معلق مجهول بالتعليق والتحشية على تلك الترجمة فزاد في التشويه إلى أقصى حد فمثلاً عندما لا يتفق القصص القرآني مع بعض قصص العهد القديم يهاجم القرآن ، ويتهمه بالخرافة مثل وسوسة الشيطان لآدم وزوجه للأكل من الشجرة وفي العهد القديم أن الحية هي التي أغرت آدم بالأكل من الشجرة . ويعلق المعلق

(٣٦٠) البقرة : ٢٣٠ .

(٣٦١) البقرة : ٢٢٠ .

(٣٦٢) البقرة : ٢٢٣ .

(٣٦٣) الأحزاب : ٥٠ .

على القرآن بقوله : " كذب وقح " . أيضاً القصة الرائعة لحمل مريم بعيسى عليه السلام كما جاءت في سورة مريم ، يسميها أيضاً " كذب وقح " . كما أن هذا المعلق علّق – مثلاً – على الآيتين من سورة الغاشية ؛ ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [(٣٦٤)]؛ علّق عليها موجهاً الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ قائلاً :" لماذا أنت بعد هذا توجّه أصحابك إلى أن يُحوِّلوا الناس إلى دينك بالسيف ، إذا أنت تقول مثل هذه المبادئ التي لا تُجبر الناس على الطاعة، فلماذا تُجبر الناس على الطاعة ولماذا تُخضعهم بالقوة مثل الحيوانات والبهائم المتوحشة، وليس بواسطة الحجج والبراهين مثل البشر ، في الحقيقة أنت نموذج للكذّاب، فأنت في كل مكان تُناقض نفسك ".

هذه الترجمة المشوهة لمعاني القرآن الكريم التي قام بها روبرت أوف كيتون لحساب بطرس المكرم سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٣ م هي أول ترجمة عرفتها أوربا وأحدثت تأثيراً واسعاً على الفهم الأوربي المشوه للإسلام حتى القرن الثامن عشر ، فقد ظلت تنتشر مخطوطاتها حتى قام عالمان سويسريان بطباعتها في بازل سنة ٩٤٩هـ / ١٥٤٣م . وعن هذه الترجمة اللاتينية قام أريفابيني الإيطالي بترجمتها إلى الإيطالية سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٧م . وعن هذه الترجمة الإيطالية قام سالمون اشفجر بترجمتها إلى الألمانية سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م وعن هذه الترجمة الألمانية تُرجمت إلى الهولندية سنة ١٠٥١هـ / ١٦٤١م .

ومن هنا يتبين لنا الأثر السيء الذي تركته هذه الترجمة على صورة الإسلام في الغرب إذ قامت عليها الكثير من دراسات المستشرقين عن الإسلام .

٢- رسالة النصراني الشرقي : وهي الأخيرة في المجموعة الطليطلية ، وتُعرف باسم : الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي . وهي التي أحدثت المشروع الكلوني برمته . وهي عبارة عن رسالة وجواب على الرسالة . الرسالة مرسلة من رجل مسلم يُدعى عبدالله بن إسماعيل الهاشمي إلى صديق له نصراني يدعى عبد المسيح بن إسحاق الكندي ، وقد صيغت رسالة

---

(٣٦٤) الغاشية : ٢١-٢٢ .

الهاشمي المزعومة بحيث يبدو قريباً للخليفة المأمون ، بينما صيغ الجواب وكأن الكندي المزعوم يعمل في بلاط الخليفة نفسه . ومن الواضح أن كلا الأسمين مستعاران وأن كاتب النصين عالم عربي نصراني عاش في العراق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، والراجح أنه الطبيب والفيلسوف النصراني يحيى بن عدي المتوفي سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م .

ولا نجد لهذه المصنفة ذكراً في المصادر الإسلامية إلا عند البيروني المتوفي سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م الذي اقتبس منها نصاً في حديثه عن الصابئة .

وقد كلّف بطرس المكرم اثنين من المترجمين بترجمة هذا النص هما بطرس الطليطلي ، وبطرس أوف بواتييه . وقد صاغ يحيى بن عدي رسالة الهاشمي المزعوم في نحو عشرين صفحة ، بحيث بدأ بالسلام والرحمة على صديقه النصراني ، زاعماً أن ذلك سنة النبي ﷺ في مخاطبته للناس بما فيهم النصارى ثم يبدي الهاشمي المزعوم تعبيرات مختلفة من الاحترام لصديقه والإشارة إلى النسب الأصيل للكندي ، والإشادة بتقواه وثقافته ومعرفته ، ويدعوه إلى اعتناق الإسلام الذي هو دين الحنيفية ، دين أبيهما الأول إبراهيم عليه السلام ، وهو التوحيد الخالص لله تعالى ، ثم يعرض أركان الإسلام الخمسة ، والجهاد ، ويسهب في ذكر نعيم الجنة لإغراء صديقه النصراني باعتناق الإسلام .

وأنه إذا اعتنق الإسلام يمكنه الزواج بأربع زوجات ويطلق متى يشاء ويملك من الجواري ما يشاء ، ويحصل على ترقية في بلاط الخليفة وفي النهاية يعرض على صديقه أن يجيبه بكل صراحة على عرضه وأن يقول ما يحلو له في الدفاع عن دينه . ويحثه على التخلي عن عبادة الثالوث .

وقد أجاب يحى بن عدي على رسالته التي جعلها على لسان الهاشمي ، بجوابه الذي جعله على لسان الكندي في ١٤٠ صفحة ، أي أكبر بسبع مرات من رسالة الهاشمي ، بحيث يترك جوابه الانطباع لدى القارئ النصراني أنه نال الغلبة والقهر بالحجة والبرهان . ومن الواضح أن يحيى بن عدي كتب هذا الكتاب حين ازداد دخول النصارى في الإسلام في القرن الرابع الهجري ، وكان هدفه منه تحصين أهل الذمة من النصارى لمنعهم من اعتناق الإسلام وإقناعهم بان دينهم هو الدين الصحيح .

ويبدأ يحيى بن عدي جوابه على لسان الكندي المزعوم بالعرفان بالجميل لصديقه الهاشمي والدعاء للخليفة المأمون . ثم يدافع عن عقيدة الثالوث ، ويزعم أن عقيدة الحنيفية التي يدعو إليها الهاشمي التي كان عليها إبراهيم عليه السلام إنما هي عبادة الأصنام ، حيث يزعم أن إبراهيم ظل يعبدها لمدة سبعين سنة في حرّان مع آبائه .

ويحاول بأسلوب فلسفي تفنيد عقيدة التوحيد ، ثم يوجه هجومه على النبي ﷺ، ويتهمه بأنه تطلّع إلى المُلك ، ولما كان يعرف أن نفوس قريش تأبى أن يصبح ملكاً عليها ادّعى النبوة للوصول إلى هدفه . ولا يتحدث جواب الكندي المزعوم عن دعوة النبي ﷺ؛ في مكة ، وإنما ينتقل فجأة إلى المدينة حيث يزعم أن النبي ﷺ؛ اغتصب مربد غلاميين يتيمين وبنى عليه مسجده ، وأنه اصطحب قوماً فراغاً لا عمل لهم وبدأ في شن الغارات وممارسة النهب والسلب وقطع الطريق وإخافة السبيل، ويتهم النبي ﷺ؛ أنه أمر باغتيال بعض الأمنين في بيوقم ، ثم يشير إلى جروح النبي ﷺ يوم أحد ، ويرى أنه لو كان رسولاً لمنعه الله من الضرر ، ثم يزعم أن النبي ﷺ لم يكن له هم إلا امرأة جميلة يتزوجها ، ويتهمه بالاستخفاف بالله في محاباة زوجاته ويكرر حديث الإفك عن عائشة رضي الله عنها .

وبعد ذلك يثير جواب الكندي المزعوم موضوع النبوة وعلاماتها ويزعم أن شروط النبوة لا تتوافر في محمد ﷺ. ويزعم أن أهم علامات النبوة هي المعجزات ، وأن النبي ﷺ لم يأت بشيء منها، وأنه أنكر أنه يستطيع أن يأت بآية كما جاء في القرآن ، وأنه لا دليل لدى محمد ﷺ على رسالة الهية .

ويزعم أن الإسلام انتشر بحد السيف ، وأن نجاح الفتوح الإسلامية ليس دليلاً على إعجاز إلهي ، لأنها يمكن أن تكون وسيلة من الله لمعاقبة الناس المذنبين ، ويزعم أن النصرانية انتشرت بالتبشير واستشهاد الحواريين بينما الإسلام انتشر بالقهر والسيف ، ويزعم أن لغة القرآن ليست معجزة ، ويعتبر لغة الشاعر امرئ القيس أقوى من لغة القرآن . ويزعم جواب الكندي أن الأغراء المادي والوعد بالملذات الحسية في جنة شهوانية هو الذي أغرى العرب المحرومين أن ينضموا إلى

الإسلام وجيوشه ، وأن جيوش المسلمين كانت مليئة بالمنافقين الذين انضموا إليها طلباً للغنائم .ثم يهاجم شعائر الإسلام ، ويعتبر الحج عملاً من أعمال الوثنية ، ويرى أن الجهاد في سبيل الله إنما هو عمل الشيطان . ويزعم أن محمدا ﷺ لم يكن يهدف مثلما هدف المسيح عليه السلام إلى أن يخلّص ويهذب الإنسان ، وإنما هدف إلى ما هدف إليه الفاتحون الآخرون وهو أن يوسع مملكته . ويزعم أن النصرانية هي الصراط المستقيم المذكور في سورة الفاتحة . ويزعم أن الشرائع ثلاث : شريعة الكمال الإلهي وهي التي جاء بها المسيح عليه السلام، وشريعة العدل وهي التي جاء بها موسى عليه السلام ، وشريعة الشيطان وهي التي جاء بها – بزعمه الكاذب – محمد ﷺ.

ويزعم أن النبي ﷺ كان يتلقى من راهب طُرد من الكنيسة وذهب إلى تهامة واسمه سرجيوس، وتسمى عند محمد ﷺ بإسم نسطوريوس وأنه هو الذي كان يسميه النبي ﷺ جبريل أو الروح القدس .

وقال هذا النصراني في جوابه عن النبي ﷺ ما نصه : (فإنا لم نره دعا الناس إلا بالسيف وبالسلب والسبي والإخراج من الديار ولم نسمع برجل غيره جاء فقال من لم يقر بنبوتي وإني رسول رب العالمين ضربته بالسيف وسلبت بيته وسبيت ذريته من غير حجة ولا برهان) وزعم – زوراً وبهتاناً – أن النبي ﷺ أجبر الناس على قبول القرآن : (وقال من لا يقبل كتابي هذا ويقول إنه مُنزَّل من عند الله وأني نبي مرسل قتلته وسلبته ماله وسبيت ذريته واستبحت حريمه) .

وزعم النصراني أن عبد الله بن سلاّم وكعب الأحبار عمدا إلى ما في يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه من القرآن بعد وفاة النبي ﷺ وأدخلا فيه أخبار التوراة وأحكامها وزادا وأنقصَّا منه وسخر من عملية جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وزعم أنه وقع فيه التحريف والتبديل ، وأن الحجاج بن يوسف الثقفي جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة عن بني أمية ، وذكر كلاماً كثيراً ملفقاً في هذا الموضوع وختم جوابه بدعوة الهاشمي المزعوم لاعتناق النصرانية . هذه الترجمة الرئيسة في المشروع الكلوني نالت في الغرب شعبية هائلة وأصبحت بمثابة انجيل المنصرين والمستشرقين منذ ترجمتها وإلى اليوم حيث اعتبروها أفضل دفاع عن النصرانية وأقوى هجوم على الإسلام .

وهناك ثلاث مصنفات أخرى تُرجمت في المشروع الكلوني هي (نشؤ محمـد) و (عقيـدة محمد) و (الأحاديث الإسلامية) ولكن لم يكن لها تأثير يضاهي تأثير رسـالة الكنـدي المزعـوم ، والترجمة الخاطئة والمغرضة لمعاني القرآن الكريم من جانب روبرت أوف كيتون .

وبعد أن انتهى بطرس المكرم من ترجمة مشروعه الآنف الذكر قام بتأليف ردين على الإسلام هما :

(١) المجمل الكامل عن الهرطقة الإسلامية وقسمه إلى ستة فصول هي :

أ- الرب ، المسيح ، ويوم الحساب .

ب- النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

ج- القرآن ومصادره .

د- الجنة والنار ، والتعاليم الأخلاقية .

هـ - انتشار الإسلام .

و - الإسلام بوصفه هرطقة مسيحية .

(٢) الدحض وقسمه إلى كتابين كل كتاب مكون من فصلين وكلاهما كتبه باللاتينية .

وكان هدف بطرس المكرم من تأليف رديه أن يغرس في قلوب النصارى موقفاً معادياً للإسلام ينبغي على كل نصراني أن يتخذه ويعتقده تجاه العقيدة الإسلامية .وسوف أعرض هنـا مقتطفـات مختصرة من مجمل بطرس المكرم للتدليل على هدفه هذا . بعد أن عرض بتهكم مشاهد يوم القيامـة التي انفرد بها القرآن ولا توجد عندهم في كتبهم المقدسة قال :" إلى هذا الحـد الفعلـي Mahumet (محمد) القذر الشرير علّم أتباعه إنكار جميع أسرار الدين المسيحي ، وحكم تقريباً على ثلث الجنس البشري بعدم معرفة يوم الدينونة للرب ، بواسطة حكايات مجنونه يهذي بما لم يُسمع بمثلها اسـتجابة لأبليس والهلاك السرمدي ". ثم يقدّم في مجمله مختصراً مشوهاً لسـيرة الـنبي ﷺ إلى أن يقـول :" هكذا كان Mahumet (محمد) ناشطاً جداً في الشؤون العالمية ، وذكي إلى أبعد حد ، هو انبثق مـن الأصل الوضيع والفقر إلى الغنى والشهرة ، ونهض بنفسه إلى أعلى شيئاً فشيئاً ، وتكراراً هاجم كل

أولئك الذين كانوا بجواره ،وكان بشكل بارز يضم إليه الأقرباء بالخداع ، والسلب ، والغـزوات ، قاتلاً أي شخص غيلة إن استطاع ، هو ازداد رعباً بواسطة أسمه ، وفي الوقت المناسـب وصـل إلى القمة بالتزاعات . ثم بدأ يطمح إلى منصب الملك على شعبه ، ولما كان يدرك أنه لا يستطيع أن يحقق هذه الرغبة بسبب أصله الوضيع . قرَّر أن يصبح ملكاً عن طريق السيف ، وتحـت قنـاع الـدين وبواسطة الإسم [لرسول الله] ". ثم يتناول في مجمله القرآن ويرفض بشدة نبوة محمد ﷺ ويـزعم أن القرآن له مصادر هي : أبليس ، وسرجيوس (نسطوريوس) وبحيرا ... الخ) إلى أن يقـول مـا نصه :" هكذا عُلِّم محمد من جانب أحسن علماء اللاهوت البارزين ، والمتهرطقين ، فانتجوا قرآنه ، ونسجوا معاً ، في ذلك الشكل غير الفصيح ، له كتاباً مقدساً شيطانياً ، صُنِّف على حد سواء مـن الخرافات اليهودية والأغاني العابثة للهراطقة ، كاذباً أن هذه المجموعة جُلبت إليه سورة وراء سـورة بواسطة جبريل ، الذي اسمه هو عرفه من الكتاب المقدس في ذلك الوقت ، هو أفسد بسـم مهلـك ذلك الشعب الذي لم يعرف الرب ، وفي سلوك هذا المُفسد أن جعل في حـواف القـدح المملـوء بالعسل السم المهلك الذي يتسرب معه ، هو (محمد) حطَّم ، واحسـرتاه ، الأرواح والأجسـاد لذلك الشعب البائس ، ذلك الرجل ، أثنى على الشريعة المسيحية واليهودية ، والشرير مع ذلـك يقتبس منها ويرفضها في الوقت نفسه " .

وبعد ذلك يتناول بطرس المكرَّم ، الجنة والنار ، والتعاليم الأخلاقية ويهاجم التصوير القـراني للجنة والنار فيقول :" محمد يصف عذاب جهنم كأنها تسرهُ حتى يصفها ، وكأنـه كـان ملائمـاً لرسول زائف كبير أن يخترع تلك الأوصاف . وهو يصور جنة ليست من مجتمع ملائكي ، ولا مـن تجلى الرب ، ولا من ذلك الخير الأعلى ، الذي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علـى قلـب بشر ... بل في هذه الطريقة هو وصفها مثلما هو رغبها أن تكون معدَّة لنفسه ، هو يعد أتباعه هناك بالأكل من اللحم ، وكل أنواع الثمرات ، هناك أنهار من اللبن والعسل والميـاه المتدفقـة . هنـاك العناق والإشباع الشهواني من النساء العذارى الأجمل ، فيها أشياء كثيرة ، جنته كلها حسـية ". ثم يتناول بطرس المكرم تعدد الزوجات في الإسلام باعتباره عملاً من أعمال الزنى وفق المنظور الرهباني دون أن يعلم أن المجتمع الغربي من بعده ، في العصور الحديثه ، سيصل إلى ممارسة الـزنى علنـاً في

الشوارع وعلى الأرصفه بسبب تلك الرهبانية المصادمة للفطرة البشرية التي فرضها رجال الـدين على المجتمع الغربي طوال العصور الوسطى .

ثم يعود بطرس المبجل للهجوم البذئ على النبي ﷺ فيقول :" وبالإضافة إلى كل هذه الأشياء، هو استطاع أن يجتذب إليه الرغبات الشهوانية للرجال ، حيث أطلق لهم الأعنه للنهم والتلوث هو نفسه كان له في ذات الوقت ستة عشر زوجة ... مقترفاً الزنى كأنه شرط بواسطة الأمر الإلهي ، وبذلك أضاف إلى نفسه عدداً ضخماً من الناس المحكوم عليهم بالهلاك السرمدي ".

وبالمقارنة اتضح أن مجمل بطرس المكرم ودحضه قد اعتمد فيهما على رسالة الكندي المزعوم حيث نسج على منوالها . وأصبح هذان الردان ضمن المشروع الكلوني الـذي غـدا في متناول الرهبان المتعصبين للاعتماد عليه في كتاباتهم العدائية ضد الإسلام ونبيه محمد ﷺ.

فهذا وليم الصوري أسقف صور الذي عاصر الحروب الصليبية حتى عصر صلاح الـدين الأيوبي وأرّخ للمملكة الصليبية في بلاد الشام وعلاقتها بالمسلمين بدأ حديثه في تاريخه عن الـنبي ﷺ فقال ما نصه :" في زمن الإمبراطور هرقل ، وطبقاً للروايات والتواريخ الشرقية حققت معتقـدات محمد الضارة – بزعمه الباطل – موطئ قدم راسخ لها في الشرق ، وهذا هو أول أبنـاء الشـيطان المعُلِن بالكذب أنه رسول مرسل من الله ، وبذلك أضل بلدان الشرق خصوصـاً بـلاد العـرب . والبذرة السَّامة التي زرعها اخترقت إلى حد بعيد المناطق التي استخدم فيها خلفاؤه السيف والعنـف بدلاً من التبشير والنصح ، لإجبار الناس ، مهما كانوا خاضعين ، ليعتنقـوا المعتقـدات الخاطئـة للرسول ".

أما جاكيوس دي فتري أسقف عكا الذي شـارك في الحملـة الصـليبية الخامسـة ٦١٤–٦١٨هـ / ١٢١٧–١٢٢١م فقال ما نصه :" إن محمداً أخذ جيرانه الـذين كـان يحسـدهم في الخفاء، وذبحهم بغدر ".

أما سان بدرو باسكوال وهو راهب أسباني عاش في القرن السابع الهجري /١٣م والمتوفى سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م فقد كتب عدة كتب ضد المسلين ومنها كتاب أطلق عليه الفرقة المحمدية فقـال فيه مانصه :" ما الذي جاء به محمد غير الفسوق والسلب ، القرآن على حد سواء وبتنـاقض أمـر

بالسلب والحرب ، والحديث أكدّ هذا ، حيث وُعِدَ المسلمون بمكافأة ضخمة من أجـــل المـــوت في الحرب ، وأن جروحهم سوف تكون جميلة يوم البعث ، ذلك أن محمداً أمر بأن النـــاس مـــن غـــير المسلمين يجب أن يُقتلوا بواسطة الجهاد ، وتُغتصب نساؤهم ويؤخذن سبايا مع الأطفال ، وخيراهم تُنهب وبلادهم تُحتل ". وقد زعم سان بدرو باسكوال هذا أن محمداً ﷺ ، أثنى ذات مرة على آلهة الوثنيين في آيات زعم أن المسلمين يسموها الآيات الشيطانية . ومن عجب أن قول ســـان بـــدرو باسكوال هذا ، كان هو الذي أوحي للمرتد البريطاني سلمان رشدي بعنـــوان روايتـــه [الآيـــات الشيطانية] ، كما أن باسكوال وفنديترو وريكولدو وغيرهم من كتّاب العصور الوســـطى كـــانوا المصدر الرئيس لرواية سلمان رشدي ، بل هي مسروقة بالكامل من تلك الكتابات الوسيطة .

لقد اخترع سان بدور باسكوال قصصاً وأساطير عجيبة تناول فيها جوانب من سيرة النبي ﷺ ونزول الوحي عليه وموقف خديجة رضي الله عنها فمثلاً غزوة بدر يقدمها بهذا الشـــكل الملفـــق : "اصطحب محمد عصابة من اللصوص ، وبعد ذلك سمع أن تجاراً كثيرين من مكة كانوا يقتربون من تلك المدينة من مناطق أخرى في طابور عظيم من البهائم المحملة بالأثقال ، هو أختبأ في مكمن مـــع أصحابه وقتل سبعين من التجار وسائقي البغال من أهل مكة ، وأخذ أكثر من سبعين أسيراً ، وهبوا القافلة بالكامل ".

وعن قصة نزول الوحي على النبي ﷺ يورد رواية مشوهة ويـــزعم أن الـــنبي ﷺ تلبسّـــه الشيطان ، ويسب خديجة رضي الله عنها التي صدقته ويقول مخاطباً النبي ﷺ ما نصه :" في الواقـــع أنا أقول لك يا محمد إن هذا الذي فعلته ليس نبوة ، بل إنك قلت أشياء معينة مثلما تعوَّد العّرافـــون اليوم أن يقولوها عن طريق استحضار العفاريت بأي أسلوب ، فهذا لن يكون مدهشاً لأنه ســـيوجد عرَّافون كثيرون في العالم يقولون حقائق قليلة وكذب كثير " وكتابات سان بدرو باســـكوال عـــن الإسلام ونبيه ﷺ تتصف بالاختلاق والسفه فمثلاً عند حديثه عن وفاة النبي ﷺ قال ما نصه :" إن محمداً عندما أوشك أن يموت حاول أن يعمِّد نفسه – أي يتنصَّر – لكن الشياطين منعته ".

أما الراهب الإيطالي فيديترو أوف بافيا الذي جاء إلى بلاد الشام في النصف الثاني من القـــرن السابع الهجري / النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي فقد كتب وصفاً مختصـــراً مختلقـــاً

لتشويه صورة النبي ﷺ عند القراء الغربيين ومما قاله :" إن محمداً جمع حوله عبيداً آبقين ، ورجالاً مؤذين مرتشين ومضطهدين للآخرين ، من أصناف مختلفة ، وعندما أطاعوه وأصبح أميرهم ، أرسلهم إلى غابة ذات طرق فرعية وإلى قمم الجبال ، وأخذوا يغيرون على الطرق التي يتردد عليها المسافرون ، فيسلبون الناس ، وينهبون بضائعهم ويقتلون كل من يُبدي مقاومة . وحل الخوف من محمد وأصحابه بجميع الناس الذين يقطنون بتلك البلاد ". وهذا الراهب فيديترو أحد الكتّاب الغربيين الذين تلقّفوا القصة المختلقة على النبي ﷺ وزينب بنت جحش رضي الله عنها ، التي اخترعها يوحنا الدمشقي وصاغوها بشكل داعر ، ومما قاله فيديتروما نصه :" كان هناك رجل معروف يُدعى سايدوس – زيد – وكان له زوجة تُدعى سيبيب – زينب – كانت من أجمل النساء الجميلات اللائي عشن على الأرض في أيامها ، فسمع محمد بشهرة جمالها ، واشتعل بالرغبة فيها ، وأراد أن يراها ، فجاء إلى مترل المرأة في غياب زوجها ، وسأل عن زوجها . هي قالت : يا رسول الله ، ما ذا تريد ، لماذا أنت هنا ؟ زوجي ذهب إلى الخارج في العمل . هذا لم يكن مخفياً عن زوجها ، هو عندما عاد إلى بيته ، قال لزوجته : هل كان رسول الله هنا ؟ هي أجابت : هو كان هنا ، هو قال هل رأى وجهك ؟ هي أجابت : نعم هو رآه ، وهو أيضاً سهّرني وقتاً طويلاً ، هو قال لها : أنا لا أستطيع أن أعيش معك وقتاً أطول من هذا ... ".

ومن الرهبان المنصرين الذين كتبوا عن الإسلام ، ريكولدو دي مونت كروسي المتوفي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠ م وقد جاء إلى عكا سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩م وانتقل منها إلى آسيا الصغرى ومنها إلى الشرق حيث وصل إلى مراغة في رحلة تنصيرية ثم جاء إلى الموصل وإلى بغداد . ثم عاد إلى دير مونت كروسي وصنّف عدة كتب يهاجم فيها الإسلام منها كتاب سماه [دحض القرآن] ومما قاله :" إن الإسلام مجرد خدعة شيطانية ابتدعها الشيطان كي يمهد الطريق لمجئ المسيح الدجّال ، وذلك حين شعر الشيطان بعدم قدرته على إيقاف انتشار النصرانية ، وأن الوثنيات بدأت تتهاوى أمام النصرانية ، وأنه ليس في مقدوره دحض شريعة موسى وانجيل عيسى ، فابتدع الشيطان ذلك الدين ليكون وسطاً بين النصرانية واليهودية ... والقرآن ليس قانون الله ، نظراً لأن أسلوبه لا

يطابق الأسلوب الإلهي ، الذي لا يوجد فيه سجع ولا عبارات موزونة كتلك التي جاءت في الكتب المقدسة ".

والحق أن القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، قد شهدا حملة فكرية عدوانية شرسة ضد الإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ من جانب مئات الكتّاب الغربيين من الرهبان والمنصرين والحجاج الذين زاروا الديار المقدسة في بلاد الشام ، وهي حملة عدائية تضاهي في ضخامتها العدوان الفكري الحالي الذي نشهده في وسائل الإعلام الغربية . ويتضح أحد أهداف تلك الحملة السابقة مما كتبه أحد أعضائها وهو روبرت هالكوت الذي كتب سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠ م يقول :" إنه لن يكون سهلاً أن ننشر تعاليم المسيح بين المسلمين إلا عن طريق تحطيم وشجب شريعة محمد ".

ويتضح توطُّد وترسُّخ تلك العقيدة الغربية الباطلة تجاه الإسلام والمسلمين في الغرب ، وأنه لم يعد بمقدور أحد هناك اعتقاد سواها ما حدث سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١ م عند ما كتب راهب بندكتي يعمل في جامعة أكسفورد ، اسمه أوثرد أوف بولدون ، مُقترحاً قال فيه :" إنه عند لحظة الموت لكل إنسان سواء كان نصرانياً ، أو مسلماً ، أو من أي دين ، فإنه ينعم بالرؤية المباشرة للرب ، ويتلقى حكمه الأبدي في ضوء استجابته لهذه التجربة ".

فقامت ضد الراهب أوثرد احتجاجات عنيفة من زملائه الرهبان مفادها : كيف يمكن لمسلمٍ أن ينجو من الهلاك والعذاب السرمدي ؟؟؟ فاضطر الراهب أوثرد إلى سحب اقتراحه !!!وفي ضوء هذا العرض المختصر للعقيدة الغربية المركوزة في الفكر الغربي تجاه الإسلام ونبيه محمد ﷺ يمكن أن نخرج بالملاحظات والحقائق التالية .

أولاً : لا نجد نظيراً لهذه العقيدة تجاه نبي من الأنبياء وأمة من الأمم إلا في عقيدة التلمود عند اليهود تجاه المسيح عليه السلام ووالدته الطاهرة مريم عليها السلام وتجاه المسيحيين . فالتلمود الذي يقدسه اليهود إلى أقصى حد " يرى بأن المسيح عيسى بن مريم موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار ، وأن أمه مريم أتت به من العسكري الروماني [باندارا] بمباشرة

الزنا . ويرى التلمود أن المسيح ارتد عن اليهودية وعبد الأوثان ، وأن أتباعه النصارى وثنيون . ويذهب التلمود إلى أن المسيح كان ساحراً وثنياً ومن يتبعه من الأمم إنما هم وثنيون مثله ، وان المسيح كان مجنوناً وكافراً لا يعرف الله وان الطقوس الدينية عند النصارى إنما هي نوع من عبادة الأصنام . ويقرِّر التلمود أن الأناجيل – كتب النصارى المقدسة – إنما هي كتب الظلم والخطايا وأنه يجب على اليهود إحراقها ولو كان فيها اسم الله . وأن الكنائس النصرانية بمثابة قاذورات ، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ، وأن قتل النصارى من الأفعال التي يكافئ الله عليها ، وإذا لم يتمكن اليهودي من قتل النصارى ، فالواجب عليه أن يلعن النصارى ثلاث مرات في اليوم ، ويطلب من الله أن يبيدهم ويفنى ملوكهم وحكامهم وعلى اليهود أن يعاملوا النصارى كحيوانات دنيئة غير عاقلة .... "[٣٦٥].

ثانياً : إذ تأملنا أسباب نشأة هذه العقيدة الغربية الضالة تجاه الإسلام ونبيه محمد ﷺ يمكن أن نستخلص بعض الأسباب الرئيسة وأهمها وهي :

أ- إن اعتراف النصارى بنبوة محمد ﷺ وصحة القرآن وأنه الكتاب الحق المنزَّل من الله ينسف العقيدة النصرانية بكاملها من الأساس وهي التي تقوم على أساس أن المسيح هو الرّب وأنه ظل يرسل الرسل والأنبياء للدعوة إليه ، وأخيراً تجسَّد الرب بنفسه ليبلِّغ البشر برسالته الأخيرة ، وأنه قُتل وصلب ليكفرِّ عن خطايا البشر ويخلصهم الخلاص النهائي .

ب- اعتقادهم بأن النصرانية هي الحق والهدى وأن ما سواها هو الكفر والضلال ، وأن لا خلاص للبشر إلا باعتناق النصرانية، ومن هنا رفضوا الإسلام ، وحاولوا بكل ما يستطيعون إثبات أن الإسلام دين مختلق وليس وحياً من الله تعالى . ولإثبات هذا الزعم

---

(٣٦٥) للمزيد من التفاصيل عن عقيدة التلمود في المسيح عليه السلام ، انظر: أ.د/ محمد بيومي مهران ، إسرائيل ج٢ ص٤٤٥-٤٥١ ؛ صبري جرجس التراث اليهودي الصهيوني ص١٠٢-١٠٣ ؛ إبراهيم خليل : إسرائيل والتلمود ، ص٦٠-٦١ .

الباطل عمدوا إلى سيرة النبي محمد ﷺ – المرسل بهذا الدين – وشوهوها واخترعوا لـــه قصصاً وأساطير من خيالاتهم تُظهره في صورة سيئة تُقنع من يقرأها من عامة النصـــارى أنه لم يكن مرسلاً من الله وأن تلك السيرة السيئة لا تليق برسول ، هذا فضلاً عن تعمُّـــد الكتاب النصارى طمس كل معالم سيرته الصحيحة وشمائله وأخلاقه وفضـــائله وهديـــه وعدم ذكر أي شيء منها، حتى لا ينجذب إليها القارئ النصراني وتجعله يفتتن بها ومـــن ثم يعتنق الإسلام .

ج- افتراضهم المسبق أن الإسلام هرطقة ومن ثمة البحث في المصادر النصرانية والأحاديـــث والسِّير الموضوعة ما يثبت ويبرهن على هذا الافتراض الزائف .

د- اعتقاد الرهبان ورجال الدين في العصور الوسطى أن الإسلام شكَّل خطراً داهمـــاً علـــى أوربا وأن عقيدته تهدد النصرانية في عقر دارها وأن جماهير النصارى قد تُقبـــل علـــى اعتناقه مثلما حدث في سائر البلدان التي فتحها المسلمون لاسيما الأندلس ، ولـــذلك عمدوا إلى رسم صورة مشوهة ملفقة عن الإسلام كنوع من التحصين للمجتمع الغربي النصراني والحيلولة بين عامة النصارى وبين اعتناق الإسلام .

ثالثاً : إن هذه العقيدة الضالة التي اكتمل بناؤها وصياغتها خلال العصور الوسطى عـــبرت كاملـــة متماسكة إلى العصور الحديثة وتبناها الكثير من الكتَّاب والرهبان والمنصـــرين والمستشـــرقين المتعصبين في العصور الحديثة لا يتسع المجال هنا لذكرهم ويكفي ما أوردناه في بداية الحـــديث عما تقوله وتنشره وسائل الإعلام الغربية في هذه الأيام .

رابعاً : إن هذه اللمحة الموجزة عن هذه العقيدة الغربية تجاه الإسلام ونبيه محمـــد ﷺ والمقتطفـــات التي أوردناها لا تصل في حقيقتها إلى نسبة واحد في الألف مما كتبه الغربيون عن الإسلام عبر العصور من كتابات معادية ظالمة . فإذا أضفنا إلى هذا العدوان الفكري ، العدوان العسكري الشامل والمستمر ضد المسلمين على مدى أكثر من ألف سنة بدءاً من حـــروب الاســـترداد الأسبانية والحروب الصليبية عبر قرون كثيرة ، والتنصير القسري ضد مسلمي الأندلس بعـــد

احتلالها ، وضد مسلمي صقلية وجنوب إيطاليا وكريت وجزر البليار ، وقتل الملايين من المسلمين الذين رفضوا التنصُّر ، وطرد الملايين الأخرى من الأندلس . ثم حركة الاستعمار الغربي ضد العالم الإسلامي بأكمله منذ الكشوف الجغرافية وحتى القرن العشرين ، وما قُتل من ملايين المسلمين في تلك الحروب العدوانية المتمادية التي لا تكاد تنتهي. ثم ظلم الغرب الأخير للمسلمين بزرع دولة اليهود في قلب بلادهم ، وتشريد شعب فلسطين من أرضه ووطنه . ونهب الغرب لثروات ومقدرات المسلمين عبر العصور وتقسيمهم إلى دول كثيرة ، وأخيراً العدوان الشامل الذي تمارسه الولايات المتحدة ضد العالم الإسلامي.

إذا نظرنا إلى هذا كله فإننا نخرج بحقيقة كبرى مفادها : إنه لا يوجد في التاريخ البشري بأكمله ولا في تاريخ الحيوانات والوحوش ولا في تاريخ الحشرات والزواحف أمةً ظلمت أمة وبغت عليها وآذتها مثل ظُلم الغرب وبغيه وعدوانه على أمة الإسلام .ولهذا كله يجب على كل مسلم أن يعي طبيعة هذا العدوان وهدفه وأن يعمل على مقاومته وإفشاله بكل ما يستطيع .

وصفوة القول : إن هذا العدوان الفكري الإعلامي على الإسلام ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام من جانب رجال الدين الإنجيليين ووسائل الإعلام الغربية – الذي يُعبِّر عن عقيدة موروثة – ليس إلا وسيلة ضمن وسائل كثيرة يشملها هذا العدوان الشامل على الإسلام والمسلمين والذي يهدف إلى هدف استراتيجي رئيس، رغم كل الأقنعة الزائفة التي يستتر بها، وهو : مسخ هوية الأمة الإسلامية وتحويلها عن دينها وتدمير عقيدتها، وتمزيقها إلى دويلات وطوائف متناحرة لا تدين بالولاء إلا لأمريكا وإسرائيل، ونهب ثرواتها ومقدراتها، وتحويلها إلى مجرد مجتمعات استهلاكية لمنتجات أمريكا وإسرائيل وتحويل كل فرد مسلم إلى مجرد كائن بهيمي لا حافز له ولا هم إلا السعي اللاهث وراء لقمة العيش وإشباع غرائزه الفطرية .

كتبه

أ.د. علي بن محمد عودة

أستاذ التاريخ بجامعة أم القرى

مكة المكرمة : ١٤٢٤/٤/٣هـ

الملحق الخامس

نص فصل يوحنا الدمشقي باليونانية مع الترجمة الإنجليزية

THE CHAPTER 100/101 OF THE *DE HAERESIBUS*

M.P.G., XCIV:764

ρα'. Ἔστι δὲ καὶ ἡ μέχρι τοῦ νῦν κρατοῦσα λαοπλάνος σκεία τῶν Ἰσμαηλιτῶν, πρόδρομος οὖσα τοῦ Ἀντιχρίστου. Κατάγεται δὲ ἀπὸ Ἰσμαὴλ, τοῦ ἐκ τῆς Ἀγὰρ τεχθέντος τῷ Ἀβραάμ· διόπερ Ἀγαρηνοὶ καὶ Ἰσμαηλῖται προσαγορεύονται. Σαρακηνοὺς δὲ αὐτοὺς καλοῦσιν, ὡς ἐκ τῆς Σάρρας κενούς, διὰ τὸ εἰρῆσθαι ὑπὸ τῆς Ἀγὰρ τῷ ἀγγέλῳ· Σάρρα κενήν με ἀπέλυσεν. Οὗτοι μὲν οὖν εἰδωλολατρήσαντες καὶ
B προσκυνήσαντες τῷ ἑωσφόρῳ ἄστρῳ, καὶ τῇ Ἀφροδίτῃ, ἣν δὴ καὶ Χαβὰρ τῇ ἑαυτῶν ἐπωνόμασαν γλώσσῃ, ὅπερ σημαίνει μεγάλη· ἕως μὲν οὖν τῶν Ἡρακλείου χρόνων προφανῶς εἰδωλολάτρουν. Ἀφ' οὗ χρόνου καὶ δεῦρο ψευδοπροφήτης αὐτοῖς ἀνεφύη,

M.P.G., XCIV:765

A Μαμὲδ ἐπονομαζόμενος, ὃς τῇ τε Παλαιᾷ καὶ Νέᾳ Διαθήκῃ περιτυχὼν, ὁμοίως δῆθεν Ἀρειανῷ προσομιλήσας μοναχῷ, ἰδίαν συνεστήσατο αἵρεσιν. Καὶ προφάσει τὸ δοκεῖν θεοσεβείας τὸ ἔθνος εἰσποιησάμενος, ἐξ οὐρανοῦ γραφὴν κατενεχθῆναι ἐπ' αὐτὸν διαθρυλλεῖ. Τινὰ οὖν συντάγματα ἐν τῷ παρ' αὐτοῦ βιβλίῳ χαράξας γέλωτος ἄξια, τὸ σέβας αὐτοῖς παραδίδωσι.

Λέγει ἕνα Θεὸν εἶναι ποιητὴν τῶν ὅλων, μήτε γεννηθέντα, μήτε γεγεννηκότα. Λέγει τὸν Χριστὸν Λόγον εἶναι τοῦ Θεοῦ, καὶ πνεῦμα αὐτοῦ, κτιστὸν δὲ καὶ δοῦλον, καὶ ὅτι ἐκ Μαρίας τῆς ἀδελφῆς Μωϋσέως καὶ Ἀαρὼν ἄνευ σπορᾶς ἐτέχθη. Ὁ γὰρ Λόγος, φησὶ, τοῦ Θεοῦ, καὶ τὸ Πνεῦμα
B εἰσῆλθεν εἰς τὴν Μαρίαν, καὶ ἐγέννησε τὸν Ἰησοῦν προφήτην ὄντα, καὶ δοῦλον τοῦ Θεοῦ. Καὶ ὅτι οἱ Ἰουδαῖοι παρανομήσαντες ἐθέλησαν αὐτὸν σταυρῶσαι, καὶ κρατήσαντες ἐσταύρωσαν τὴν σκιὰν αὐτοῦ· αὐτὸς δὲ ὁ Χριστὸς οὐκ ἐσταυρώθη, φησὶν, οὔτε ἀπέθανεν· ὁ γὰρ Θεὸς ἔλαβεν αὐτὸν πρὸς ἑαυτὸν εἰς τὸν οὐρανὸν διὰ τὸ φιλεῖν αὐτόν. Καὶ τοῦτο λέγει, ὅτι, τοῦ Χριστοῦ ἀνελθόντος εἰς τοὺς οὐρανούς, ἐπηρώτησεν αὐτὸν ὁ Θεὸς λέγων· Ὦ Ἰησοῦ, σὺ εἶπας, ὅτι <Υἱός εἰμι τοῦ Θεοῦ,

καὶ Θεός;> Καὶ ἀπεκρίθη, φησὶν, ὁ Ἰησοῦς· <῞Ιλεώς μοι, Κύριε· σὺ οἶδας ὅτι οὐκ εἶπον, οὐδὲ ὑπερηφανῶ εἶναι δοῦλός σου· ἀλλ' ἄνθρωποι οἱ παραβάται ἔγραψαν, ὅτι εἶπον τὸν λόγον τοῦτον, καὶ ἐψεύσαντο κατ' ἐμοῦ, καὶ εἰσὶ πεπλανημένοι.> Καὶ ἀπεκρίθη, καί φησιν αὐτῷ ὁ Θεός· <Οἶδα ὅτι σὺ οὐκ ἔλεγες τὸν λόγον τοῦτον.> Καὶ ἄλλα πολλὰ τερατολογῶν
C ἐν τῇ τοιαύτῃ συγγραφῇ γέλωτος ἄξια, ταύτην πρὸς Θεοῦ ἐπ' αὐτὸν κατενεχθῆναι φρυάττεται. Ἡμῶν δὲ λεγόντων· Καὶ τίς ἐστιν ὁ μαρτυρῶν, ὅτι γραφὴν αὐτῷ δέδωκεν ὁ Θεός; καὶ τίς τῶν προφητῶν προεῖπεν ὅτι τοιοῦτος ἀνίσταται προφήτης; καὶ διαπορούντων αὐτῶν, ὡς ὁ Μωϋσῆς τοῦ Θεοῦ κατὰ τὸ Σινὰ ὄρος ἐπ' ὄψεως παντὸς τοῦ λαοῦ, [ἐν νεφέλῃ, καὶ πυρὶ, καὶ γνόφῳ, καὶ θυέλλῃ φανέντος ἐδέξατο τὸν νόμον. Καὶ ὅτι πάντες οἱ προφῆται, ἀπὸ Μωϋσέως καθεξῆς ἀρξάμενοι, περὶ τῆς τοῦ Χριστοῦ παρουσίας προηγόρευσαν, καὶ ὅτι Θεὸς ὁ Χριστὸς, καὶ Θεοῦ Υἱὸς σαρκούμενος ἥξει, καὶ σταυρωθησόμενος, καὶ θνήσκων, καὶ ἀναστησόμενος· καὶ ὅτι κριτὴς οὗτος ζώντων καὶ νεκρῶν· καὶ
D λεγόντων ἡμῶν, Πῶς οὐχ οὕτως ἦλθεν ὁ προφήτης ὑμῶν, ἄλλων μαρτυρούντων περὶ αὐτοῦ, οὐδὲ παρόντων ὑμῶν, ὁ Θεὸς, ὡς τῷ Μωϋσεῖ βλέποντος τοῦ λαοῦ, καπνιζομένου ὄρους δέδωκε τὸν νόμον, κἀκείνῳ τὴν γραφὴν, ἥν φατε, παρέσχεν, ἵνα καὶ ὑμεῖς τὸ βέβαιον ἔχητε; ἀποκρίνονται, ὅτι ὁ Θεὸς ὅσα θέλει ποιεῖ. Τοῦτο καὶ

M.P.G., XCIV:768

A ἡμεῖς, φαμὲν, οἴδαμεν· ἀλλ' ὅπως ἡ γραφὴ κατῆλθεν εἰς τὸν προφήτην ὑμῶν, ἐρωτῶμεν. Καὶ ἀποκρίνονται, ὅτι ἐν ὅσῳ κοιμᾶται, κατέβη ἡ γραφὴ ἐπάνω αὐτοῦ. Καὶ τὸ γελοιῶδες πρὸς αὐτοὺς λέγομεν ἡμεῖς· ὅτι λοιπὸν ἐπειδὴ κοιμώμενος ἐδέξατο τὴν γραφὴν, καὶ οὐκ ᾔσθετο τῆς ἐνεργείας, εἰς αὐτὸν ἐπληρώθη τὸ τῆς δημώδους παροιμίας . . . .]

Πάλιν ἡμῶν ἐρωτώντων· Πῶς αὐτοῦ ἐντειλαμένου ἡμῖν ἐν τῇ γραφῇ ὑμῶν, μηδὲν ποιεῖν, ἢ δέχεσθαι ἄνευ μαρτύρων, οὐκ ἠρωτήσατε αὐτὸν, ὅτι Πρῶτον αὐτὸς ἀπόδειξον διὰ μαρτύρων, ὅτι προφήτης εἶ, καὶ ὅτι ἀπὸ Θεοῦ ἐξῆλθες, καὶ ποία γραφὴ μαρτυρεῖ περὶ σοῦ; σιωπῶσιν αἰδού-
B μενοι. Ἐπειδὴ γυναῖκα γῆμαι οὐκ ἔξεστιν ὑμῖν ἄνευ μαρτύρων, οὐδὲ ἀγοράζειν, οὐδὲ κτᾶσθαι, οὔτε ὑμεῖς αὐτοὶ καταδέχεσθε ὄνον, ἢ κτῆνος ἀμάρτυρον ἔχειν· ἔχετε μὲν καὶ γυναῖκας, καὶ κτήματα, καὶ ὄνους, καὶ τὰ λοιπὰ διὰ μαρτύρων, μόνην δὲ πίστιν, καὶ γραφὴν ἀμάρτυρον ἔχετε· ὁ γὰρ ταύτην ὑμῖν παραδοὺς οὐδαμόθεν ἔχει τὸ βέβαιον, οὐδέ τις προμάρτυρ ἐκείνου γνωρίζεται, ἀλλὰ καὶ κοιμώμενος ἐδέξατο ταύτην. Καλοῦσι δὲ ἡμᾶς Ἑταιριαστὰς, ὅτι, φησὶ, ἑταῖρον τῷ Θεῷ παρεισάγο-

μεν, λέγοντες εἶναι τὸν Χριστὸν Υἱὸν Θεοῦ καὶ Θεόν. Πρὸς οὓς φαμεν, ὅτι τοῦτο οἱ προφῆται καὶ ἡ Γραφὴ παραδέδωκεν· ὑμεῖς δὲ ὡς ἰσχυρίζεσθε τοὺς προφήτας δέχεσθε. Εἰ οὖν κακῶς λέγομεν τὸν Χριστὸν Θεοῦ Υἱόν, κἀκεῖνοι ἐδίδαξαν καὶ παρέδωκαν ἡμῖν. Καί τινες μὲν αὐτῶν
C φασιν, ὅτι ἡμεῖς τοὺς προφήτας ἀλληγορήσαντες τοιαῦτα προστεθείκαμεν. Ἄλλοι φασὶν ὅτι οἱ Ἑβραῖοι μισοῦντες ἡμᾶς ἐπλάνησαν, ὡς ἀπὸ τῶν προφητῶν γράψαντες, ἵνα ἡμεῖς ἀπολώμεθα.

Πάλιν δέ φαμεν πρὸς αὐτούς· Ὑμῶν λεγόντων, ὅτι Χριστὸς Λόγος ἐστὶ τοῦ Θεοῦ καὶ Πνεῦμα, πῶς λοιδορεῖτε ἡμᾶς ὡς Ἑταιριστάς; Ὁ γὰρ λόγος καὶ τὸ Πνεῦμα ἀχώριστόν ἐστι τοῦ ἐν ᾧ πέφυκεν· εἰ οὖν ἐν Θεῷ ἐστιν ὁ Λόγος αὐτοῦ, δῆλον ὅτι καὶ Θεός ἐστιν. Εἰ δὲ ἐκτός ἐστι τοῦ Θεοῦ, ἄλογός ἐστι καθ' ὑμᾶς ὁ Θεός, καὶ ἄπνους. Οὐκοῦν φεύγοντες ἑταιριάζειν τὸν Θεὸν ἐκόψατε αὐτόν. Κρεῖσσον γὰρ ἦν λέγειν ὑμᾶς, ὅτι ἑταῖρον ἔχει, ἢ κόπτειν αὐτὸν, καὶ ὡς λίθον, ἢ ξύλον, ἤ τι τῶν
D ἀναισθήτων παρεισάγειν. Ὥστε ὑμεῖς ἡμᾶς ψευδηγοροῦντες, Ἑταιριαστὰς καλεῖτε· ἡμεῖς δὲ Κόπτας ὑμᾶς προσαγορεύομεν τοῦ Θεοῦ.

Διαβάλλουσι δὲ ἡμᾶς ὡς εἰδωλολάτρας προσκυνοῦντας τὸν σταυρὸν, ὃν καὶ βδελύσσονται· καί φαμεν

M.P.G., XCIV:769

A πρὸς αὐτούς· Πῶς οὖν ὑμεῖς λίθῳ προστρίβεσθε κατὰ τὴν Χαβαθὰν ὑμῶν, καὶ φιλεῖτε τὸν λίθον ἀσπαζόμενοι; Καί τινες αὐτῶν φασιν ἐπάνω αὐτοῦ τὸν Ἀβραὰμ συνουσιάσαι τῇ Ἄγαρ· ἄλλοι δὲ ὅτι ἐπ' αὐτὸν προσέδησε τὴν κάμηλον, μέλλων θύειν τὸν Ἰσαάκ· Καὶ πρὸς αὐτοὺς ἀποκρινόμεθα· Τῆς Γραφῆς λεγούσης, ὅτι ὄρος ἦν ἀλσῶδες, καὶ ξύλα, ἀφ' ὧν καὶ εἰς τὴν ὁλοκάρπωσιν σχίσας ὁ Ἀβραὰμ ἐπέθηκε τῷ Ἰσαάκ· καὶ ὅτι μετὰ τῶν παίδων τὰς ὄνους κατέλιπεν· πόθεν οὖν ὑμῖν τὸ ληρεῖν; οὐ γὰρ ἐκεῖσε ξύλα δρυμώδη κεῖται, οὔτε ὄνοι διοδεύουσιν. Αἰδοῦνται μέν. Ὅμως φασὶν εἶναι τὸν λίθον τοῦ Ἀβραάμ. Εἶτά φαμεν· Ἔστω τοῦ Ἀβραὰμ, ὡς ὑμεῖς ληρεῖτε· τοῦτον οὖν ἀσπαζόμενοι, ὅτι μόνον ὁ Ἀβραὰμ ἐπ'
B αὐτὸν συνουσίασε γυναικὶ, ἢ ὅτι κάμηλον προσέδησεν, οὐκ αἰδεῖσθε, ἀλλ' ἡμᾶς εὐθύνετε ὅτι πρὸς σταυρὸν τοῦ Χριστοῦ προσκυνοῦμεν, δι' οὗ δαιμόνων ἰσχὺς, καὶ διαβόλου καταλέλυται πλάνη; Οὗτος δὲ, ὃν φασι λίθον, κεφαλὴ τῆς Ἀφροδίτης ἐστὶν ἣν προσεκύνουν, ἣν Χαβὲρ προσηγόρευον, ἐφ' ὃν καὶ μέχρι νῦν ἐγγλυφίδος ἀποσκίασμα τοῖς ἀκριβῶς κατανοοῦσι φαίνεται.

Οὗτος ὁ Μάμεδ πολλὰς, ὡς εἴρηται, ληρῳδίας συντάξας, ἑκάστῃ τούτων προσηγορίαν ἐπέθηκεν· οἷον ἡ γραφὴ τῆς γυναικὸς, καὶ ἐν

αὐτῇ τέσσαρας γυναῖκας προφανῶς λαμβάνειν νομοθετεῖ, καὶ παλλακάς, ἐὰν δύνηται, χιλίας, ὅσας ἡ χεὶρ αὐτοῦ κατάσχῃ ὑποκειμένας ἐκ τῶν C τεσσάρων γυναικῶν· ἥν δ' ἂν βουληθῇ ἀπολύειν, ἢ θελήσειε, καὶ κομίζεσθαι ἄλλην, ἐκ τοιαύτης αἰτίας νομοθετήσας· Σύμπονον ἔσχεν ὁ Μάμεδ Ζεῒδ προσαγορευόμενον. Οὗτος γυναῖκα ἔσχεν ὡραίαν, ἧς ἠράσθη ὁ Μάμεδ. Καθημένων αὐτῶν, φησὶν ὁ Μάμεδ· <'Ο δεῖνα, ὁ Θεὸς ἐνετείλατό μοι τὴν γυναῖκά σου λαβεῖν.> 'Ο δὲ ἀπεκρίθη· <'Απόστολος εἶ· ποίησον ὥς σοι ὁ Θεὸς εἶπε· λάβε τὴν γυναῖκά μου.> Μᾶλλον δὲ, ἵνα ἄνωθεν εἴπωμεν, ἔφη πρὸς αὐτόν· <'Ο Θεὸς ἐνετείλατό μοι, ἵνα ἀπολύσῃς τὴν γυναῖκά σου.> 'Ο δὲ ἀπέλυσε. Καὶ μεθ' ἡμέρας πολλάς· <'Αλλὰ, φησὶν, ἵνα κἀγὼ αὐτὴν λάβω ἐνετείλατο ὁ Θεός.> Εἶτα λαβὼν, καὶ μοιχεύσας αὐτὴν τοιοῦτον ἔθηκε νόμον· <'Ο βουλόμενος ἀπολυέτω τὴν γυναῖκα αὐτοῦ. 'Εὰν δὲ μετὰ τὸ ἀπολῦσαι ἐπ' αὐτὴν ἀναστρέφῃ, D γαμείτω αὐτὴν ἄλλος. Οὐ γὰρ ἔξεστι λαβεῖν, εἰ μὴ γαμηθῇ ὑφ' ἑτέρου. 'Εὰν δὲ καὶ ἀδελφὸς ἀπολύσῃ, γαμείτω αὐτὴν ἀδελφὸς αὐτοῦ βουλόμενος.> 'Εν αὐτῇ τῇ γραφῇ τοιαῦτα παραγγέλλει· <Εἴργασαι τὴν γῆν, ἣν ὁ Θεὸς ἔδωκέ σοι, καὶ φιλοκάλησον αὐτήν· καὶ τόδε ποίησον, καὶ τοιῶσδε·> ἵνα μὴ πάντα λέγω, ὡς ἐκεῖνος, αἰσχρά.

Πάλιν γραφὴ τῆς καμήλου τοῦ Θεοῦ, περὶ ἧς λέγει, ὅτι ἦν κάμηλος ἐκ τοῦ Θεοῦ, ἔπινεν ὅλον τὸν ποταμὸν, καὶ οὐ διήρχετο μεταξὺ δύο ὀρέων διὰ τὸ

M.P.G., XCIV:772

A μὴ χωρεῖσθαι. Λαὸς οὖν, φησὶν, ἦν ἐν τῷ τόπῳ, καὶ τὴν μὲν μίαν ἡμέραν αὐτὸς ἔπινε τὸ ὕδωρ, ἡ δὲ κάμηλος τῇ ἑξῆς. Πίνουσα δὲ τὸ ὕδωρ ἔτρεφεν αὐτοὺς τὸ γάλα παρεχομένη ἀντὶ τοῦ ὕδατος. 'Ανέστησαν οὖν οἱ ἄνδρες ἐκεῖνοι πονηροὶ ὄντες, φησὶ, καὶ ἀπέκτειναν τὴν κάμηλον· τῆς δὲ γέννημα ὑπῆρχεν μικρὰ κάμηλος, ἥτις, φησὶ, τῆς μητρὸς ἀναιρεθείσης ἀνεβόησε πρὸς τὸν Θεὸν, καὶ ἔλαβεν αὐτὴν πρὸς ἑαυτόν. Πρὸς οὓς φαμεν· Πόθεν ἡ κάμηλος ἐκείνη; Καὶ λέγουσιν, ὅτι ἐκ Θεοῦ. Καί φαμεν· Συνεβιβάσθη ταύτῃ κάμηλος ἄλλη; Καὶ λέγουσιν· Οὐχί. — Πόθεν οὖν, φαμὲν, ἐγέννησεν; 'Ορῶμεν γὰρ τὴν κάμηλον ὑμῶν ἀπάτορα καὶ ἀμήτορα καὶ ἀγενεαλόγητον· γεννήσασα δὲ, κακὸν ἔπαθεν. 'Αλλ' οὐδὲ ὁ βιβάσας φαίνεται, B καὶ ἡ μικρὰ κάμηλος ἀνελήφθη. 'Ο οὖν προφήτης ὑμῶν, ᾧ καθὼς λέγετε, ἐλάλησεν ὁ Θεὸς, διὰ τί περὶ τῆς καμήλου οὐκ ἔμαθε, ποῦ βόσκεται, καὶ τίνες γαλεύονται, ταύτην ἀμέλγοντες; Ἢ καὶ αὐτὴ μή ποτε κακοῖς, ὡς ἡ μήτηρ, περιτυχοῦσα ἀνῃρέθη, ἢ ἐν τῷ παραδείσῳ πρόδρομος ὑμῶν εἰσῆλθεν, ἀφ' ἧς ὁ ποταμὸς ὑμῖν ἔσται, ὃν ληρεῖτε, τοῦ γάλακτος; Τρεῖς γάρ φατε ποταμοὺς ὑμῖν ἐν τῷ παραδείσῳ ῥέειν, ὕδατος, οἴνου, καὶ γάλακτος. 'Εὰν ἐκτός ἐστιν ἡ πρόδρομος ὑμῶν κάμηλος τοῦ παραδείσου, δῆλον ὅτι ἀπεξηράνθη πείνῃ καὶ δίψῃ, ἢ ἄλλοι τοῦ γάλακτος

αὐτῆς ἀπολαύσουσι· καὶ μάτην ὁ προφήτης ὑμῶν φρυάττεται, ὡς ὁμιλήσας Θεῷ· οὐ γὰρ τὸ μυστήριον αὐτῷ ἀπεκαλύφθη τῆς καμήλου. Εἰ δὲ ἐν τῷ παραδείσῳ ἐστὶ, πάλιν πίνει τὸ ὕδωρ, καὶ ἀνυδρίᾳ ξηραίνεσθε
C ἐν μέσῳ τῆς τρυφῆς τοῦ παραδείσου. Κἂν οἶνον ἐκ τοῦ παροδεύοντος ἐπιθυμήσητε ποταμοῦ, μὴ παρόντος ὕδατος (ἀπέπιε γὰρ ὅλον ἡ κάμηλος) ἄκρατον πίνοντες ἐκκαίεσθε, καὶ μέθῃ παραπταίετε, καὶ καθεύδετε· καρηβαροῦντες δὲ καὶ μεθ' ὕπνον, καὶ κεκραιπαληκότες ἐξ οἴνου, τῶν ἡδέων ἐπιλανθάνεσθε τοῦ παραδείσου. Πῶς οὖν ὁ προφήτης ὑμῶν οὐκ ἐνενοήθη ταῦτα, μήποτε συμβῇ ὑμῖν ἐν τῷ παραδείσῳ τῆς τρυφῆς; Οὐδέποτε περὶ τῆς καμήλου πεφρόντικεν, ὅπου νῦν διάγει. Ἀλλ' οὐδὲ ὑμεῖς ἐρωτήσατε αὐτὸν, ὡς ὑμῖν περὶ τῶν τριῶν διηγόρευσεν ὀνειροπολούμενος ποταμῶν. Ἀλλ' ὑμεῖς σαφῶς τὴν θαυμαστὴν ὑμῶν κάμηλον εἰς ψυχὰς ὄνων, ὅπου καὶ ὑμεῖς μέλλετε διάγειν, ὡς κτηνώδεις, προδραμοῦσαν ὑμῖν
D ἐπαγγελλόμεθα. Ἐκεῖσε δὲ σκότος ἐστὶ τὸ ἐξώτερον, καὶ κόλασις ἀτελεύτητος· πῦρ ἠχοῦν, σκώληξ ἀκοίμητος, καὶ ταρτάριοι δαίμονες.

Πάλιν φησὶν ὁ Μάμεδ· ἡ γραφὴ τῆς τραπέζης· λέγει δὲ ὅτι ὁ Χριστὸς ᾐτήσατο παρὰ τοῦ Θεοῦ τράπεζαν, καὶ ἐδόθη αὐτῷ. Ὁ γὰρ Θεὸς, φησὶν, εἶπεν αὐτῷ, ὅτι ‹Δέδωκά σοι καὶ τοῖς σοῖς τράπεζαν ἄφθαρτον.

Πάλιν γραφὴν Βοϊδίου, καὶ ἄλλα τινὰ ληρήματα λέγει γέλωτος ἄξια, ἃ διὰ τὸ πλῆθος παραδρα-

M.P.G., XCIV:773

A μεῖν οἶμαι δεῖν. Τούτους περιτέμνεσθαι σὺν γυναιξὶ νομοθετήσας, καὶ μήτε σαββατίζειν, μήτε βαπτίζεσθαι προστάξας, τὰ μὲν τῶν ἐν τῷ νόμῳ ἀπηγορευμένων ἐσθίειν, τῶν δὲ ἀπέχεσθαι παραδούς · οἰνοποσίαν δὲ παντελῶς ἀπηγόρευσεν.

THE CHAPTER 100/101 OF THE *DE HAERESIBUS*

There is also the still-prevailing deceptive superstition of the Ishmaelites, the fore-runner of the Antichrist. It takes its origin from Ishmael, who was born to Abraham from Hagar, and that is why they also call them Hagarenes and Ishmaelites. They also call them Saracenes, allegedly for having been sent away by Sarah empty; for Hagar said to the angel, "*Sarah has sent me away empty*".[1] These, then, were idolaters and they venerated the morning star and Aphrodite, whom notably they called *Habar* in their own language, which means "great"; therefore until the times of Heraclius they were, undoubtedly, idolaters. From that time on a false prophet appeared among them,

surnamed Mameth, who, having casually been exposed to the Old and the New Testament and supposedly encountered an Arian monk, formed a heresy of his own. And after, by pretence, he managed to make the people think of him as a God-fearing fellow, he spread rumors that a scripture was brought down to him from heaven. Thus, having drafted some pronouncements in his book, worthy (only) of laughter, he handed it down to them in order that they may comply with it.

He says that there exists one God maker of all, who was neither begotten nor has he begotten. He says that Christ is the Word of God, and his spirit, created and a servant, and that he was born without a seed from Mary, the sister of Moses and Aaron. For, he says, the Word of God and the Spirit entered Mary and she gave birth to Jesus who was a prophet and a servant of God. And that the Jews, having themselves violated the Law, wanted to crucify him and after they arrested him they crucified his shadow, but Christ himself, they say, was not crucified nor did he die; for God took him up to himself into heaven because he loved him. And this is what he says, that when Christ went up to the heavens God questioned him saying: "O Jesus, did you say that 'I am

[1] The words combined here to form the name *Saracenes* are Σάρρα + κενοί(-ούς) = (cast away) empty by Sarah. Actually there is not such a dialogue recorded as having taken place between Hagar and the angel. The "founding" sentence of the name Saracenes refers rather to *Gen.* 21:10, 14 "So she (Sarah) said to Abraham, 'Cast out this slave woman with her son; . . .' So Abraham rose early in the morning . . . and sent her (Hagar) away". Contrary to what the name Saracene is interpreted to mean, *Gen.* 21:14 suggests that Abraham provided Hagar with bread and water for her and the child, before sending them away.

Son of God, and God'?" And Jesus, they say, answered: "Be merciful to me, Lord; you know that I did not say so, nor will I boast that I am your servant; but men who have gone astray wrote that I made this statement and they said lies against me and they have been in error". And God, they say, answered to him: "I knew that you would not say this thing". And although he includes in this writing many more absurdities worthy of laughter, he insists that this was brought down to him from God. And we ask: "And which is the one who gives witness, that God has given to him the scriptures? And which of the prophets foretold that such a prophet would arise?" And because they are surprised and at a loss (we tell them) that Moses received the Law by the Mount Sinai in the sight of all the people when God appeared in cloud and fire and darkness and storm; and that all the prophets, starting from Moses and onward, foretold of the advent of Christ and that Christ is God and that the Son of God will come by taking up flesh and that he will be crucified and that he will die and that he will be the judge of the living and of the dead alike; and when, then, we ask, "How is it that your prophet did not come this way, by having others bearing witness to him, nor did—as in the case of Moses, that God gave the Law to him while the people were looking and the mountain was in smoke—God give him as well, as you claim, the scripture in your presence so that you, too, have an assurance?", they reply that God does whatever he pleases. "This"

we say "is what we also know; but how did the scripture come down to your prophet, this is what we are asking". And they answer that, while he was asleep the scripture came down upon him. Then we say to them in jest that, (well) since while asleep he received the scripture and he did not have a sense of this event taking place, it is on him that the folk proverb was fulfilled . . .[1]

When again we ask them, "How is it that, although in your scripture he commanded not to do anything or receive anything without witnesses, you did not ask him 'You first prove with witnesses that you are a prophet and that you came from God, and which scripture testifies about you'", they remain silent because of shame. Since you are not permitted to marry a woman without witnesses, neither to purchase something, nor to acquire property—you do not even condescend to have an ass or an animal without witnesses—you have women, and properties, and asses and everything else through witnesses; and yet, only your faith and your scripture you have without a witness. And this is because the one who handed it down to you does not have any certification from anywhere, nor is there any one known who testified about him in advance, but he, furthermore, received this while asleep. Moreover they call us *Associators*, because, they say, we introduce beside God an associate to

[1] The proverb does not appear in the text. Lequien suggests that this is the one from Plato: "You are spinning me dreams". Cf. Chase, *Saint John*, p. 155, n. 106.

Him by saying that Christ is the Son of God and God. To whom we answer, that this is what the prophets and the Scripture have handed down to us; and you, as you claim, accept the prophets. If, therefore, we wrongly say that Christ is Son of God they also were wrong, who taught and handed it down to us so. And some of them maintain that *we* have added such things, by having allegorized the prophets. Others hold that the Jews, out of hatred, deceived us with writings which supposedly originated from the prophets so that we might get lost.

Again we respond to them: "Since you say that Christ is Word and Spirit of God, how do you scold us as *Associators*? For the Word and the Spirit is inseparable each from the one in whom this has the origin; if, therefore, the Word is in God it is obvious that he is God as well. If, on the other hand, this is outside of God, then God, according to you, is without word and without spirit. Thus, trying to avoid making associates to God you have mutilated Him. For it would be better if you were saying that he has an associate than to mutilate him and introduce him as if he were a stone, or wood, or any of the inanimate objects. Therefore, by accusing us falsely, you call us *Associators*; we, however, call you *Mutilators* (Coptas) of God".

They also defame us as being idolaters because we venerate the cross, which they despise; and we respond

to them: "How is it that you rub yourselves against a stone by your *Habathan*, and you express your adoration to the stone by kissing it?" And some of them answer that (because) Abraham had intercourse with Hagar on it; others, because he tied the camel around it when he was about to sacrifice Isaac. And we respond to them: "Since the Scripture says that there was a grove-like mountain and wood, from which Abraham even cut for the holocaust on which he laid Isaac, and also that he left the asses behind with the servants, from where is, then, your idle tale? For, in that place, there is neither wood from a forest, nor do asses travel through". And they are embarrassed. However they claim that the stone is of Abraham. Then we respond: "Suppose that it is of Abraham, as you foolishly maintain; are you not ashamed to kiss it for the only reason that Abraham had intercourse with a woman, or because he tied his camel to it, and yet you blame us for venerating the cross of Christ, through which the power of the demons and the deceit of the devil have been destroyed?" This, then, which they call "stone" is the head of Aphrodite, whom they used to venerate (and) whom they called *Haber*, on which those who can understand it exactly can see, even until now, traces of an engraving.

This Muhammad, as it has been mentioned, composed many idle tales, on each one of which he prefixed a title, like for example the discourse of

The Woman, in which he clearly legislates that one may have four wives and one thousand concubines if he can, as many as he can maintain beside the four wives; and that one can divorce whomsoever he pleases, if he so wishes, and have another one. He made this law because of the following case: Muhammad had a comrade named Zaid. This man had a beautiful wife with whom Muhammad fell in love. While they were once sitting together Muhammad said to him: "Oh you, God commanded me to take your wife". And he replied, "You are an apostle; do as God has told you; take my wife". Or rather, in order to tell the story from the beginning, he said to him: "God commanded me (to tell you) that you should divorce your wife"; and he divorced her. Several days later he said, "But now God commanded me that I should take her". Then after he took her and committed adultery with her he made such a law: "Whosoever wills may dismiss his wife. But if, after the divorce, he wants to return back to her let someone else marry her (first). For it is not permitted for him to take her (back) unless she is married by somebody else. And even if a brother divorces (his wife), let his brother marry her if he so wishes". This is the type of precepts that he gives in this discourse: "Till the land that God gave you and beautify it; and do this and in this manner"—not to say everything obscene, as he did.

Again, there is the discourse of The Camel of God, about which he says that there was a camel from God and that she used to drink the whole river so that she could not pass between two mountains because

there was not enough room for her to go through. There were people in that place, he says, and on the one day they were drinking the water and the camel on the next. When she was drinking the water she fed them by offering her milk to them instead of the water. Those people, then, being evil, rose up and killed the camel. There was, however, a small camel which was her offspring which, he says, when her mother was killed cried out to God and He took her up to Himself. And we say to them: "Where was that camel from?" And they answer that (she was) from God. And we say: "Was there any other camel that coupled with her?" And they say, "No". "How, then" we say "she gave an offspring? For we see that camel was without father, mother and genealogy; and when she gave birth she was met, instead, with evil. In your story there appears neither the one who coupled with the she-camel, nor (where) the young camel was taken up. Your prophet, then, to whom as you say God has spoken, why did he not find out about the camel, where she is grazing and who is milking her and drinking her milk? Or did she also happen, like her mother, to fall into the hands of evil men and was killed, or has she, before you already, entered paradise and from her is going to flow the river of milk that you are talking about? For you say that you will have three rivers in paradise flowing water, wine and milk. If your fore-runner camel is outside paradise, it is obvious that she has died out of hunger and thirst, or that other people are going to enjoy her milk;

and your prophet is boasting in vain that he talked with God, since there was not revealed to him the mystery about the camel. If, on the other hand, she is in paradise, she again drinks the water and you are going, for lack of water, to dry up in the midst of the delights of paradise. And if you will desire (to drink) wine from the nearby flowing river, since there will be no water (because the camel has drunk it all), drinking of it without an end you will burn inside you, and you will wobble because of drunkenness, and will be asleep. With heavy head, therefore, and after sleep, and with intoxication because of the wine you will miss the pleasures of paradise. How, then, did your prophet not think of all these, that they might happen to you in the paradise of delight? He never cared (to find out) where the camel is living now; neither did you, however, ask him about, when, out of his dreams, he was preaching to you about the three rivers. But we assure you, definitely, that your wonderful camel has already entered before you into the souls of asses, where you also are going to abide, like animals. And there is the outer darkness and everlasting hell; a roaring fire, an ever wakeful worm, and demons of the hell".

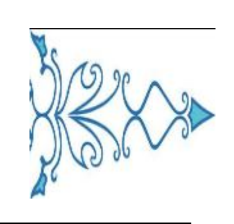
Muhammad, also, talks about the discourse of The Table. He says that Christ requested from God a table, and it was given to him. Because, he says, he told him "I have given to you and to your (companions) an incorruptible table".

Also the discourse of The Heifer, and several other idle tales worthy of laughter, which, because of their number, I think that I should skip.

He made a law that they and the women be circumcised, and he commanded (them) neither to observe the Sabbath, nor to be baptized and, on the one hand, to eat what is forbiden in the Law and, on the other, to abstain from the other ones (which the law permits); he also forbade drinking of wine altogether.



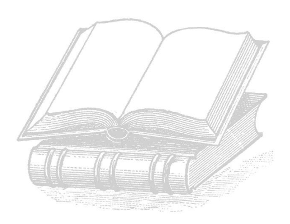
المصادر والمراجع





- أولاً : المصادر والمراجع الغربية .

- ثانياً : المصادر والمراجع العربية .



أولاً : المصادروالمراجع الغربية :

- Holy Bible " the new King James Version".
- Abel, Armand . " Polemique Damascenienne et Son Influence Sur Les Origines de La Theologie Musulmane" L' Elaboration de L' Islam . Paris: Presses Universitaires de France, 1961, pp.61-85
- Abel, Armand (Abu Qurra, theodore). Opuscula. XCIV, 1596-1597, XCVII, 1461-1609
- Abou- Seada, A.A. " Byzantiun and Islam (9^{th} – 10^{th} . Centuries – Ahistorcal Evaluation of Role of Religon in Byzntine- Muslim Relations" Athesis Submitted to University of Birmingham For the degree of Doctor of Philosphy. June. 2000.
- Alexander, P.J. " Byzantium and the Migration of Literary Motifs : the Legend of the last Roman Emperor Medievalia et Humanistica Ns2 (1971) pp.47-68.
- Alexander, P.J. " The Diffusion of Byzantine Apocalypses in the Medeival West and the Beginnings of Joachimism" In Prophecy and Millenarianism: Essays in Honour of Marjorie Reeves , Edited by Ann Williams, pp.53-106. London, 1980.
- Alphndery, p. " Mahomet – Antichrist dons le Moyen Age Latin " in Melanges Hartwig Derenbourg, PP.261-277. Paris, 1909.
- D'Alverny, Marie – Therese . "Deux traductions Latines du Coran av moyen age " Archivs d'histore doctrinal et Litteraire du moyn age 22-23 (1947-1948) , pp69-131.

- Berry, Virginia . " Peter the Venerable and the Crasades" in petrus Venerabilis (1156-1956) Studies and Texts Commemorating the Eighth Centenary of His Death, Edited by G. Constable and J. Kritzeek, pp.141-162. Rome, 1956.
- Burns, R. " Christian – Islamic Confrontation in the west: the thirteenth century Dream of Conversion " American Historical Review 76 (1971) 1386-1434 .
- Colbert , E.P. " The Martyrs of Cordoba 850-859, Atudy of the Sources.
- Connel, Charles William " Western Views of the Tartarys, 1240-1340. Unpublished ph . D.Rutgers State Unviersity , 1964, Xeroxed by University Microfilms Interenationa Ann Arbor, Michigan, U.S.A.
- Cuter, A. " The Ninth Century Spanish Martyrs' Movement and the Origins of Western Mission to the Muslims" Muslim World 55. 1965. Pp/321-329.
- Daniel, N . " The Arabs and Mediaeval Europe . London and Beirut, 1975.
- Daniel, N." Islam and the west : the Making of an Image . Oxford, 2000.
- Demetriades, J.M. " Nicetas of Byzantium and his encounter with Islam" a study of Anatrope and the two Epistles to Islam. Ph. D . thesis , The Hartford Seminary Foundation, 1972.
- Jacques de Vitry " Hiestoria Hieroslimitana Abbreviata" in J. Bongars, Gesta Dei per Francos, Vol. I. (Hanau, 1611).

- Kedar, B.Z. " Crusade and Mission" European Approaches Toward the Muslims. Princeton University , 1988.
- Khoury, A. Th. " Polemique Byzantine contre L' Islam (VIII-XIII, S.) Leiden , 1972.
- Kritzech, J. " Peter The Venerable and Islam" Princeton, 1964. – " . Moslem – Christian Understanding in Mediaeval Times" Comparative Studies in Society and History 4 (1961 – 1962) pp.387-401.
- Methodius, pseudo . Methodii Patarensis EP. Et Mart . Revelations. In Magna Biblitheca Veterm Patrum. Cologne, 1618. III. P. 36FF.
- Michael the Syrian, Chronicl, 4vols, Paris, 1910.
- Migne: Patrologice Cursus Comletus. Series Graeca Prior edition by Jacques Paul Migne, 1857-1866 Volume, 94, Columns, 764-773.
- Moshe Gil " A History of Palestine 634-1099. Translated From the Hebrew By Ethel Broido Combride , 1997.
- Nasrallah, Joseph . " Saint Jean de Damas . Son époque . Sa vie, Son oeuvre paris: Office des Editions Universitaires , 1950.
- Ostrogorsky, George. "History of the Byzantine State", translated By Joan Jussy, Oxford , (1968).
- Russel, F. H. " The Just war in the Middle Ages " Cambridge, 1975.
- Sahas, D.J. " John of Danascus on Islam : the Heresy of the Ishmaelites" Leiden, 1972.
- Southern, R.W. " Western Views of Islam in the Middle Ages Cambridge, Mass., 1962.

- Theophanes , the Confessor : " Chronogrophia, EX Recensione Ioannis Classeni Vol. XXXIX, Corpus Scriporun Historicae Byzantinae . Bonnae Ed Weber, 1839.
- Thomson, R.M. " William of Malmesbury and Some Other Western Writers on Islam" Medievalia et Humanistica NS 6 (1975) PP.179-187.
- Throop, P.A . " Criticism of the Crusade Propaganda. Amsterdam. 1940, Reprint . Philadelphia, 1975.
- Vasiliev A.A. "History OF The Byzantine Empire, 324-1453, 2 vols , Madison, 1976,1978.
- Walta, J. " Muhammat and the Muslims in St . Thomas Aquinas" Muslim World 66 (1976): pp.81-95.

ثانياً : المصادر والمراجع العربية والمترجمة :

- الكتاب المقدس ، العهد القديم والعهد الجديد .
- إبراهيم سيف الدين : مصر في العصور القديمة ، القاهرة ، ١٩٤١م .
- إبراهيم علي طرخان : الحركة اللاأيقونية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
- إبراهيم علي شعوط : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .
- إبراهيم نصحي : مصر في عهد البطالمة ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- ابن أبي شيبة : المصنف ، تحقيق : مختار الندوي ، بومباي ، الهند ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ابن الأثير الجذري : (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ، بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- أحمد علي طه ريان : تعدد الزوجات ومعيار تحقيق العدالة بينهن في الشريعة الإسلامية ، القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

- أرنولد توينبي : تاريخ الحضارة الهلينية ، ترجمة رمزي عبده جرجس ، القاهرة ١٩٦٣م.
- الأزروقي : (أبوالوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزروقي) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثـــار، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، مكة المكرمة ، ١٣٩٨هـــ/ ١٩٧٨م .
- أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ط١، المدينة المنورة ، ١٤١٢هـــ/ ١٩٩٢م.
- الأمير شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليـــا وجزائـــر البحـــر المتوسط ، بيروت ١٩٨٣م .
- أندريه نايتون وآخرون : الأصول الوثنية للمسيحية : ترجمة سمير عزمي الـــزين ، منشـــورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ١٤١١هـــ / ١٩٩١م .
- أنسلم تورميدا : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، تحقيق محمود على حمايـــة ، القـــاهرة ١٩٨٤م.
- الباقلاني : ابو بكر الطيب الباقلاني ،

  ١ – إعجاز القرآن ، القاهرة ، ١٣٧٤هـــ .

  ٢ – التمهيد القاهرة ١٣٦٦هـــ.
- بتلر : فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ١٤١٦هـــ/ ١٩٩٦م .
- البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، ت٢٥٦هـــ) صحيح البخاري . فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للإمام الحافظ بن حجر تصحيح وتحقيق محب الدين الخطيب ، ط القاهرة ١٤٠٩هـــ/ ١٩٨٨م .
- البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـــ) فتوح البلدان ، تحقيـــق : عبـــد الله أنيس الطباع ، وعمر أنيس الطباع ، بيروت ١٤٠٧هـــ/ ١٩٨٧م .
- البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـــ) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صـــاحب الشريعة وثق أصوله وخرّج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبـــد المعطـــي قلعجـــي. بـــيروت ، ١٤٠٥هـــ / ١٩٨٥م .

- الترمذي : الجامع الصحيح (السنن) تحقيق أحمد محمود شاكر وآخرين ، القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.
- ابن تيمية (شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ت٧٢٨هـ)

الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ٦ أجزاء ، تحقيق علي بن حسن بن ناصر، عبد العزيز بن إبراهيم العسكر ، حمدان بن محمد الحمدان . الرياض ١٤١٤هـ .
- الجاحظ : الرد على النصارى ضمن ثلاث رسائل لأبي عمرو بن بحر الجاحظ ، القاهرة ١٣٨٢هـ.
- ابن الجوزي : (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي ت٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- الجويني : أبو المعالي الجويني إمام الحرمين: شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، القاهرة ١٩٧٩م .
- الحاكم : المستدرك ، حيدر آباد ، ١٣٤١هـ.
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، ت ٤٥٦):

١ – الفصل في الملل والنحل وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ، بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

٢ – جمهرة أنساب العرب ، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي ، أطواره ومذاهبه ، دمشق ، بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .
- حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

- حسني الأطير : عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ، القاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، ت ٢٤١هـ) :
المسند وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .
وكذلك المسند بتحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م .
- الحلبي (علي برهان الدين الحلبي الشافعي ، ت١٠٤٤هـ) :
إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون صلى الله عليه وسلم والمشهور بالسيرة الحلبية القاهرة ، بدون تاريخ .
- الخزرجي : مقامع الصلبان ، تونس ، ١٩٧٥م .
- الخطيب البغدادي : (الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد أو مدينة السلام . تحقيق عبد القادر عطا، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، ت٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق حسين عباس ، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .
- خليفة ابن خياط : تاريخه ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دمشق ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
- خميس صالح الغامدي : العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول ﷺ ، رسالة ماجستير تحت إشراف أ.د/ علي محمد عودة الغامدي ، جامعة أم القرى ، ١٤١٤هـ.
- دونالد . ر . دولي : حضارة روما ، ترجمة : جميل الذهبي ، وفاروق فريد ، القاهرة ١٩٦٤م.
- الذهبي : (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م)
١ – سير أعلام النبلاء أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

٢ – السيرة النبوية ، تحقيق حسام القدسي ، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

- زاهر عواض الألمعي : مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش ، دراسة تحليلية لأبعاد الموضوع وخطورته ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

- الرازي : فخر الدين : مناظرة في الرد على النصارى ، تحقيق عبد المجيد النجار ، بيروت ١٩٨٦م .

- الربيع بن الليث : رسالة الربيع بن الليث إلى قسطنطين ملك الروم على لسان هارون الرشيد ، تحقيق أسعد لطفي حسن ، القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م .

- رحمة الله الهندي : إظهار الحق القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- زكي الدين شعبان : الزواج والطلاق في الإسلام ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ.

- ابن سعد (محمد بن سعد ، ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى ، بيروت ، بدون تاريخ .

- سعيد عبد الفتاح عاشور :

١ – مراجعات لكتابات بعض المستشرقين المحدثين عن الإسلام وحضارته ، منشور في كتاب بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٢ – أوروبا العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

- سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري الحنبلي : الانتصارات الإسلامية في كشف الشبه النصرانية، تحقيق سالم بن محمد القرني ، الرياض ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- سليم حسن : مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٤٠م .

- ابن سيد الناس : (أبو الفتح محمد بن محمد العمري، ت٧٣٤هـ) عيون الأثر في فنون المغازي والسير ، دار الفكر ، بدون تاريخ .

- السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، بيروت ، ١٩٨٢م .

- سيد قطب : في ظلال القرآن ، طبعة دار الشروق .

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ت٩١١هـ) .

الخصائص الكبرى، تحقيق محمد خليل الرأس ، دار الكتب الحديثة بدون تاريخ .
- شارل جينـــز: المسيحية نشأهّا وتطورها ، ترجمة عبد الحليم محمود ، بيروت ، بدون تاريخ.
- الشافعي (أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي ، ت٢٠٤) .
الأم ، تصحيح محمد زهري النجار ، بيروت ١٣٩٣هــ/ ١٩٧٣م .
- الشهرستاني (محمد أبو الفتح بن عبد الكريم بن أحمد الشافعي ت ٥٤٨هــ) . الملل والنحـــل ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- الصالحي (محمد بن يوسف الصالحي الشافعي ت ٩٤٢هــ) . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد المعروف بالسيرة الشـــامية ، تحقيـــق عبـــد العزيـــز عبـــد الحـــق حلمـــي القـــاهرة ١٣٩٥هــ/١٩٧٥م.
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ، ت١٣١٠هــ) :
١ – تاريخ الطبري " تاريخ الرسل والملوك " تحقيق محمد أبـــو الفضـــل إبـــراهيم ، القـــاهرة ١٩٧٩م.
٢ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، القاهرة ١٣٨٨هــ / ١٩٦٨م.
- عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، تثبيت دلائل النبوة ، بيروت ، ١٣٨٦هــ.
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الرحمن في تفسير كلام المنـــان ، تحقيـــق عبـــد الـــرحمن اللويحق، بيروت ، ١٤٢٣هــ / ٢٠٠٢م .
- عبد الله حسين الشنبري : الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيـــد بـــن عبـــد الملـــك (١٠١-١٠٥هــ) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، ١٤١٠هــ .
- ابن العربي : أحكام القرآن ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، بيروت ١٤٢١هــ/ ٢٠٠٠م .
- علي بن ربَّن الطبري :
١ – الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ القاهرة ، ١٣٤٢هــ/ ١٩٢٣م .
٢ – الرد على النصارى ، بيروت ١٩٥٩م .

- علي الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع ، تونس ١٩٨٦م .
- علي بن محمد عودة الغامدي : الرؤية الأوروبية للعرب والإسلام خلال العصور الوسطى ، في كتاب العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ ، حصاد (٧) ندوة عقدها اتحاد المؤرخين ، بمقره في القاهرة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- عمر كمال توفيق : الدولة البيزنطية ، الإسكندرية ، ١٩٩٤م .
- الفاكهي : (أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي ، من علماء القرن الثالث الهجري) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكة المكرمة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
- أبو الفضل المالكي السعودي . المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل، ليدن ، ١٩٨٠م .
- فيليب حتّي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، بيروت ، ١٩٥٩م.
- القاسم بن إسماعيل الرسي: الرد على النصارى ، تحقيق إمام حنفي عبد الله ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .
- القرطبي : (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن ، بيروت ، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م .
- ابن القيم (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ) .

  ٢ – أحكام أهل الذمة ، تحقيق وتعليق صبحي الصالح ، بيروت ١٩٨٣.

  ٢ – هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

  ٣ – زاد المعاد ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأخيه ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل كثير القرشي ت٧٧٤هـ) .

  ١ – تفسير القرآن العظيم ، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢ - البداية والنهاية.

- الكلبي : (هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، ت٢٠٤هـ) الأصنام ، تحقيق أحمد زكي ، القاهرة ١٩٦٥م.

- ليلى عبد الجواد إسماعيل : الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

- ابن ماجة : (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ت٢٧٥هـ) السنن ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

- مبشر الطرازي : المرأة وحقوقها في الإسلام ، القاهرة ، ١٣٩٦م .

- محب الدين الطبري : القِرى لقاصد أم القرى، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .

- محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، القاهرة ١٩٨١م .

- محمد رشيد رضا : حقوق النساء في الإسلام ، القاهرة ١٣٩٨هـ .

- محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، الكويت ١٤٠٨هـ.

- محمد بن عبد الرحمن المباركفوري : تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

- محمد عبد الله عرفة : حقوق المرأة في الإسلام ، القاهرة ، ١٣٩٨م .

- محمد عزة دروزة : المرأة في القرآن والسنة ، بيروت ، ١٩٨٧م.

- محمد علي الصابوني : النبوة والأنبياء ، بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن ، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

- محمد الغزالي : فقه السيرة ، خرّج أحاديثه الألباني ، دمشق ١٤٠٧هـ.

- محمد مسفر حسين الزهراني : نظرات في تعدد الزوجات ، الرياض ، ١٤١٢هـ.

- المسعودي : (أبو الحسن علي بن الحسين ، ت٣٤٦هـ) التنبيه والإشراف ، تصحيح عبد الله

الصاوي ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

- مقاتل بن سليمان : تفسيره ، تحقيق أحمد فريد ، بيروت ، ٢٠٠٣م.
- مهدي رزق الله أحمد : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ت٢٦١) ، صحيح مسلم مع شرح النووي ، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م .
- هـ.أ.ل. فسر :تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، والسيد الباز العريني ، القاهرة ، ١٩٦٩م.
- أبو نعيم الأصبهاني (أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت٤٣٠هـ) .

  ١ – دلائل النبوية ، بيروت بدون تاريخ .

  ٢ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- هسّي : العالم البيزنطي ، ترجمة رأفت ، عبد الحميد ، القاهرة ١٩٨٤م .
- الهيثمي : (نور الدين علي بن أبي بكر ، ت٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، القاهرة، بدون تاريخ .
- ول. ديورانت : قصة الحضارة : ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، ١٩٦٤م.
- الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ت٤٦٨هـ) أسباب النزول ، بيروت ١٤٠٩هـ.

الفهرس

الموضـــــــــــــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــــــــــــــوع	الصفحة